Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بداية ونهاية

دولة إسرائيل

رؤية تاريخية ودينية

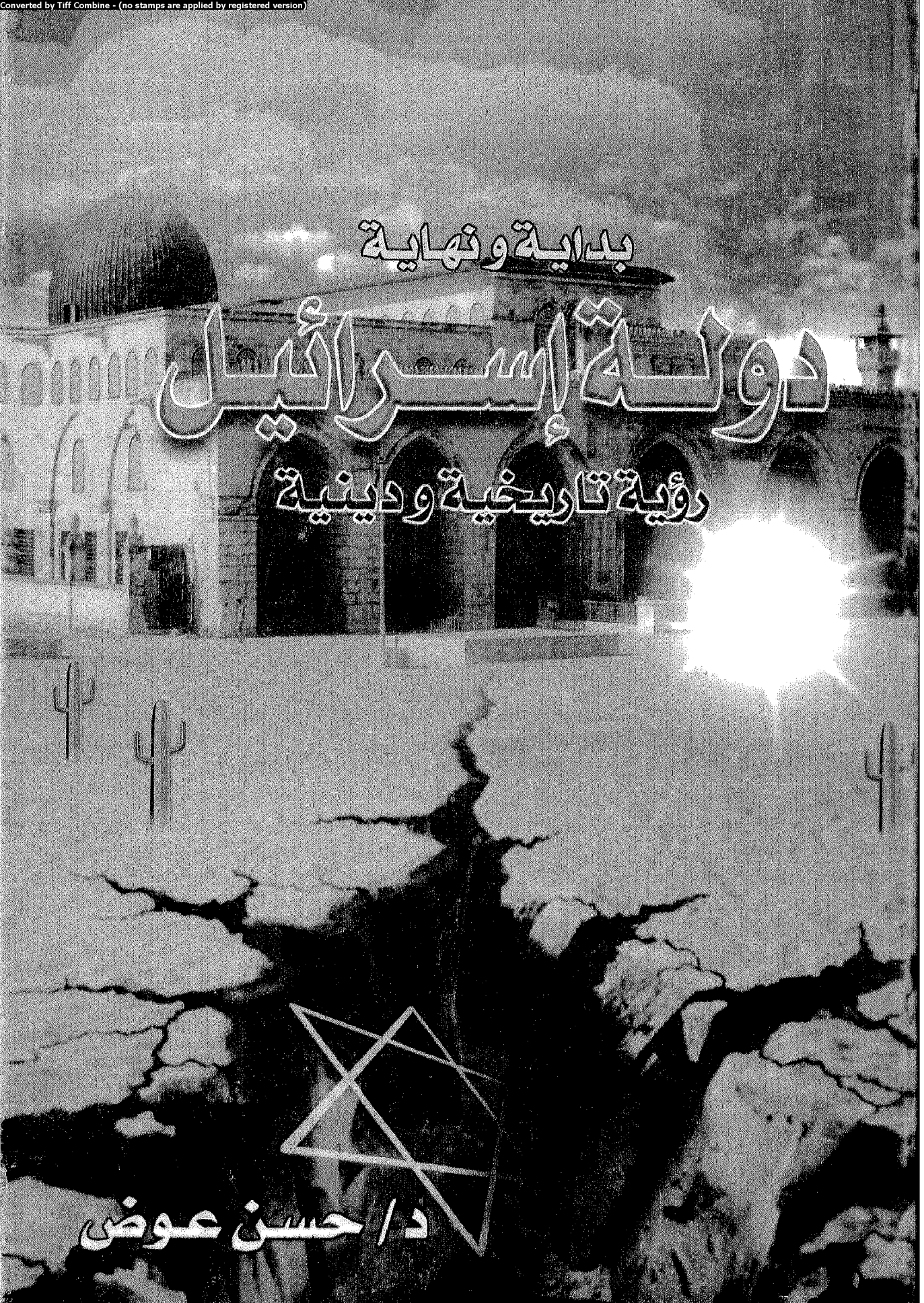

د/ حسن عوض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بداية ونهاية

دولة إسرائيل

رؤية تاريخية ودينية

د. حسن عوض

الطبعة الثانية

(2002)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

ويمحُ اللهُ الباطلَ
ويحقُّ الحقَّ بكلماته

لله الصدق العظيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهـــــداء

إلى كل باحثٍ عن الحقيقة فى مسألة بنى إسرائيل ليطمئن قلبـــه .

د/ حسن عوض

بنها فى 2001/9/1

ت 013/2436'79

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شكر واجب

الحمد لله ذى الفضل والمنّة أولاً وأخيراً الذى وفقنى وأعاننى حتى يخرج كتابى هذا إلى النور .

ولايسعنى فى هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الواجب للأستاذ / عبد العزيز موافى (الناقد والشاعر المعروف) .

وللدكتور / سعيد شوقى (كلية الآداب جامعة المنوفية) على ماقدماه لى من مراجع هامة أفادتنى كثيراً فى دراستى هذه .

د/ حسن عوض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم الطبعة (1)

حيــن شرعت فى كتابة هذا الكتاب كان فى نيتى تسطيره فى حــدود مائــة صفحة على الأكثر ولكن ما إن بدأت بتناول الموضوع وجدتــنى مدفوعــا ومسوقاً لأن أتناول الموضوع بكافة جوانبه ولكى يــتفهم القارئ ما يحدث ويجرى على الساحة الآن عليه أولاً أن يرجع للماضــى الســحيق حيــث النشــأة والتواجد والأصول الأولى للشعب الإســرائيلى المعنى بدراستنا هذه . وخامرنى خاطر أن أتحدث بإيجاز عــن ذلــك التاريخ القديم على أن استفيض بالتوسع فى الحديث إذا ما تــناولت الحاضر ولكننى وجدت أنه من الأصوب أن تكون الإستفاضة فى الحديــث والبحث من نصيب الماضى لأنه لو عرفت الماضى حق المعرفة تيسر معرفة الحاضر .

وبــدأت فى تجميع المراجع ليشمل موضوع البحث والدراسة كافــة جوانــب الماضى فوجدتها تربو وتزيد على المائة من المراجع الهامــة الــتى اختصت بالموضوع . وفكرت فى أن أتعرض لكل هذه المــراجع ولكننى – مرة أخرى – تخيرت منها الأشمل والأعم والأهم وواجهتــنى إشكالية أخرى فى كيفية التعرض لهذه المراجع هل اكتفى بــأن أشــير إليها ثم أعرضها بأسلوبى أنا ولكننى تراجعت سريعا عن ذلــك لســبب هام وجوهرى وهو أن تناول الموضوع بإسلوبى قد يفهم عــلى أنــه وجهــة نظرى الخاصة كما أنه قد يقول قائل أننى أفرض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بَصْمتى وأفكارى على العمل الذى أتناوله بالعرض ومن ثم فإننى – إذا ما حدث ذلك – إما أغفلت – عن عمد وقصد – رؤية المؤلف أو أننى لـــم أفهم ما قصده المؤلف جيداً أو أننى قد حرّفت المعنى وأخذته إلى الوجهة التى أريدها.

ولـــذا فقـــد آثرت أن أعرض ما جاء فى أيٍ من تلك المراجع بإســـلوب كاتـــبه دون تدخل منى إطلاقاً إيمانا وأمانه حتى تتشكل أمام القـــارئ رؤى مختلفة ووجهات نظر عديدة كلها تصبّ فى هدف واحد وهـــو تـــناول موضـــوع بنى إسرائيل بكافة جوانبه التاريخية والدينية والإنســـانية والإجـــتماعية و... و... إلـــخ . ومن مجموع تلك الرؤى يصبح القارئ على دراية كاملة وشاملة .

ولايغيـــب عـــن فطـــنة القارئ أن تاريخ بنى إسرائيل لم ينشأ مـــنعزلاً عن باقى تواريخ الشعوب المعاصرة له . بل تاثر ذلك التاريخ – إلى حـــد كـــبير – بشـــعوب كثيرة أهمها الشعب المصرى القديم – والحديـــث – حيـــث كانت الهيمنة المصرية تشمل ممالك ودول الشام بالإضـــافة لغيـــرها مـــن الأمم ولقرون طويلة وبالمثل مع باقى الأمم القديمـــة والمعاصـــرة كان التاثر واضحاً لذلك الشعب بمن حوله وبمن احتضنه داخل حدود دولته فى شتى النواحى الحياتية والثقافية وغيرها.

أمـــا مـــن ناحيـــة العرض الدينى خصوصا من وجهة النظر الإســـلامية فقد ارتأيت أن أتحدث بإسلوبى مشيراً إلى المراجع المختلفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(القــرآن الكــريم وكتب التفاسير والحديث وسير الأنبياء) كما تقتضيه الأمانة العلمية والأدبية .

وبعد تلك العروض المختلفة ستكون هناك وقفات – فى فصول أخرى – مع التسمية والمؤامرة وغيرها ثم وجهة نظرى الشخصية فى الموضــوع كله بشتى نواحيه وجوانبه لنصل إلى الرؤية الشاملة لذلك الشــعب الذى أثار الكثير من الجدل والقلاقل قديماً وحديثاً تلك الرؤية الموضوعية بدون تجاوز أو تضليل أو افتراء .

وبعــد – عزيــزى القارئ – أرجو أن تتفهم جيداً لماذا بعض العــروض – خصوصــاً الــتاريخية والثقافية والسوسيولوجية – التى تــناولت ذلــك الشــعب رغم أن عناوين تلك المراجع قد يوحى بعدم أهميــتها بخصوص الموضوع الذى نتناوله . فلكى (نتعرف) جيداً على شخصٍ ما يجب أن نلمّ بحياته الإجتماعية والثقافية وحياة من حوله فى محيــط أســرته وأصدقائه حتى يكون التحليل دقيقاً و(المعرفة) صادقة والرؤية أمينة.

أرجــو – عزيــزى القــارئ – أن تغفــر لى إن أخطأت فى اجتهادى وتدعو لى إن أصبت.

وشكراً

بنها فى 2001/2/1م د/ حسن عوض

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقديم الطبعة الثانية

بعد صدور الطبعة الأولى من دراستي هذه في 2001/2/1م أبلغني بعض القراء ببعض الملاحظات التي أقنعتني بوجاهتها مما أوجب عليّ إما إضافة إيضاح منى لما أبداه القراء فى طبعة جديدة وإما إعادة صياغة الأجزاء التي بدت غامضة أو مبهمة على بعض القراء . ولم تطل حيرتي كثيراً حيث وجدت أنه من الأفضل أن أعيد صياغة الجزء التاريخي (الفصل الثاني) على وجه الخصوص بطريقة أكثر سلاسة وأوضح تبيانا خصوصا وأنني كنت قد عرضت هذا الفصل تبعاً لما كانت تقع عليه يدي تباعاً من المراجع دون اعتبار لما تحتويه تلك المراجع من مادة دينية أو تاريخية.ولذا جاء ترتيب عرض تلك المراجع بطريقة بدت وكأنها قطع من الموزاييك رُتبت ووضعت بغير نظام ودون هارمونية من حيث المادة العلمية التي تحتوى عليها . وكان عذري فى ذلك أن تلك المراجع لم أحصل عليها فى آن واحد وإنما تم ذلك بطريقة قدرية لا دخل لى فيها . حيث استعرت بعضاً منها فى أوقات مختلفة حسبما جاد به الأصدقاء مشكورين وحسبما عثرت على الباقي منها سواءً بالشراء فى أوقات متفاوتة – حسب توافرها – أو بالبحث فى سراديب ودهاليز مكتبتي الخاصة غير المرتبة لعدم وجود الوقت لدى لترتيبها من ناحية وللعبث بها مراراً من ناحية أخرى .

ولأنني كنت فى عجلة من أمري لخروج هذه الدراسة فى أسرع وقت ممكن لم أراع – مضطراً وآسفا – تصنيف وترتيب المراجع بالصورة والكيفية التي سيجدها القارئ فى هذه الطبعة (الثانية) حيث راعيت ذلك جيداً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالإضافة إلى إعادة تبويب الفصل الثاني من الطبعة الأولى ليصبح فصلين بدأتهما بالرؤية الدينية / التاريخية . ثم الرؤية التاريخية / الدينية وفى كل منهما ما يخص تلك الرؤية دون تكرار للسرد – كما حدث فى الطبعة الأولى – مع الأخذ فى الاعتبار التوثيق والإحكام بهوامش لكل فصل – والفصول الأخرى أيضا – فى آخر الفصل فيها تفصيلات تهم القارئ المتخصص والباحث الجاد وفى ذات الوقت لا تشغل فكر القارئ العادي الذي لا يهمه التوثيق ولا يهمه معرفة المصدر بقدر ما تهمه المعلومة والفكرة والرأي . إضافة إلى أنني راعيت عدم تكرار المعلومات أو سرد أفكار غير صحيحة فى سياق عرض المراجع – أى مرجع – حتى لا يلتبس الأمر على القارئ فيظن أن ذلك صواباً.وهو ما نبهني إليه بعض القراء بعد صدور الطبعة الأولى خصوصا وأنني آليت على نفسي – وقتها – ألا أتدخل فى أسلوب عرض المرجع –أى مرجع – وأيضا تركت الأمر لفطنة القارئ لاستنباط الصواب من الخطأ وأشرت لبعض الأفكار الخاطئة فى موضعها ولكن يبدو أن ذلك لم يكن جلياً بالصورة التى كنت أرومها وأتوقعها فحدث اللبس الشديد وحدث اللوم من بعض القراء على ذلك .

من أجل ذلك وجدت لزاماً علىّ أن أعيد صياغة هذا الجزء من دراستي بطريقة لا تحتمل الشك أو الالتباس وعلى منوال الرسالات العلمية ونهج الدراسات الأكاديمية وخصوصاً أن هذا الجزء يشكل أكثر من نصف الدراسة فى الطبعة الأولى وكان هو المدخل لبقية الدراسة . أعدت الصياغة وأيضا السرد والأفكار ليس فى هذا الجزء وحده وإنما فى كل الدراسة مع إضافة ما يلزم وحذف ما انتفى الغرض منه سواءً للتكرار أو الوضوح فى الشروح.وإعادة الصياغة استوجبته أيضا وجود عدة مراجع إضافية خصوصاً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المراجع الدينية ولوجود قضايا طُرحت على الساحة بعد صدور الطبعة الأولى كنت طرفاً فيها . أولها مقالة للكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ الدكتور / مصطفى محمود (سأنشر صورة ضوئية منها فى جزء الملاحق آخر الكتاب) بعنوان (إسرائيل طاعون العصر ودولة الارهاب) وهى منشورة فى الصفحة الثالثة عشرة من (جريدة الأهرام) المصرية الصادرة فى يوم السبت الموافق 23 يونيو عام 2001 م . وأيضا نشرت لى مقالة فى جريدة (السياسى المصرى) فى عددها الصادر يوم الأحد الموافق 24 يونيو عام 2001 م . فى صفحتها الخامسة وأيضا بعد لقاءٍ ثقافى تليفزيونى معى فى قناة النيل الثقافية الفضائية (برنامج قمر النيل على الهواء) أذيع على الهواء مباشرة فى مساء يوم السبت الموافق 7 يوليو عام 2001م . وأيضا بعد عدة ندوات ثقافية ودينية فى منتديات ثقافية ومراكز إسلامية فى عدة مدن بجمهورية مصر العربية طُرح فيها العديد من الاستفسارات والأفكار والحوارات والتي وجدت نفسي بعدها فى حاجة إلى إضافة ما استجد من قضايا كنت أحسب أن الغالبية من الناس تعرفها وتعرف دقائقها غير أنني وجدت تشويشاً والتباساً وخلطاً لدى الكثير من الناس .

لكل تلك الأمور وجدتني مدفوعاً لإخراج هذه الطبعة الثانية مع مراعاة – من جانبي – التدقيق الشديد فى تصويب الأخطاء المطبعية التي وردت فى الطبعة الأولى والتي حدث بسببها بعض الالتباس خصوصا ما مس منها بعض كلمات من آي الذكر الحكيم فى مواضع مختلفة دون قصد منى بالقطع نتيجة لكثافة المجهود الذي قد بذلته أثناء إخراج الطبعة الأولى.منها على سبيل المثال كلمة (إذْ) وردت (إذا) وكلمة (إنه) وردت (إن) وكلمة (قال) وردت (قل) كما سقطت سهوًا دون عمد بعض الحروف والكلمات فى قليل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جداً من آيات القرآن الكريم التي استشهدت بها فى دراستي وقد فوجئت بتلك الأخطاء بعد طباعة الكتاب فحزنت كثيراً لذلك.وإني إذْ آلمنى وأهمّنـــي مـا حدث أعتذر عن ذلك بشدة وأرجو أن يلتمس لي القراء العذر فيما حدث لكثافة المجهود وإجهاد البصر ومشقة العمل الذي أديته وحدي من الألف إلى اليـاء أى منذ الحصول على المراجع والمصادر المختلفة حتى الطباعة – بنفسي – مروراً بالعرض العلمي التاريخي والديني والمراجعة وعمل المونتاج الفنـي لأصول الكتاب .. الخ .

وإنى إذْ أحمد الله كثيراً على تمام ذلك العمل فى الطبعة الأولى وأيضا فى هذه الطبعة (الثانية) بعون الله وحده فإني لا أجد ملجأ من الله إلا إليـه طالباً العفو من الله الغفور الرحيم على ما حدث من أخطاء مطبعية لم أدركها فى وقتها فى بعض الكلمات من بعض آيات القرآن الكريم الذي اتخذته حَكَماً عدلاً فى دراستي هذه عسى الله أن يتقبل منى هذا العمل ابتغاء وجه الكريـم وابتغاء مرضاته جل شأنه فى إعلاء كلمة الحق والصدق والدين فهو وحـده جل علاه العليم بما فى الصدور . اللهم إليك أنبت . وعليـك – سـبحانك – توكلت وإليك وحدك المرجع والمصير . اللهم فتقبل. اللهم فاشهد .

د. حسن عوض

عضو اتحاد كتاب مصر

بنها فى 1/9/2001

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الأول

رؤية دينية / تاريخية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

لتناول المسألة الإسرائيلية / اليهودية / الصهيونية هناك طريقان أساسيان هما الدين والتاريخ . لأن التاريخ الإسرائيلي شديد الارتباط بالجانب الديني **حيث تقوم الفكرة الصهيونية (السياسية) على التأريخ التوراتى (الديني)** لتأصيل وترسيخ المفاهيم اليهودية **انطلاقاً من نصوص العهد القديم** الذي يرسم الخطى ويوجه دفة المتلقي إلى الوجهة التي أرادها كاتبوا تلك النصوص سواءً كان ذلك مطابقا للتاريخ وموافقاً له أو منحّياً للثوابت التى باح بها التاريخ وأثبتها لغير صالح النص التوراتى(المحرَّف والمختَلَق).

والباحث المنصف الجاد ليس له إلا أن ينحّي النص التوراتى جانباً قبل أن يشرع فى تناول الموضوع من كل جوانبه ليضمن السلامة لنتائجه وفيما يتوصل إليه لأسباب كثيرة سنتناولها فى دراستنا هذه . أما إذا وضع الباحث النص التوراتى ليقوده إلى النتائج فإن كثيراً من تلك النتائج سيشوبها القصور إن لم يكن التضليل فى أغلب الأحيان.وإضفاء صفة القداسة على التاريخ الملفّق وإلباسه ثوبا فضفاضا ليشمل كل الطموحات اليهودية أمر غير علمي ولا موضوعي .

والطرح الدينى / التاريخي أو التاريخي / الديني أيهما أولى بالبدء . لا يشكل معضلة فكرية اللهم إلا وضع النقاط فوق الحروف وإضاءة الطريق لاستجلاء المعالم واستنارة المسالك كي لا يضيع الجهد فيما لا طائل منه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعثرات - أية عثرات - إذا ما نحيناها في البدء نضمن سلامة المسير وقلة المخاطر والمزالق . وتأصيل المنهج وتأطير النهْج وإزاحة العثرات منذ البدء أمر ضروري وهام للتوصل إلى نتائج يوثق بها ولا يشوبها الاعتوار . ولذا فقد آثرت البدء بالطرح الديني / التاريخي حتى تنجلي ظلمات الميل والزيغ والحَيْدة عن الحق بعد ترسيخ المفاهيم وتأصيلها وتوثيقها بما هو أجدر وما هو أحق .

*****

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مفهوم الدين والشريعة

خلق الله الإنسان واستخلفه فى الأرض . ليعمرها بعدما سخر الله له كل شىء ليعينه على ذلك . فوفر له الهواء والماء والغذاء والكساء . وأعطاه العقل ليميز الأشياء . ويبتكر ما يعينه على الحياة والرقى والتطور . **وأرسل له الرسل كل فترة من الزمان** ليعيدوا له الاتزان فى سعيه وحياته. وليهدوه إلى طريق الرشاد والخير كلما أغواه الشيطان وأضله . وليعلم الإنسان أن عليه واجبا هاما يلازمه طيلة حياته على الأرض.مطلوب منه حسن الأداء لتكون عاقبته حسنة وليرض عنه خالقه :

***وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** * ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون *إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين [1].

وتعاقب الرسل كان لتصحيح مسيرة الإنسان كلما حاد عن الطريق . طريق شكر الله وحده على نعمائه . طريق إفراد الله بالعبادة لكونه - سبحانه- الأحق بذلك . دونا عن باقي المخلوقات وتفرداً له وحده دون شريك . وكان من رحمته جل شأنه أن ابتعث الرسل من الناس وأرسلهم بالدين الحق والشريعة التي تنظم حياتهم وتصلح أحوالهم فى الدنياوالآخرة:

*** وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم** [2]

ومن رحمته أيضا - جل شأنه - أن بعث فى كل أمة رسلا على مدار الزمان :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت [3]

وهؤلاء الرسل هم سفراء من الله إلى البشر بالبشارة والنُـــذُر حتـــى لا تكون هناك حجة من الناس يوم الحساب :

* رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حُجّة بعد الرسل . وكـــان الله عزيزاً حكيما. [4]

ولم يترك الله - سبحانه - خلقه يهيمون فى الأرض على غير هدىً يتعبدون المخلوقات الأخرى فيلتمسون عندهم الأمن والرزق من دون الله . ومـــن هنـــا كانت الحاجة المستمرة لابتعاث رسل الله لخلقه أجمعين . فكـــانت الرســـالات والكتب المنزلة **من قِبَل الله لتصحيح مسار البشرية كلما** انحرفت عـــن جـــادة الصواب وعبدت المخلوقات من دون الخالق اتباعا لغواية وضـــلال الشـــيطان عدو الإنسان الدائم والملازم له طيلة حياته . وكل هذه الرسالات - الســـماوية - يبلغها أنبياء الله ورسله لأقوامهم لترسيم وترسيخ شريعة الله وأوامره ونواهيـــه بما فيه خير الإنسان وصلاحه فى الدنيا والآخـــرة . والديانـــات والرســـالات السماوية ليست تأريخا للشعوب أو القبائل بقدر ماهى منهاج حياة ونبراس هداية وعظة وعبرة لغيرها من الأمم . ولإقناع الناس بصدق النبوة أو الرسالة تكـــون هناك **الحاجة الماسة إلى إظهار المعجزات والآيات من قِبَل الخالق** للدلالة على أن الأمر من عند الله لا من عند غيره . فنرى على مسيرة البشرية معجـــزات للرسل والأنبياء تنتهى بانتهاء النبوة أو الرسالة وتظل عالقة - المعجزات - فـــى الأذهان **تتناقلها الأجيال حتى تنسى بمضى العهد وطول الأمد . فتأتى رســـالة أو نبوة أخرى لتعيد** تأكيد ماسبق وتذكّر الناس بحق الله عليـــهم مـــن إفـــراده بالعبودية وتنزيهه عن الشريك والند . وهكذا تستمر مسيرة البشرية على مـــر الزمان وعند غياب الوازع والوعى الدينى واتباع الهوى تنحرف المسيرة ليتخذ كل إنسان معبوداً له من دون الله . ويتبع – حينئذ - هواه وما يمليه عليه عقلـــه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ورغباته ليتمثل له معبوداً ويبتدع له شعيرة وطقوساً يظن فيها الرشاد وينتظر من معبوده - الوثن - القبول والنجاح والفلاح فيما يسعى إليه ويبتغيه بظنه. **وتنشأ تبعاً لذلك الأساطير والخرافات والشعائر الباطلة .**

فالأساطير فى حقيقتها بدأت كفكرة يشيعها الخوف من المجهول والتماس المدد والعون والتأييد اتقاءً للشرور وجلباً للخيرات.وبتعدد الحاجة تعددت المعبودات والآلهة وتعددت شعائر استرضائها والتزلف إليها واستجلابها وقت الحاجة إليها. فالشعيرة ربما لا تتصل بعقيدة صارمة بل أسطورة كما يظهر ذلك جلياً فى اليونان القديمة . إلا أن الأساطير المتعلقة ببعض المقدسات والطقوس الفردية مجرد جزء من المؤسسة الدينية مع ملاحظة أن العابد . كان مخيراً بين عدة تفسيرات للشيء نفسه ولم يكن الإيمان بسلسلة من الأساطير أمراً إلزاميا باعتباره جزءاً من الدين ولا كان يفترض أن يكتسب المرء بإيمانه مكانة دينية ما أو يحظى بعطف الآلهة . وعليه **فالأساطير فى كل الحالات كانت تستقى من الشعيرة لا العكس . فالشعيرة الدينية ثابتة وإلزامية أما الأسطورة فمتغيرة ومتروكة لاختيار العابد** . ومن المسلَّم به أن الأسطورة ليست تفسيراً لأصل الشعيرة الدينية بالنسبة لمن لا يؤمن بأنها رواية لبعض الأحداث الحقيقية .**وعليه فعند دراسة الديانات القديمة ينبغى علينا أن نبدأ لا بالأسطورة بل بالشعيرة الدينية والعرف الموروث . وكذلك لا ينبغى أن نبدأ بالتساؤل عما ورد عن الآلهة بل عن ماهية المؤسسات الدينية العاملة وكيفية صوغها لحياة أتْباعها** [5].

ففى المجتمعات القَبَلية أو القومية فى العالم القديم لم يكن هناك فارق بين الدين والحياة اليومية . فكان كل فعل من الأفعال الاجتماعية يتضمن إشارة إلى الآلهة والبشر على السواء إذْ لم يكن الكيان الاجتماعي يتألف من البشر وحدهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل من الآلهة والبشر معا .إلا أن الديانة التقليدية العادية التى اعتنقها الناس فى اليونان وروما على السواء لم تخرج عن الطابع البدائي بدرجة كبيرة . وكان التفكك النهائي للديانة القديمة فى البلاد ذات الحضارة الإغريقية والإيطالية قد جاء أولا على يد الفلاسفة ثم الديانة المسيحية . أما فى المجتمعات الحرة القديمة فى الأراضي السامية الشمالية فقد كان تأثر الدين والمجتمع المدني على السواء . فلم يعد مجتمع الدين الواحد يتطابق مع الدولة . واستمر الترابط القديم بين الحياتين المدنية والدينية ولكن بصورة مختلفة . ولما كانت المجتمعات السامية القديمة تتسم بصغر الحجم والتباعد بسبب الضغائن المستمرة فيما بينها لذا كان لابد من عودة الخصوصية الإقليمية التى ميزت المجتمع السياسي إلى الظهور من جديد فى مجال **بناء الدين على مبدأ التضامن بين الآلهة وأتْباعهم . فأعداء الإله وأعداء شعبه سواء . ومادامت آلهة المجتمعات السامية على اختلافها كانت تشارك على هذا النحو فى العداوات الموروثة لدى أتْباعهم كان من المستحيل على الفرد أن يغير ديانته دون تغيير قوميته كما لم يكن من الممكن لمجتمع بأكمله أن يغير ديانته دون أن يذوب فى جنس شعب آخر.**

وكان الاندماج الاجتماعي بين مجتمعين يؤدى إلى اندماج دينى مواز . وكان هذا يحدث بطريقتين :

1- **إلهان يندمجان ليصبحا إلهاً واحداً .** (جمعت غالبية بنى إسرائيل بين يَهْوَه فى ديانتهم المحلية وبَعْليم إله المرتفعات عند الكنعانين . ونقلوا عنهم طقوس المزارات المقدسة فى عبادته دون أن يروا فى ذلك ما ينم عن تراجع ولائهم ليهْوَه عن ذى قبل) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

2- **اندماج أتْباع الآلهة فى دولة موحدة فتندمج الآلهة على اختلافـــها .** (كان تميز الآلهة أكبر من أن يفقدها تفردها واستقلاليتها)[6] .

وفى العالم المصري القديم لا يستطيع المرء أن يلم إلماماً كافيا بأســـماء الآلهة المصرية القديمة التى جمعها عالم المصريات الفرنسي (بيريه) فيمـــا أسماه مجمع (بانثيون) الآلهة المصرية (على غرار البانثيون اليونـــاني) إذْ أن عدد هذه الآلهة يربو على الألفين . ولا يهولن القارئ هذا الرقم الضخـــم فترسب فى وجدانه تلك الفكرة الفجة بأن الديانة المصرية لم تكن أكـــثر مـــن ديانة بدائية ذلك لأن الكثيرين من علماء المصريات - بعد دراسة مســـتفيضة للنصوص الدينية التى تحت أيدينا - قد أعلنوا بوضوح **أن الديانة المصرية قد تخلصت منذ زمن مبكر - قبل أى شعب آخر - من طابعها البدائي ومضـــت قُدُماً نحو التوحيد الإلهي** ووصلت إلى أرقى التصورات العقلية فيما يتعلـــق بطبيعة الإله الخالق وعلاقته بالمخلوقات والثواب والعقاب وما بعد المـــوت . **وهو الميراث الذي أخذه العبرانيون والإغريق وصدّروه بإســـمهم . باســـم الدين أو الفلسفة . وإذا كانت الديانة المصرية قد ظلت تحتفظ حتى عصـــر متأخر بأسماء الآلهة المحلية فإن هذه الآلهة كان دورها يقتصر على الـدور الذى يلعبه الآن القديسون والأولياء والشفيعون فى عصرنا الراهن دون أن يمس ذلك وحدانية الله أو السمو الأخلاقي للدين**[7].

وكان من أهم الآلهة المصرية القديمة :

1- **أوزيريس (أوزير) :**

وهو إله الموتى . وهو أحد (سادس) أعضاء التاسوع الإلهي فى أون [تمو ، شو ، تفنوت ، سب، نوت ، أوزيريس، إيزيس ، ست ،نفتيس]

وقد جُسّد (أوزيريس) فى طبيعة الحياة الأبدية وسرعان ما أضيفت عليه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صفات (رع) و (أتوم) وغيرهما من الآلهة . وصار فـــى النهايـــة إلـــهاً للموتى وللأحياء أيضا وسيداً للأبدية ورئيسا لمحكمة الآلهة فى العالم الآخر . وكتجسيد للموت والبعث كان يروق للمصري أن يتوحّد به بعد موته لدرجـــة أنه لا يُخاطب بإسمه بعد الموت إلا مقترنـــا باســم أوزيريـــس ، وثـــالوث (أوزيريس - إيزيس - حورس) وهو ما يسمى بالثالوث الأوزيـــرى كـــانت تُصنع له التماثيل الصغيرة الدقيقة التى يحملها المصري معه أينمـــا ذهـــب . **وهذا الثالوث قد تجاوزحدود مصر إلى بلاد الإغريق والرومان وحتى الـــهند شرقا وفرنسا غربا** . وظلت طقوس العبادة تمارس حتى ظـــهور المســـيحية بأكثر من أربعة قرون .

2-إيزيس (إزيت) :

وهى زوجة (أوزيريس) الوفيـــــة وأم (حورس) وابنـــــة (ســـب) و(نوت) . ووردت أوصافها فى مختلف النصوص على أنها الإلهة العظيمـــة والأم المقدسة . وفى عصر **متأخر سميت** أم الآلهة وكانت تُمثل غالبا علـــى هيئة امرأة ترضع طفلا (حورس) وكانت البقرة حيوانـــها المقـــدس وقـــد تحولت من إلهة محلية (فى الدلتا) إلى إلهة عالمية غزت العالم القديم .

3-حورس (حرو ، حرور) :

وهو الإله الشمسي البالغ القدم ويمثل على هيئة صقر **وهـــو أول كـــائن عبده المصريون** . أما حورس بن إيزيس فيمثّل دائما على هيئة طفل وإصبعه فى فمه .

4-ست (ساتى ، سوتخ) :

وهو فى الأسطورة الأوزيرية **يمثل إله الشر** الذي يجـــب محاربتـــه أو مداهنته وتجنب شره . **وهو معبود الهكسوس.**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

5- **نفتيس (نبت - هات ، نبت حت):**

وهى ابنة (سب) و (نوت) شقيقة أوزيريس وإيزيس وشقيقة وزوجه (ست) .

6- **أنوبيس (إنبو) :**

سيد الجبّانة ورسول (أوزيريس) **وحامى المومياء** . ونراه حارسا وضابطا للميزان فى النقوش ويصوَّر على هيئة إنسان برأس ابن آوى (الثعلب) .

7- **تحوتى (تحوت، توت) :**

وهو إله الحكمة وهو الذى نطق بالكلمات التى أوجدت العالم وقام بتنفيذها الإلهان (بتاح) و (خنيمو) . وفى اللاهوت القديم اُعتبر خالق نفسه والإله العظيم للأرض والسماء والبحر والهواء . وينسب إليه الإغريق كل ما يتعلق بالسحر أو الهرمزية (نسبة إلى نظيره اليوناني هرمز) . وهذه القدرة السحرية تفسر حرص المتوفى على شفاعته لأنه القادر على حمايته من القوى الشريرة التي تعترضه وهو الذى يمنح المتوفَى ملايين السنوات من الخلود .وفى الحياة الأخروية يلعب دور القاضي ويظهر غالبا فى صورة إنسان برأس طائر أبى منجل (أبيس) محاطاً بتاج أو قرص يحتضنه قرنان قابضاً على علامة الحياة (الأنخ) فى يده اليمنى وفى يده اليسرى رمز السيادة . وأحيانا يمسك بالمحبرة ورمز الهلال البيضاوى . وكثيراً ما يظهر فى صورة قرد ممسكا بأدوات الكتابة .

8- **ماعت :**

وتشمل معان متعددة مثل **الحق والعدل والصدق والحقيقة** والاستقامة والجوهر ومالا يقبل التبدل أو التغير .. الخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وماعت ابنة (رع) وزوجة (تحوت) وتُجسَّد على هيئة سيدة جالسة تحمل على رأسها ريشة العدل والحق .

وتظهر فى صورتين (فى المحاكمة) إحداهما تجسد القانون الوضعى والأخرى تمثل القانون الإلهي أو الإنساني أو الأخلاقي .

9-حتحور (حت - حرو ، حت - حرت) :

إلهة الحب والجمال والسعادة . تصورها المصريون على هيئة بقرة كان (حورس) إله الشمس يشرق ويغرب بين كفليها . واعتبرها الإغريق مثيلة للإلهة(أفروديت) . وكانت على صورة لبؤة متوحشة تلتهم لحم أعدائها . وقد وجد المصريون أن طبيعتها الجميلة الوادعة لا تتعارض مع صورتها المخيفة تلك التى تشبه الإلهة (سخمت) . فالحب يجمع بين النقيضين معا .

وتنقسم الديانات إلى :

1- **ديانات روحية :** وهى تلك التى يبعث بها الله الرسل . **(ديانات سامية)** مثل الديانة المسيحية واليهودية.وفكرة الأبوة الإلهية فيها منْبتّة عن الأساس المادي للأبوة الطبيعية (البنوة لله مسألة تشريف ومِنة) .

2- **ديانات مادية :** وهى تلك الديانات الوثنية التى تكون فيها أبوة الإله أبوة مادية (عند اليونان)**(ديانات آرية)**.وللدلالة على الفارق الجوهرى بين المفهومين الآرى والسامى فيما يتعلق بالطبيعة الإلهية يقال أن الأساطير الآرية التى تتصرف الآلهة فيها كالبشر ويختلطون بهم بل ويشتركون معهم فى حياة واحدة لا مكان لها فى الديانة السامية . إلاأن هذه الفرضية لا أساس لها . وباستثناء الأدب المسمارى البابلى فليست هناك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتابات قديمة عن الوثنية السامية . غير أن الساميين لم يكن لديهم شعور ملحمي أسطوري مقارنة بنظيره عند اليونان (الإغريق) إلا أن العبقرية السامية كان يشوبها القصور فى مجال الإبداع المنظم والمثابر (الشعر العربى القديم ليس له صلة كبيرة بالدين وليست هناك أساطير كثيرة فى أشعار الجزيرة العربية الوثنية) .

وفى واحدة من الآثار القليلة من الأساطير القديمة تم زرعها ضمن النقوش العبرية دون تغيير نقرأ عن أبناء الآلهة ممن اتخذوا زوجات من بنات البشر وأصبحوا آباءً لأبطال العصور الغابرة (إزدوبارفى الأساطير البابلية وهو من لم تأنف الإلهة عشتار من أن تمنحه نفسها) .

والشعوب السامية القديمة تزعم انتسابها لجد واحد وتنتشر فى ديانتهم القومية فكرة فحواها أن الإله وأتباعه ينتمون لأصل واحد وهو ما يُعدّ دليلا قويا على أن أسس ديانة الساميين قد وضعت قبل بدء التاريخ المكتوب بحقب بعيدة فى عصور سحيقة كانت القرابة فيها هى النمط الوحيد المعترف به للعلاقة الودية بين أفراد بنى البشر ثم بينهم وبين كيان غيبى ما . ويلاحظ فى مختلف أركان المنطقة السامية أن هناك آلهة كانت فى الأصل إناثاً ثم غيروا جنسهم وتحولوا إلى آلهة ذكور (عشتار تحولت إلى عشتر) .

ويلاحظ أيضا أن القبائل الرعوية البدائية التى كانت قطعانها تتكون من أبقار وثيران كانت تعتبر أن البقرة والثور من الكائنات المقدسة التى لم تكن لتؤكل أو لتذبح أو لتقتل فى أقدم العصور إلا كقرابين .

ولا يمكن الزعم بأن الدين القديم كقوة اجتماعية وسياسية قد فشل فى أداء مهمته فى المراحل الأولى من تطور المجتمع السامى إلا أن صلته بنظام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأسرة والعشيرة التقليدية الموروث كانت أوثق من أن يحتفظ بحيويته الكاملة مع انهيار النظام الاجتماعي . وحين تغيرت حدود الشعوب (بالهجرة القبلية أو بالترحيل الجماعي كما فى سياسة الآشوريين الغزاة) كان من الطبيعي بالنسبة للقادمين الجدد أن يسعوا إلى الانضمام إلى المعابد التى يُعبد فيها إله البلاد المحلى وكان يفلحون فى ذلك بتقديم أنفسهم بإعتبارهم رعايا له (لم يكن رعايا الإله يقفون بالضرورة من أتْباعه القدامى موقف التبعية السياسية) إلا أن العلاقة بين أتباع الإله الجدد والإله لم تعد كما كانت فى النظام القومي القديم بل فقدت قدراً من ثباتها واستقلاليتها(بالخضوع من جانب الأتْباع والسخاء من جانب الإله). وعندما كانت العلاقة بين الإنسان والإله تزداد تباعداً بدأ البشر يزدادون خوفا من الإله ويبدون مزيداً من المذلة فى تعبدهم له فى حين أن مشاعر الإخلاص كانت تنمو باضطراد نتيجة للاعتقاد بأن رضا الإله وعطفه كان مِنة منه لا حقّاً مكتسبا . (**نجد فكرة تبعية بنى إسرائيل للرب واقامتهم فى أرض لاحقّ لهم فيها معتمدين على سخائه اعتماداً مطلقاً كما ورد ذلك فى التوراة) أى التقوى المشوبة بالجبْن و التى ميزت اليهودية فى حقبة ما بعد السَبّي البابلى عن بنى إسرائيل القديمة.كان الرعايا الجدد يتم قبولهم على أساس حسن سلوكهم**[8]. وكانت روح الشرعية فى اليهودية ترتبط بالجدية الأخلاقية الحقة أما عند الساميين الوثنيين فنجد نفس روح الشرعية ونفس الشك الخفي تجاه موقف الإنسان من الإله الذى يحتاج إلى حمايته فى حين أن الفكرة عما يرضى الإله لم تكن قد ارتفعت لنفس المستوى الأخلاقي بعد .

وكانت الفكرة العبرية عن المِلْكية الإلهية (تبعية الفرد للإله) باعتبار الرب إلهاً يحب شعبه تتوقف على ناموس الحق المطلق . واندمجت المفاهيم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عند بنى إسرائيل وحدهم فى ديانة الإله القومي السائدة بينهم .

ومن المعلوم أن كل الأفعال الدينية القديمة لها تجسيد مادى . وهو أمر لم يُترك لاختيار العابد بل تحكمه قواعد محددة . فهى لاتمارس إلا فى أماكن محددة وفى أوقات محـددة وبأدوات ماديـة محـددة وفقـا لآليـات محـددة [9].أى أن البشر لا يستطيعون إقامة حوار مع الآلهة إلا من خلال أشياء مادية محددة.

وفى الأساطير البابلية نجد أن الإنسان والحيوان خُلقا من طين ممـزوج بدم إله كما أن قصص انحدار الإنسان من نسل الآلهة عند اليونان تقف جنبـا إلى جنب مع الأساطير القديمة التي تحكى عن نشأة الإنسان مـن الشـجر أو الصخور أو عن أجناس من البشر وُلِدوا من أم شجرة وأب إله . ولنفس هـذه المرحلة من مراحل التطور الفكرى تنتمى حكايات مسخ البشر فـى صـورة حيوانات (أساطير الجزيرة العربية وأساطير المسخ عند ساميي الشمال التـى وصلت إلينا فى أشكالها الإغريقية) وأيضا فى الفن التشكيلي يتضـح الولـع بالوحوش الخرافية التى يكون نصفها بشريا ونصفها الآخر حيوانيـا (فـى كلدانيا وبابل وفينيقيا) .

ولعل تأثير هذه الأفكار على الأنساق الدينية المبكرة أمر يمكن تناوله فـى نقطتين :

1- إن نطاق الغيبيات شاسع لدرجة أن الدين القديم يحاول أن يتعامل مـع كل مظاهره (السحر وقراءة الغيب) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

2- لم تكن للآلهة سمات تميزها بوضوح من حيث طبيعتها عن أنساق الكائنات الشيطانية الأدنى أو حتى عن المحسوسات التى كان يُعتَقد أن لها صفات شيطانية وتكمن سمتهم المميزة فى علاقتهم بالإنسان (أتْباعهم) .

ويمكن النظر فى العلاقات المحلية بالآلهة من ناحيتين :

أ- كانت قوة نشاط الآلهة ونطاق سيطرتها يُعتَقد أنه محدود ببعض القيود المحلية .

ب- كان من المعتقد أن الآلهة تتخذ من المعابد سَكَناً ومقاماً لها.

وهذان المفهومان لا ينفصلان حيث كان نطاق السلطة والنفوذ الإلهين يحيط بالمعبد مقر الإله (كنعان أرض الرب يَهْوَه وشعب بنى إسرائيل شعب الرب يَهْوَه) (10)

وأن الإله لا يُعْبَد خارج أرضه (تُعتَبَر البلاد الأجنبية فى لغة العهد القديم أرضاً نجسه) (11).

وكان يُعتقد فى عقيدة القدماء أن الآلهة الوثنية لم تكن قادرة على كل شىء بل يُعتقد أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا إلا فى وجود كهنتها وأن نطاق سيادتها ونفوذها الدائم ينحصر فى مقرها .

وفى أقدم أشعار العبرانيين حين يَحلّق الرب فوق أرضه - فى العاصفة - فإنه لا ينطلق من السماء بل من جبل الطور وكان إيجاد أقداس جديدة وإنشاء هياكل جديدة ومعابد لا يتم إلا فى المكان الذى قدّم الإله دليلا قاطعا على وجوده فيه (بالتجلي لأتْباعه) . وكان التجلي فى الأسفار الأولى من التوراة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يؤخذ دائما على أنه مبرر قوى لتقديم القرابين فى نفس المكان . فنجد (شاؤل) بنى مذبحاً فى موقع انتصاره على الفلسطينيين[12]. وأيضا يقدم (جدعون ومنوح) قربانا فى المكان الذى تلقيا فيه رسالة من الرب[13] .

والرب فى ديانة العبرانيين ليس قريبا فى كل مكان وزمان - كما يشيعون - وليس شرطا أن تكون التجليات حديثة بل يفترض أنها حدثت من قبل ومن المفترض أن يتجلى الرب عندها مرة أخرى . فحين يرى يعقوب (إسرائيل) فى المنام تجليا إلهيا فى (بيت إيل) يستنتج أن الرب حاضر هناك وأن المكان هو (بيت الرب وبوابة السماء) ولذا فقد ظل (بيت إيل) يُعدّ أحد الأقداس الكبرى حتى السّبى البابلى (ومثلها بيت شكيم وبيرسبع) وكانت تلك الأماكن تُعدّ وثنية فى نظر الأنبياء (لأن الرب قريب يجيب دعوات البشر فى كل مكان والرب يُعبد فى كل مكان) .

وللشياطين - كما للآلهة - أقداس خاصة . وهى أماكن لها رهبتها وخطرها عند الأتباع . والجن غرباء وبالتالى فهم أعداء (وفقا لقانون الصحراء والبداوة) فى حين أن الإله فى نظر أتباعه الذين يترددون على قدسه قوة معروفة وصديقة .

وانتصار الآلهة على الشياطين كانتصار الإنسان على الوحوش لابد وقد حدث بصورة تدريجية ولم يستقر إلا فى المرحلة الزراعية حيث أصبح إله الجماعة هو نفسه سيد الأرض وواهب كل ما بها من طيبات وخيرات . وببلوغ هذه المرحلة فإن الشياطين والأرواح الخبيثة إما طردت إلى الخرائب والأماكن المهجورة أو تراجعت مكانتها لتصبح كائنات تابعة لا يُحسب لها حساب إلا فى الغيبيات الفردية الخاصة دون أن تكون لها صلة بالديانة العامة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(وهذا هو الرأى الذى شاع بين العبرانيين القدماء والذى ساد أيضا - بالطبع بين جيرانهم الكنعانيين) . والفارق بين ماهو (مقدس) وما هو (عادى) من أهم النقاط فى الدين القديم .

وقداسة الآلهة تعبير يصعب حصره فى معنى محدد بمعزل عن قدسية بيئته المادية المحيطة به وتتجلى فى الحُرْمة التى تُضفَى على الأشخاص والمواضع والأشياء والأوقات التى يتم التواصل بين الآلهة والبشر من خلالها (ممارسة الكهانة أو الطقوس أو الصلوات) .

وكانت القرابين فى الديانة القديمة وسيلة من وسائل الدعاء والتضرع وكان العابد حين يقدم قربانه يتطلع إلى دليل ملموس ينم عن إجابة دعائه (كأن يغوص القربان فى أعماق الآبار وعيون المياه المقدسة أو المحرمة إذا ماحاز القبول أما إذا طفا على السطح فلا قبول للدعاء والطلب) . والطقوس الدينية العامة عند الساميين - فى الدين القديم - يتم التعبير عنها وممارستها لبيان مدى الثقة فى العناية الإلهية التى تخص الجماعة في مهامها وأهدافها العامة . (يلتقى أعضاء الجماعة لتناول الطعام والشراب - مثلا - على مائدة إلههم فيتجدد إحساسهم أنه معهم) . **وطبقا لذلك فإن الجماعة حين تتحد فى كيان واحد مع نفسها (أخوة العقيدة والدين) وفى كيان واحد مع إلهها فإن لها أن تفعل ما تشاء مع كل من هم خارجها طبقا لما تنص عليه تلك الديانة. فأصدقاؤها أصدقاء الإله وأعداؤها هم أعداء الإله** . وفى العهد القديم نجد أن المائدة المشتركة كانت تُعد لإبرام التحالفات (التحالف كان ملزِماً غير قابل للنقض) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والقرابين - فى الأصل - يلتهمها الأتْباع وشيئاً فشيئاً توقف التهام بعض أجزاء القرابين العادية وكل لحم القرابين غير العادية (قرابين التكفير) . وما كان يلتهم كان يُحرق وبمرور الزمن أصبح يُحرق على المذبح ويعتبر منحة للإله.**وكان الهدف العام للطقس (القربان) هو الحفاظ على رباط القدسية المادية التى تحفظ وحدة الجماعة الدينية (القرابين العادية) .**

وهناك نوع من (القرابين المقدسة) تُقدم فى عدد من المناسبات دون وجود إحساس بالخطيئة (مثل استهلال الحملة العسكرية بتقْدمة قربان يُحرق وكان الغرض منه مباركة المحاربين) (قديش ملحماة) وهو ماكان يُعدّ من أشد القرابين قدسية فى إسرائيل القديمة .

والقرابين التكفيرية السنوية التى كان يُحتفَى بها بطقوس استثنائية ينبغى إرجاع أصلها الأول إلى إحساس متنام بالخطيئة أو الخوف من غضب الإله (مثل عيد الفصح العبرانى فى شهر نيسان / أبريل فى الربيع وعيد الغفران الكبير)،وقرابين التكفير الخاصة (الفردية) التى يقدمها الفرد عن خطاياه تُعد طقسا دينيا حديثا نسبيا.

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهودية دين ودنيا

كشف (جاك أوستراك) الطبيب الفرنسي (1684 - 1766م) عن وجود اسمين مختلفين للإله فى سفر الخروج : إلوهيم ، يَهْوَه .

واكتشف (أوستراك) أن الأجزاء التى تستخدم اسم (إلوهيم) تروى رواية مختلفة عن تلك التى تستخدم اسم (يَهْوَه) . وأنه قد أُستخدم اسم (إيل) فى سفر التكوين أكثر من اسم (يَهْوَه) ومنه جاءت تسميات إسرائيل وإسماعيل . والمعروف أن الإيلوهيم (الآلهة) هو جمع للإسم (إيل) أى الإله السامي .

والتوراة إسم يُطلق مجازاً على أسفار العهد القديم لكنه فى الحقيقة يختص بالأسفار الخمسة الأولى وهى :

التكوين - الخروج -اللاويين - العدد - التثنية (تثنية الاشتراع) .

وكلمة (سِفْر) معناها كتاب وجمعها أسفار وأُصطلح على إطلاق الاسم على جزء مستقل من أجزاء العهد القديم . وهذا الجزء يُجمع تحت عنوان يحمل دلالة حدث هام مثل **التكوين** (خلق السماوات والأرض) **أو الخروج** (خروج بنى إسرائيل مع موسى من مصر) أو يسمى على (إسم قبيلة أو سِبْط يهودى) **مثل اللاويين** . أو (شخص) مثل أيوب وعوبديا وإرميا أو إسم غير محدد مثل المزامير والجامعة وأخبار الأيام والملوك ... الخ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذلك(العهد القديم) أُطلق على هذا الجزء من (الكتاب المقدس) تمييزاً له عن العهد الجديد (الإنجيل) كتاب المسيحيين المقدس .

والنص العبراني الذي بين أيدينا اليوم يضم تسع وثلاثون سِفْراً تُقسم إلى ثلاثة أقسام هى :

التوراة – الأنبياء – الكتب .

وهذه الأقسام الثلاثة تسمى بالعبرية تناخ أو تنخ Tankh

(الاسم مشتق من الحروف الأولى للكلمات العبرية (توراة -نبيئيم – كتوبيم) كذلك يسمى هذا الجزء المعتمد عند اليهود باسم (المقْرا) أى النص المقروء و (المصورة) أو المصورات نسبة إلى العلماء المصورين الذين بحثوا فى الحروف الصوتية للغة العبرية . والنص النهائى (**للتوراة الماصورية**) انتهى وضعه فى القرن الثامن الميلادي وهو يختلف اختلافا طفيفا عن الترجمة اليونانية التى ترجمها حوالي سبعين شخصا فسمى (النص السبعينى) وقد وضع هذا النص خلال القرن الثالث ق . م . وبشيء من التفصيل فإن الأسفار الخمسة الأولى هى :

1- **التكوين :** وتبدأ بحكاية خلق الكون فتسرد سلالة الإنسان منذ آدم مروراً بقصص نوح والطوفان وسيرة إبراهيم (عليه السلام) من وجهة نظر يهودية ثم سيرة ذريته مع التركيز على إسحاق ويعقوب (الذى يسمى فيما بعد بإسرائيل) وهجرة يعقوب وراء إبنه يوسف إلى مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

2- **الخروج :** ويقص محنة بنى إسرائيل فى مصر إلى أن بُعث فيهم موسى فيقودهم للخروج من مصر إلى برية سيناء حيث يتيهون فيها أربعين عاما إلى أن يدخلوا الأرض المقدسة بقيادة يشوع بن نون فتى موسى (عليه السلام) وقائد جيوشه.

3- **اللاويين :** ويركز على الشرائع الكهنوتية ويرسخ مكانا خاصا للكهنة فى شعب إسرائيل .

4- **العدد :** وينظم بنى إسرائيل ويحصيهم حسب إرادة الإله ثم يسرد جانباً من سيرة موسى (عليه السلام) وتذمرات بنى إسرائيل عليه .

5- **تثنية الاشتراع (التثنية) :** وفيه يتم إعادة نص الشريعة التى وردت فى سفر اللاويين بصيغة أخرى فيجنح بشكل غير مباشر لإقرار الحكم الملكوتى فى إسرائيل . وقد دون هذا السفر فى القرن الثامن ق. م ويقال أن التشريعات التى وردت مأخوذة عن أمم أخرى (الشوميريين والأكاديين والمصريين) كما سنرى فيما بعد.

ويتألف **قسم الأنبياء** من أسفار يشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك الأول والثانى وأخبار الأيام الأول والثانى وإشعياء وإرميا وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجّاى وزكريا وملاخى على الترتيب . ويتضمن هذا القسم (الأنبياء) باقى تاريخ العبريين بعد موت موسى (عليه السلام) وحتى السَبْى البابلى فيسرد تاريخ استيلاء العبرانيين على بعض أراضى فلسطين وحروبهم مع جيرانهم من سكانها الأصليين ثم يروى أحداث حكم القضاة الدينيين للشعب حتى تبلغ مملكة إسرائيل أقصى مجدها على عهد النبيَين داوود وسليمان (عليهما السلام) . ومن بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سليمان تنفصل المملكة إلى مملكتين على عهد إبنه رحبعام . ثم تمضى الإصحاحات تروى ما قام بين المملكتين من حروب ومناوشات تنتهى بالانفصال الاجتماعي والكراهية السياسية إلى أن تنهض مملكة آشور فى العراق فتستولي على مملكة الشمال (إسرائيل أو السامرة) وتسْبى سكانها (الأسر ثم النفى) ثم تخلف مملكة آشور مملكة بابل وتكرر الفعل مع مملكة الجنوب (يهوذا) فتقضى على آخر كيان سياسى لليهود فى فلسطين وحتى عصرنا الحالى (القرن العشرين).

ويقسم البعض أسفار الأنبياء تلك إلى أسفار الأنبياء الأول والأنبياء الآخر الذين كثر ظهورهم مع الأنبياء الأخيرة لإسرائيل فى فلسطين (أيام الكيان السياسي للمملكة) حيث بلغت آثام وشرور بنى إسرائيل مداها . واستتبع اضطراب أحوالهم الدينية اضطراب فى أحوالهم السياسية والاجتماعية إلى أن انتهى أمرهم جميعا إلى السَبْي فى مدن العراق على يد آشور وبابل .

أما **أسفار الكتب** الأخرى فتحوى كلمات الحكمة . مثل المزامير والأمثال وأيوب ونشيد الإنشاد ومراثى إرميا والجامعة وأستير ودانيال وعَزْرا ونحميا ويغلب على تلك الأسفار (الأخيرة) الطابع الأدبي شعراً ونثراً وتروى قصص وحكم تواترت عبر الأجيال أو ارتبطت بحوادث اجتماعية وسياسية ودينية .

وهناك توراة سامرية وأخرى عبرية . **فالتوراة العبرية** تحتوى على أسفار مقبولة من اليهود العبرانيين (الجنوبيين) **ويطلق عليها الأسفار القانونية الأولى** . وهى أسفار مقبولة من كل الطوائف المسيحية . **أما الأسفار القانونية الثانية** فهى أقل حظا فى القبول وتسمى (**الأبوكريفا**) أى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(**المخفية**) وهو الاسم الذي أُطلق عليها من طائفة البروتستانت المسيحية التى رفضت هذه الأسفار باعتبارها مدسوسة على التوراة ولا ترقى إلى مستوى الوحي الإلهي. وتضم موضوعات غير ذات أهمية أو خرافات لم يقبلها اليهود ولا أصحاب التيار الإصلاحي المسيحي (البروتستانت) معتمدين فى رفضهم أن (يوسفوس) المؤرخ والمؤلف اليهودي الشهير لم يذكرها ولم يستشهد بها بعض الآباء الأوائل للكنيسة . **وهكذا اعتمدوا على مؤرخ عار من القداسة لتقرير قضية إلهية هامة وهى ألوهية نصوص مقدسة** . ويقال أن هناك أسفار أخرى لفقها اليهود والهراطقة ورفضتها كل الكنائس المسيحية مثل أسفار عَزْرا (الثالث والرابع) وأسفار المكابيين (الثالث والرابع والخامس) وغيرها . ومن المعروف أن (**التوراة السامرية**) تلك التى تُنسب لليهود الذين سكنوا مملكة إسرائيل (فى الشمال) واتخذوا مدينة شكيم (نابلس) عاصمة لهم واعتقدوا فى قدسية (جبل جرزيم) .

أما (**التوراة العبرانية**) فتلك التى تُنسب لليهود الذين سكنوا مملكة يهوذا (فى الجنوب) واتخذوا مدينة أورشليم (القدس) عاصمة لهم واعتقدوا فى قدسية (جبل صهيون) . وكلاهما قد أقام لنفسه معبداً للإله (هيكلا) فوق الجبل المقدس (جرزيم وصهيون) [14]

ويزعم (السامريون) أنهم هم البقية الباقية على اليهودية الصحيحة وأن الجبل الذى يقدسونه (جرزيم) هو المكان الذى بنى عليه أباهم الأعلى يعقوب (عليه السلام) معبده المكرس للرب . ويرفض السامريون الأنبياء الذين أتوا فى إسرائيل بعد موسى (عليه السلام) ويرفضون الأسفار اليهودية المقدسة الأخرى (ماعدا الأسفار الخمسة الأولى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أى أنهم يرفضون المِشْنا والتلمود والمِدْراش والتى يعتبرونها من أعمال الكفر . ومن هذا الافتراض **تُعتبر التوراة السامرية لم تُكتب أو تُجمع أثناء السَبْى البابلى بل حدثت قبل هذا التاريخ بسنين طويلة .**

إن العداء بين يهود مملكتى الشمال والجنوب لا يمكن تجاهله بل تحكى التوراة العبرانية فصوله وهى تؤرخ لمملكة يهوذا . ولذلك فليس مستغربا أن تصف التوراة العبرانية صراحة وفى أكثر من موضع مملكة الشمال (إسرائيل) بأنها مؤسسة على الكفر ورفض الدين التوحيدى والأكثر رفضا وتنكيلا للأنبياء وبالتالى فالسامريون (فى نظر العبرانيين) لا يتم الاعتراف بهم كيهود ولا بتوراتهم (التوراة السامرية) بعد السَبْي الآشوري وصاروا (جوييم) أى غرباء.

أما السامريون (وهم الآن قلة تعد بالمئات) فينسبون أنفسهم إلى (هارون) أخي موسى (عليه السلام) ويعيشون فى عزلة عن باقى اليهود من كل الطوائف . والسامريون - فى توراتهم - لا يجسدون صورة الإله بل كل موضع فى التوراة يكون فيه تجسيد يستبدلونه بكلمة ملاك الرب أو ملاك الله (فمثلا إذا كانت التوراة العبرانية تقول ظهر الرب لإبرام تقول التوراة السامرية : وتجلى ملاك الرب لإبرام .. وهكذا) .

على أن علماء الغرب الذين اضطلعوا ببحث ودراسة الكتاب المقدس يتعاملون دائما مع التوراة العبرانية على أنها النص الوحيد المعتمد . وحتى زمن السَبْى البابلى كان اليهود شبه متفقين على الأسفار الخمسة الأولى من التوراة . وفى السَبْى لم يحدث اختلاط كبير بين أهل يهوذا (الجنوب)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المَسْبيين حديثا وأهل إسرائيل (الشمال) الذين تم سَبْيهم قبل ذلك بسنين كثيرة (135 عاما) . ومازال هذا الشقاق قائم حتى إبان العودة من السَبْى (أيام حكم كورش الملك الفارسى) **ومن ذلك نفهم أن عَزْرا *(كاتب التوراة فى السَبْى) أثناء السَبْى كانت له وجهة نظر فى التوراة فأعاد صياغة الأسفار الخمسة الأولى منها وأضاف لها ما أضاف فقبل العبرانيون منه ذلك بينما رفض ذلك السامريون واحتفظوا بنسختهم التى حوت الأسفار الخمسة الأولى قبل تدخل عَزْرا فيها . وعلى هذا فإن التوراة العبرانية هى توراة الأغلبية اليهودية والتى يؤمن بها العالم المسيحى ويسميها العهد القديم .**

وعن توراة موسى (عليه السلام) يقول (**عاطف عبد الغنى**) فى كتابه (أساطير التوراة) [15]أنها ربما اقتصرت على الوصايا العشر التى نُقشت على لوحى حجر احتواها(تابوت العهد)[16]ونصوص الشريعة التى تخدم قضيتى التوحيد والإيمان . **أما (عَزْرا)صاحب التوراة العبرانية فى صورتها الأخيرة فهو رجل صاحب أيديولوجية سياسية دينية كان جل هدفها أن تجمع شتات بنى إسرائيل من النفى فى بلاد العراق. تجمعهم نفسياً قبل أن تجمعهم عدديا وتقنعهم بالعودة إلى فلسطين - أرض الميعاد - ولذا فقد شرع عَزْرا يجمع (أو بالأصح يكتب) للمسبيين تاريخاً مقدساً يربطهم بأول الزمان وآخره فيبرز فيه المواعيد المقدسة بين الإله وإسرائيل . وفى هذا التاريخ اختلط اللاهوت بالسياسة والحكمة بالأسطورة وفلسفات المدنيات التى تأثرت بها اليهود فى تاريخهم .** (وجد هوبر[17]أن التوراة لم تُكتب بواسطة موسى وأن

(*) أثبت البحث العلمى أن الشطر الأكبر من العهد القديم قد تم تدوينه فيما بين عَزْرا (421 ق.م) والفتح الرومانى (63 ق.م) والأدلة كثيرة منها نصوص التوراة الحالية نفسها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سِفْر يشوع لم يصدر من قلم يشوع وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة كُتب زمن السَبْى أو بعد العودة إلى فلسطين).

ومفهوم النبوة فى إسرائيل أصبح فيه اختلاط بين النبوة الموهوبة من الإله والتنبؤ الحِرْفة أو الصَنْعة التى هى من عمل الشيطان تُستجلب عن طريق السحر والعرافة (الكَهَانة) فجعلت استحضار روح الرب واستجلابها يأتى بالعزف المقدس (ميراث طقسى موروث من المعابد المصرية القديمة) . وجعلت صموئيل (مثلا) يعين ويعزل الملوك ويمسح الأنبياء فى إسرائيل ويرضى ويسخط ويمسك السيف بيده فيقطع به رقبة أسير أعزل . وجعلت (أيضا) ناثان يحاكم النبى داود (عليه السلام) رغم أننا لا نجد فى سيرتى صموئيل وناثان ما يؤهلهما لهذا التكريم والاصطفاء . **ومن المفاهيم المغلوطة التى تقررها التوراة فى مسألة النبوة أن جعلتها للنساء** (مريم أخت هارون وموسى - دبورة قاضية إسرائيل زوجة فيدوت - خلْدة امرأة شلوم) .

وعن **مفهوم التبرير** يقول (**عاطف عبد الغنى**)[18] أن الكتبة (كتبة التوراة) حاولوا دائما إعطاء سند إلهى لأكثر الحوادث الوارد ذكرها فى التوراة لإضفاء صفة الشرعية عليها ودعم صدقها حتى ولو كانت تجافى العقل والمنطق مادامت هى إرادة السماء . فمثلا بررت التوراة الموقف العدائي لبنى إسرائيل من الكنعانيين إلى سبب قديم جداً يعود إلى عهد نوح (عليه السلام) فتحكى رواية التوراة أن (حام) أحد أبناء نوح (الثلاثة) قد كشف عورة أبيه . فلما عرف نوح الخبر لعن ذرية حام فى (كنعان) إبنه ونسله وحكم عليه أن يكون عبداً لأخويه (سام ويافث) . وأيضا فى قصة زنا ابنتى لوط (عليه السلام) بأبيهما – بهتانا - مايبرر حرب بنى إسرائيل ضد نسل العمونيين والمؤابيين . وأيضا جعلت التوراة سببا لانقسام مملكة بنى إسرائيل بعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سليمان (عليه السلام) إلى مملكتين متناحرتين بأن وصمت سليمان - زوراً - بالشرك وأنه :

*لم يكن قلبه كاملا مع الرب كقلب داود أبيه [19].

وكان (عَزْرا) يبحث عن مبرر قوى لإقناع أكثر اليهود بالعودة إلى فلسطين فلم يجد خيراً من الدين يؤثر به على الوجدان فيثير العاطفة نحو أرض الميعاد ويحيي فيهم وعود الرب التى قطعها لهم علامة ودليلا على رضائه عن شعبه وإبنه البكر إسرائيل .

والتوراة الموجودة بين أيدينا الآن مليئة بالأرقام والأعداد وفيها مبالغات كثيرة مثل الحديث عن تعداد شعب إسرائيل الذى خرج من مصر كان أكثر من مليون (عند دخولهم مع يعقوب (عليه السلام) وأخوه يوسف (عليه السلام) كان عددهم فى حدود السبعين) رغم أن المدة التى مكثوها فى مصر حوالي أربعة قرون (قدرتها التوراة 430 عاما وقدرها الباحثون بحوالي 230 عاما) هذا بخلاف التناقض الحادث فى أعمار الأنبياء .

وعن الأمراض المقدسة Crten ورد مرض البَرَص وكأنه قمة انتقام الرب من العبد ويُعدّ دليلا على النجاسة . وهناك أيضا بَرَص الملابس والأقمشة التى تعرض على الكاهن ليقرر إصابتها من عدمه وكذا بَرَص البيوت (المباني) وللطهارة من مرض البَرَص طقوس شكلية غريبة تنتهي بتقديم ذبيحتى خطية ومحرقة مع تَقْدِمَة [20].

وفى سِفْر العدد نجد شريعة نجاسة المرأة بعد الولادة تفرّق فى النجاسة (النِفاس) حسب نوع المولود . فإذا كان ذكراً فالمرأة تكون نجسة سبعة أيام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما فى دم تطهيرها . أما إذا كان المولود أنثى فـــالمدة ترتفع إلى الضعف .

وعن الدراما التوراتية Crneey [21]يقول عاطف عبد الغنى فى كتابـــه أساطير التوراة أن نظرية الدراما التى أسس لها أرسطو تفترض أن التراجيديا بدأت بالقصة الخرافية البسيطة (الأسطورة أو الأحدوثة) ويحدث فيها تغيـير للأحداث بتسلسل حتمى ومنطقى ومحتمل لا يتغير تغـيراً فجائيـا . ولا بـد للتراجيديا أن تحتوى على ستة أجزاء أهمها القصة ثـم الطبـاع أو سـمات الشخصية المميزة أو العواطف (المحاكاة) ثم يأتى النظْـم (السـرد) فـى المرتبة الثالثة وهو إما أن يكون نثراً أو شعرا .

والتراجيديا ليست محاكاة للأشخاص ولكن محاكاة للأفعال . للسـعادة أو الشقاء . على أننا يجب أن نضع فى الاعتبار أن الخير المطلق هو الـهدف الحقيقي للحياة . وبالقياس على القصص التوراتية نجد أن الأحداث تتغير فجأة بلا مقدمات أو تبريرات بل نجد المبالغات ولا منطقية الأحداث (مثل قصـة بلعام فى سِفْر العدد وقصة أستير فى الأسفار القانونية الأولى والثانية وسِـفْر أستير) .

وقصة أستير تعتبر نموذجا لتحول الأسطورة القومية إلى أسطورة دينية ويتضح فيها التأثر بحضارة بابل (أسماء أبطال القصة جميعهم ذات أصـول بابلية أو علامية حيث أستير مشتق من عشتار إلهة البابليين ومردوخاى مـن مردوخ الإله البابلى وهامان إسم الإله العيلاّمى همان) . **وقصة يهوديت فـى** السِفْر المسمى بإسمها [22]وتروى أحداث السِفْر كيف أوقعت يـهوديت قـائد العدو الآشورى فى حبائلها بجمالها الأخّاذ وأسكرته ثم ذبحته فتحولـت إلـى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قديسة وبذلك يبرر الكتاب المقدس (العهد القديم سِفْرا يهوديت وأستير تحديداً) مشروعية استخدام فتنة المرأة وجمالها كوسيلة مشروعة لكسب المغانم وقتل الأعداء . ويضفى على ذلك الفعل هالة من التبجيل تنقل الفاتنات اليهوديات إلى مصاف القديسات .

مما تقدم نتبين أن تراجيديا التوراة تغلب عليها روح الأسطورة الشعبية فى بداياتها ثم الأسطورة القومية بعد ذلك ثم التقديس والتبجيل مؤخرا . أما شخصيات الأنبياء والرسل (أحيانا يمنحونها لمن لا يستحقها) فهى عرضة للاستهزاء بها ونزع القداسة عنها .

وعلى الرغم أن النص التوراتى كان يصرح دائما بأن روح الله تشمل هذه الشخصيات فإن نفس النص سلبهم العصمة التى يسبغها الإله على المصطفين من عباده . إن صفات التأليف البشرى وهناته تسيطر على الحكايات الدرامية التوراتية . فالغرض الدائم فيها هو إظهار التدخل الإلهى لصالح الشعب المختار فى أكثر المواقف تأزما .

وهذه لا يمكن أن تُصنَّف على أنها معجزات إلهية لأنها مواقف متعسفة وتظهر فى بعض الأحيان عجز الإله - حاشا لله أن يكون كذلك - كما ورد فى قصة بلعام وقصة قتل أبكار المصريين التى وردت فى سفر الخروج . ولغة الخطاب فى بعض النصوص فيها الكثير من المجادلة واللجاجة وسوء الأدب مع الذات الإلهية العلية كما جاء مثلا فى سفر الخروج:

*فقال موسى للرب استمع أيها السيد[23]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأيضا عندما صارع يعقوب (عليه السلام) الرب كما جاء فى سِفر التكوين[24] وهزمه - حاشا لله - وطلب منه الرب أن يطلق سراحه - كذا - وغير ذلك الكثير . بالاضافة إلى القصص الجنسية الصريحة فى نشيد الإنشاد. وسِفْر إرميا وسِفْر حزقيا[25]. وفى إصحاحات المزامير نجد خلط التوراة للأزمنة واضحا .

وقد اشتهر (عَزْرا) بين كتبة اليهود وكهنتهم بأنه كاتب ماهر فى شريعة موسى . واشتهر فيما بعد الأسر البابلى بجمعه للتوراة العبرانية وضم إليها سِفراً سماه على إسمه (سِفر عَزْرا) .

ويلاحظ أن هذا السِفر متقدم فى ترتيب أسفار التوراة رغم تأخره فى الزمن المدون به (تاريخ الأحداث التى يسردها) على كثير من الأسفار التى جاءت بعده . وعَزْرا فى سِفْره المشار إليه أصبغ على دعوة الهجرة من بابل إلى فلسطين صبغة دينية حتى أنه جعلها إرادة إلهية وربط المسألة كلها بوصية من الوصايا العشر (**وصية السبت) فى تخريجه عجيبة** تفتق عنها ذهنه فقال :

*حتى استوفت الأرض سبوتها لأنها سبتت فى كل أيام خرابها لإكمال سبعين سنة [26].

حيث اعتبر عَزْرا أن مكوث اليهود فى السبى بعيداً عن فلسطين حوالى سبعين سنة هى فترة زمنية جعلها الإله لتستوفى أرض فلسطين سبوتها (جمع سبت) . وفى هذا يتحدث عَزْرا عن يهود مملكة (يهوذا) ويغفل يهود مملكة (إسرائيل) الذين كانوا قد تم سَبْيهم قبل ذلك بحوالى 133 سنة. وكانت وجهة نظر عَزْرا فى ملوك آشور وبابل أنهم مجرد أدوات منفذة لإرادة الله . وهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هجومهم على مملكتى إسرائيل ويهوذا **لم يكونوا أشراراً وإنما هـــم أداة تأديب من الرب للشعب الذى نقض العهد .**

وعلى الرغم أن العودة من بابل إلى فلسطين ارتبطت بشخصيات أخرى - غير عَزْرا - مثل نحميا وزر بابل ويشوع بن يوصادق وغيرهم من قـــادة يهود العودة إلا أن عَزْرا نال شهرته وتمـــيزه لأنـــه كـــان بمثابـــة المنظِّـــر الايديولوجي أو المفكر الكهنوتى الأعظم لليهود العـــبرانيين . **وقـــد جمـــع (عَزرا) كل ما اعتقد فى قدسيته وأعاد ترتيبه وتنقيحه من وجهـــة نظـــره الشخصية** . بحيث استخلص من تاريخ الخلق تاريخاً لبنى إسرائيل منذ نـــوح (عليه السلام) وحتى السَبْى البـــابلى وهو التاريخ الذى ربطه بحبل الوعـــد الإلـــهى لبنى إسرائيل فى الأرض المقدسة . وهو الوعد الذى تم تدعيمه بالأســـطورة الدينية والتكرار (تكرار الوعد من الإله كل حقبة من الزمن).

أما الأسطورة فكان قوامها فكرتين أساسيتين هما :

1-**العنصرية :** بمعنى تفضيل الإله للشعب الإسرائيلى على كافـــة أجنـــاس البشر . ويدخل ضمنها(**النقاء السلالى**) الذى ادعاه اليهود دوما فقـــالوا إنهم خالصون من نسل إسرائيل . وإسرائيل خالص من نسل سام بن نوح (حقيقة دعوته أنها دعوة سياسية وليست دينية كمـــا ادعـــى وفضحتـــه التوراة نفسها عندما أعلن إيليا النبى بقبول من يدخل اليهودية فى شـــعب الله) .

2-**جلد الذات :** حيث قال وأكد أن الشعب أخطأ - ومعهم الأنبياء والرســـل - بارتكابهم الكبائر التى استوجبت عقاب الله لهم :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*منذ أيام آبائنا ونحن فى إثم عظيم[27]

وظهرت فى نصوص التوراة إمارات الخلاص بتمجيد القوة والبطل الأسطورى أو المسيح المخلّص (**المسيّا**) ولما يئس اليهود من بعث هذا (المسيّا) بين ظهرانيهم جعلوا(قورش) الملك الفارسى الوثنى هو نفسه المسيح المنتظر وجعلوه يتصل بالرب مثل الأنبياء والمرسلين :

***هكذا يقول الرب لمسيحه قورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس أمماً وأحقاء ملوك** . أَحُلَّ لأفتح أمامه المصراعين والأبواب لا تُغْلَق [28].

ومن الغريب أن الزمن الذى عاش فيه قورش وسمح للمَسْبيين بالعودة إلى فلسطين يجىء بعد هذا الزمن بحوالى مائتين وعشرين عاما . وبينما وجد (عَزْرا) سببا إلهياً لمذلة بنى إسرائيل فى بابل فإنه لم يجد هذا السبب فى تجربة بنى إسرائيل فى مصر . ولذلك قُبلت المبالغة الأسطورية فى الضربات التى حلت بشعب مصر حتى جعل الله يتدخل كثيراً فيزيد قلب فرعون قساوة على بنى إسرائيل ليزيد هو ضرباته على مصر . ورغم ذلك وردت شذرات فى التوراة تشى بأن بنى إسرئيل لم يلاقوا من مصر كل هذا التعنت المذكور فى توراتهم . (شعب مصر هو الذى أكرم وفادتهم واستضافتهم فى منطقة جاسان بالشرقية أجود وأخصب أراضى وادى النيل فى فترة قدومهم الأول مع يعقوب (عليه السلام) وهو الشعب الذى أعطاهم ذهبه عند خروجهم مع موسى) :

*وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عَبْر النهر وفى مصر وأعبدوا الرب.[29]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن النص نفهم أن بنى إسرائيل زاغوا فى مصـــــر وعبـدوا آلهـة المصريين وآلهة أخرى جاءت معهم عبر النهر . **وبسبب هذا بعث الله فيـهم موسى (عليه السلام) يدعوهم إلى التوحيد والعودة لعبادة إله إبراهيـــم وإســحاق ويعقوب ويوسف (عليهم السلام) . بل ودعاهم إلى الخروج هرباً من فرعون ورجاله ليثبّت الرسالة فى المقام الأول** وليس للهرب من الاضطـــهاد كمـا تحـاول التوراة أن توهمنا .

ويشير (عاطف عبد الغنى) إلى أنه فى الســـنة الثانيـة مـن حكـم الامبراطور الفارسى (دار يوس) نشطت الدعوة بين يهود السَبْى فى العراق إلى إعادة بناء بيت الرب فى أورشليم . وكالعادة جعلوها دعوة إلهية مدعمـة بنبوءات إثنين من الأنبياء هما (حجّي) و (زكريا) .

ويرى ريتشارد كروسمان [30]وإيمانويل فلايكوفسكى [31] أن لليهود دورة خاصة فى التاريخ يتعاقب فيها الخروج والدولـة والكـوارث كمـا تتعـاقب الخطيئة البشرية والقربان اليهودى باعتبارهم شعب الله . وكل هذه التصورات والمفاهيم يجرى تغذيتها وتعزيزها بالتوراة حتى لا يقال أن شعب الله المختـار يبحث عن مسوغات أخرى خارج كتابه المقدس . وإلى جانب التلمود وكتـاب السَبْى البابلى (العهد القديم) تصطف المساهمات الألمانية العِرْقية بجوهرهـا كما هو الحال عند نيتشه وجوميلوفكـس وجوبينـو وليبنـتز أو بإسـقاطاتها المختارة والملفقـة كمـا هـو الحـال بالنسـبة لأعمـال هيجـل وكـانط. ويقرر(سبينوزا) [32]أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تُجمع فى مجموع واحـد غير أن يداً واحدة تظهر فى كل الأسفار من أولـها لآخرهـا وهـذه اليـد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الواحدة(*) هى التى رتّبت ودمجت وجعلت تلك الأسفار مترابطة فى سلسلة واحدة وحدث ذلك بعد كتابة كل الأسفار المقدسة.

ويقول موفق محادين [33]فى نقده للصهيونية الروحية والمرجعية المقدسة (التوراة) التى يستند إليها اليهود اليوم لتحقيق مآربهم :

إن أكبر تزويرات التوراة إثارة - من حيث أهميتها وحساسيتها - هى التزويرات التى طالت علاقة موسى (عليه السلام) بالتوراة . فقد بات معلوما أن نسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى هو افتراض إيمانى يُنسب تأليفها إلى النبى موسى (عليه السلام) حتى صار ذلك الافتراض عقيدة يهودية منذ عهد فيلون السكندرى ويوسفوس (المؤرخ) فى القرن الأول قبل الميلاد اللذان عاصرا المسيح وأعلنا أن موسى هو مؤلف التوراة . وهى العقيدة التى ظلت تأخذ بها الكنيسة إلى زمن قريب ولا تزال سائدة فى كثير من الكنائس .

وفى ذلك يؤكد (توماس هوبز) من أن تدوين التوراة تم بعد موت موسى بزمن طويل (حوالى سبعة قرون) . وماجاء فى الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدس الصادر عام 1960م أنه :

مامن عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخليقة أو أنه أشرف على وضع النص . لأن ذلك النص قد كتبه عديدون بعده . لذلك يجب القول أن ازدياداً تدريجيا قد حدث وسببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية .

(*) تلك اليد هى يد (عَزْرا) الذى أعاد كتابة الأسفار التوراتية فى السَبْى البابلى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن اليهود أنفسهم الذين كتبوا ضد يوسفوس (داكوستا) [34]فـــى كتابـــه اختيار التقاليد الفريسية ومقارنتها بالشريعة المكتوبة . وفيه اعتـــبر الشـــفهية اليهودية بدعة فريسية.

و (**سبنيوزا**) [35]**الذى انتهى إلى إنكار أى احتمال يمكـــن بموجبـــه نسبة التوراة إلى موسى . وقدم على ذلك شواهد عديدة وقدم قرائن تشـــير إلى أن كُتُبَ العهد القديم بدءاً من سِفْر التكوين وحتى سِفْر الملوك الثانى قد كتبها (عَزْرا) الذى عاش فى القرن الخامس ق . م ومنها :**

(1)أن مقدمة سِفْرالتثنية (وهى الواردة بصيغة المتكلم للايحاء بأن كاتبها هـــو موسى (عليه السلام) لم يكن من الممكن أن يكتبها موسى حيث أن المقطوع بـــه **أن موسى (عليه السلام) لم يعبر نهر الأردن أبدا :**

*ذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل وقال لهم أنا اليوم ابن مائـــة وعشرين سنة . لا أستطيع الخروج والدخول بعد . والرب قد قال لى لا تعبر هذا الأردن [36].

*وكلم الرب موسى قائلا اصعد إلى جبل عباريم . هذا جبل بنو الـــذى فـــى أرض مؤاب الذى قبالة أريحا . وانظر إلى أرض كنعان التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل مُلْكا . فإنك تنظر الأرض من قبالتها (من خارجها) **ولكنك لا تدخل إلى هناك**إلى الأرض التى أنا أعطيها لبنى إسرائيل[37].

*وصعد موسى وقال له الرب هذه هى الأرض التى أقسمت لإبراهام وإسحاق ويعقوب قائلا لنسلك أعطيها . **قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هنا لا تعبر .**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(2)إن سِفْر التثنية يرد فيه القول :

*وكتب موسى هذه الشريعة وسلمها للكهنة بنى لاوى حاملى تـــابوت العـــهد ولجميع شيوخ بنى إسرائيل [38] .

وهو كلام لا سبيل لنسبته لموسى (عليه السلام) فهو قول كاتب آخر يروى ما فعل موسى وما قال .

(3)ورد فى سِفْر التكوين القول أن ابراهام (إبراهيـــم)(عليه السلام) دعـــى اســـم الموضع الذى أمره الرب أن يقدم ابنه اسحاق فيه ضحية للرب (يَهْوَه يرأه) بحيث بات الموضع يدعى اليوم جبل (يَهْوَه سوف يرى) **وهذه التسمية لذلك المكان لم تطلق عليه إلا بعد بناء الهيكل فى عصـــر ســـليمان**(عليه السلام)(960-962ق.م) **ولم يكن اختياره فى عصر موسى**(عليه السلام).وسِـــفْر الخـــروج تـــأتى النصوص التى تتحدث عن موسى (عليه السلام):

* وتكلم الرب مع موسى وجها لوجه[39] .
* فحمى غضب موسى[40]
* فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض مؤاب حسب قول الرب[41]
* ولم يقم بعد نبى فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه[42]

(4) **فى التوراة كثير من أسماء الأماكن والمواضع الجغرافية يستحيل علـــم موسى بها** لأنها فى عمق أرض فلسطين وموسى مات ولم تطأ قدمـــه أرض فلسطين . ومعظم هذه التسميات حدثت بعد موسى بثلاثة أو أربعة قـــرون . مثل (دان) [43]وكذا مجموعة القرى المعروفة باسم (يائير) [44]وهى القـــرى التى لم تظهر إلى الوجود إلا فى عصر القضاة [45]بعد موسى بقرون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(5) **فى قصة يوسف يوجد خطأ تاريخى هائل حيث يطلق على فلسطين اسم أرض العبريين وليس أرض الكنعانيين**[46] .

(6) وردت عبارة فى سفر التكوين والعدد :

* قبل أن يملك ملك من أبناء إسرائيل[47]

وهى جملة لا يكتبها إلا شخص عاصر العهد الملكى لإسرائيل وعوف بقيام المملكة بعد موسى بأربعة قرون .

(7)المرات الثلاث التى تعرضت فيها التوراة لتزويرات كبيرة هى عندما **أعد الكهنة والملك يوشع (يوشيا) سِفْر الشريعة حوالى عام 600 ق.م . وعندما أعد الكهنة من مدرسة حزقيال وإشعيا الثانى ما عُرف (بالقانون الكهنوتى). وعندما أعد عَزْرا ونحميا التوراة نفسها أثناء الأسر البابلى** (تشير دائرة المعارف البريطانية أن عَزْرا هو الذى نشر الشريعة اليهودية اعتماداً على التوراة نفسها) .

ومن كل ماسبق لا يخفى على أحد أن التوراة لا يمكن الأخذ بها تاريخيا . فهى ليست تأريخا موثوقاً به للأسباب المذكورة ولأسباب أخرى سبق ذكرها ولأسباب يسوقها المفكر السورى والباحث فى الميثولوجيا وتاريخ الأديان(فراس السواح)[48] حيث يقول :

من خلال دراسة الوثائق التاريخية لثقافات الشرق القديم ودراسة أحدث نتائج التنقيب الأثرى فى فلسطين نجد **أن التقاليد التوراتية قد خلقت (إسرائيلا) خاصة بها لا علاقة لها بإسرائيل التاريخية وأن جل البحث** التاريخي الذى تم حتىوقت قريب فى مسألة أصول إسرائيل وتاريخها قد انصب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على أخيولة لا تمتلك من الوجود الواقعى إلا أقله . وأن ما بدا لنا حتى الآن من اتصال الإسرائيلي باليهودي هو ابتداع توراتـــى اســتكمل المحـــررون التوراتيون من خلاله أخيولتهم الأدبية الرامية إلى ابتكار أصول لليهوديـــة المحدثة فى فلسطين خلال العصر الفارسي والعصر الهلينستى . وإســـرائيل الثالثة فى فلسطين (حاليا) لا علاقة لها بإسرائيل التوراتيـــة أو إســـرائيل التاريخية . ويسوق (فراس السواح) بعض البراهين والأدلة على استنتاجاته فيقول[49]:

1- إن النقد النصى والتاريخى والأركيولوجى لروايات الآباء والخروج قد أوصلنا إلى القول بكل ثقة علمية إلى أن **جميع الوقائع تنفى نفيا قاطعا وجود كيان إثنى إسمه (كل إسرائيل) خلال أية فترة من عصر البرونز الوسيط أو عصر البرونز الأخير وصولا إلى عصر الحديد الأول حوالي 1200 ق.م(*)**

2- إن الشواهد الأركيولوجية من الفترة الانتقالية مـــن عصـــر الـــبرونز الأخير إلى عصر الحديد **تنفى نفيا قاطعا رواية سِفْر يشوع عـــن الاقتحـــام العسكري لأرض كنعان .**

3- إن نتائج المسح الأركيولوجى الشامل لمنطقـــة الـــهضاب المركزيـــة ولمنطقة مرتفعات يهوذا فى المستويات الأثرية العائدة لعصر الحديـــد الأول **تنفى نفيا قاطعا ظهور مجموعة إثنية واحدة فى كل المنطقتين خلال الفـــترة المفترضة لعصر القضاة والاستقرار فى الأرض** . فالقرى التى ظهرت بشكل بطىء فى الهضاب المركزية خلال عصر الحديد الأول كانت قرى كنعانيـــة من أصل زراعى محلى مرتبطة ثقافيا بعصر البرونز الأخير ولا علاقة لـــها

---

*) عصر البرونز (3500 – 800ق .م).عصر الحديد (1200 –300 ق.م)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالقبائل الرعوية التوراتية . وقد سبق استيطان منطقة الـــهضاب المركزيـــة الاستيطان فى منطقة يهوذا بحوالى قرنين من الزمان . الأمر الـــذى ينفـــى وجود قاعدة مشتركة بين المنطقتين كما ينفى قيام إثنى يشـــتمل علـــى (كـــل إسرائيل) خلال عصر القضاة التى تغطى بالكامل فترة الحديد الأول.

4- **لم يتوفر خلال القـــرن العاشـــر قبـــل الميـــلاد الأســـاس الســـكانى والاقتصادي اللازم لقيام مملكة قوية فى الهضاب المركزيـــة أو مرتفعـــات يهوذا (فى الجنوب) ناهيك عن قيام مملكة موحدة متسعة الأرجاء بســـطت سلطانها على كامل أراضى فلسطين** . فإضافة إلى الفقر المدقع لقرى الهضاب المركزية المبعثرة فإن يهوذا كانت خالية من السكان . **وأورشليم كانت بلـــدة متواضعة وغير صالحة لأن تكون عاصمة للمملكة المذكورة فى التوراة.**

5- **لا يوجد ذكر لكيان سياسى إسمه إسرائيل فى جميع وثائق الشـــرق القديم قبل أواسط القرن التاسع قبل الميلاد (أى بعد أكثر مـــن قـــرن علـــى تشكيل مملكة إسرائيل التوراتية)** عندما بدأ اسم إسرائيل يظهر فى الســـجلات العسكرية الآشورية وللدلالة حصراً على مملكة السامرة (فى الشمال) التـــى تشكلت تاريخيا حوالى 880 ق.م . وكذلك الأمر فـــى مملكـــة يـــهوذا (فـــى الجنوب) التى لم يرد ذكرها فى السجلات الآشورية إلا نحـــو نهايـــة القـــرن الثامن قبل الميلاد وعندما بدأت مملكة إسرائيل بالأفول .

6- **لا يوجد فى وثائق الشرق القديم ذكر لكيان سياسي إسمه إســـرائيل بعد دمار مملكة السامرة (شمالا) على يد الآشوريين عام 721 ق.م** وسَـــبْى أهلها الذين لم يرجعوا إلى أوطانهم قط . أما المقاطعة الآشورية التى قـــامت فى الهضاب المركزية بعد سَبْى الإسرائيليين واحلال أقوام جديدة محلهم فقـــد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دُعيت بمقاطعة السامرة واستمرت تُدعى بهذا الاسم خلال العصر الفارسى والهلينستى والرومانى . وفيما يتعلق بمنطقة يهوذا فقد أطلق عليها مقاطعة اليهودية بعد عودة المسبيين إليها من بابل واستمر هذا الاسم قائما حتى العصر الرومانى.

7- لايوجد أثر للمعتقد الدينى التوراتى فى منطقة إسرائيل ويهوذا وفى بقية أنحاء فلسطين خلال الفترة السابقة على السَبْى البابلى . والديانة التى سادت هنا هى ديانة كنعانية تقليدية (آلهة البانثيون الكنعانى) .

والوثائق التى عثر عليها فى جزيرة فِيَلَة (بأسوان) والتى ترجع إلى الفترة من 495 - 394 ق.م وهى الفترة التى شهدت إعادة سكن أورشليم وبناء الهيكل الثانى (هيكل زربابل) وهذه الوثائق مكتوبة باللغة الآرامية وهى تضم وثائق تجارية وعقود زواج ومراسلات بين رئيس الجالية اليهودية فى فِيَلَة المدعو (جيدانة) أو جيدانيه وعدد من الشخصيات السياسية فى فلسطين (فى اليهودية والسامرة وكهنة أورشليم) يستعلم منهم عن بعض القضايا الطقسية والسنن الدينية .

والاستنتاج المنطقى الذى يطرح نفسه هو **أن ديانة (يَهْوَه) فى فلسطين لم تكن حتى ذلك الوقت المتأخر قد اكتسبت الشكل التوراتى بعد . وأنها مازالت فى طور التشكيل على أيدى كهنة أورشليم بعد العودة من المنفى .**

وفى تقييمه للأسفار المدعوه بالتاريخية يقول فراس السواح [50]:

إنها سلسلة من المرويات الشعبية ذات الأصول المختلفة جُمعت إلى بعضها فى نسيج واهى الحبكة وتاريخ زمنى مفروض عليها من خارجها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الزمرة الثانية من أسفار التوراة (أسفار الأنبياء) فليست **إلا مجموعة من أقوال ومأثورات حِكَموية قديمة تختصر ألف عام تقريبا من التقاليد النبوئية فى فلسطين والمناطق المجاورة لها .**

وقد قام المحررون التوراتيون بجمع هذه المادة الغنية القديمة فرتبوها وصنفوها ووضعوها على لسان شخصيات نبوية متميزة قد يكون بعضها من أصل تاريخى ثم جعلت هذه المادة تدور حول فكرة أساسية فى جميع الأسفار (أسفار الأنبياء) وهى أن دمار إسرائيل ويهوذا كان بمثابة عقاب إلهي على خطايا الجماهير والحكام وتجاهلهم عبادة الإله الحق وأن الرحمة الإلهية سوف تلحق بالتوابين العائدين من السَبْى البابلى إلى حظيرة الرب .

والمصادر الكتابية التى يدعى المحررون فى بعض المواضع الاستناد إليها فإننا غير متأكدين من وجودها أصلا ولا من الطريقة التى عمد المحررون إلى الإفادة منها وذلك مثل سفر باشر وسفر موسى وغيرها .

والنص التوراتى لم يتعرض - مثلا - لإسم الفرعون المصرى المعني فى سفر الخروج وإنما تعرض للشعوب والقبائل المجاورة للمناطق الهضبية التى قامت على أراضيها - فيما بعد - دولتى إسرائيل ويهوذا وذلك مثل مؤاب وأدوم وعمون فى الشرق وفلستيا فى الغرب . وغالبا ماوردت أسماء هذه الشعوب فى سياق زمنى يتضمن مفارقة تاريخية واضحة فممالك شرقى الأردن التى قهرها موسى فى آخر مراحل ملحمة الخروج لم تكن موجودة فى ذلك الوقت على ما بينه المَسْح الأركيولوجى للمنطقة . ومنطقة الساحل الفسلطينى الجنوبى التى يدعوها سِفْر الخروج بأرض الفلستينيين لم تكن قد استقبلت زمن الخروج أية موجة من موجات شعوب البحر Sea people من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلستين وغيرهم . ومن بين جميع الممالك الفينيقية على الساحل السورى لم يرد ذكر أيا منها إلا صيدون . أما بقية الممالك من أو جاريت إلى صور فغائبة تماما . ومثلها تلك الممالك الكبرى التى ازدهرت من حول أولئك الإسرائيليين المفترضين عبر عصورهم فبابل حمورابى فى بلاد النهرين ومارى على الفرات الأوسط وحلب (يمخاض) وألا لاخ فى الشمال السورى وقطنة وقادش فى سوريا الوسطى غائبة عن سير عصر الآباء الذين كانوا يرتحلون بين الفرات وفلسطين وكأنما يتحركون على مسرح خال تماما إلا من القبائل الرحل وآبار المياه فى الواحات . وكذلك الأمر فيما يتعلق بالممالك الحيثية الجديدة فى الشمال السورى والممالك الأرامية الجديدة على نهرى الخابور والفرات وفى المناطق الغربية التى ازدهرت منذ مطلع عصر الحديد فجميعها غائب عن عصر يشوع وعصر القضاة . وكذلك مصر التى كانت تسيطر عليها فى ذلك الوقت وعلى وادى يزراعيل وعدد من النقاط الاستراتيجية الأخرى . وفى عصر المملكة الموحدة لا يرد ذكر لآشور التى كان نفوذها قد تجاوز الفرات ووصل إلى مناطق الساحل ولا الممالك الأرامية القوية التى كانت تقارع آشور على الفرات وفى الشمال السورى . وبدلا من هذه الممالك التى تجملها أخبار الملك داود تحت عنوان (آرام التى عبْر النهر) **فإن محرر سِفْر الملوك الأول يبتكر ممالك لم يرد لها ذكر فى التاريخ ولم تقم الدلائل الأركيولوجية على وجودها وذلك مثل آرام صوبة ومعكة وبيت رحوب وجيشور وغيرها** . وبالمقابل فإن جميع السجلات الكتابية للحضارات القديمة لم تورد خبراً واحداً يدعم الرواية التوراتية من عصر الآباء إلى قيام أسرة الملك (عمرى) وبناء مدينة السامرة فى النصف الأول من القرن التاسع قبل الميلاد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن نفس المنطلق يبين (توماس ل. طومسون) [51]فى كتابه الـهام **(التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى)** أنه اعتمد فى البداية فى كتابـة تـاريخ إسرائيل على المعطيات التوراتية لكن تراكم المعطيات الأركيولوجية والـتزايد الكبير فى الاكتشافات الهامة فى الشرق الأدنى القديم إضافة إلى البحث النقدى المتراكم أدى إلى تحول العنصر التاريخى فى الدراسات التوراتية . فقد أكـد الكثير من المؤرخين عدم تاريخية بعض الحقب مثل حقبة الآباء - الغـزو - القضاة . وشككوا بتاريخية بعض الرموز الأساسية مفضياً ذلك إلى التخلـى عن الافتراضات المسبقة التى فرضها التفسير التوراتى **حيث أن التاريخ يقوم على الأبحاث وهو يتعلق بالطبيعة وليس بما وراء الطبيعة . وعليه فلا يمكن استخلاص تاريخ إسرائيل القديم من التوراة . كما أن أساس التقييم النقـدى يبقى منفصلا عن التوراة فى تاريخ نقوش وحفريات أقاليم فلسطين .**

وهناك ثلاث نظريات ومناهج عالجت تاريخ إسرائيل :

(1) مدرسة تاريخ الأديان (ويلهاوزن) :

وتشير هذه الفرضية إلى أن تشكيل الأسفار الخمسة الأولى من التـوراة (التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية) تم من خلال أربعة مصـادر مستقلة فى الأصل :

أ- **اليهْوَهية :** مع الملكية الموحدة يهوذا وسلالة داود (1050- 953 ق.م) .
ب- **الإلوهيمية :** مع المَلَكية المنقسمة ودولة إسرائيل (953- 722ق.م)
ج- **التثنويـــة :** مع اصلاحات يوشيا (648-608 ق.م)
د-**الكهنوتيـــة :** مع مراحل النفى البابلى ومابعده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعنصر الأساسى لفرضية ويلهاوزن تفترض أن هذه المصادر الأربعة للأسفار الخمسة الأولى يجب فرضها على أنها **وثائق أدبية تم تأليفها وقت كتابتها . ولذا فهى كمواد مؤلَّفة تعكس فهم ومعرفة مؤلفيها وعالمهم** .. وبذا لا يمكن أن نحصل منها على أى شىء تاريخى يُعتمد عليه عن المراحل السابقة لتاريخ إسرائيل .

أما (ماير) زميل (ويلهاوزن) فقد رأى أن التراث الذى استمدت منه المصادر الوثائقية **كان فى الأصل مرويات شفوية ومجموعة من القصص التى تألفت من الحكايات الشعبية والأساطير والملاحم** . فلم يُنظر إلى مؤلفي المصادر اليهْوَهية والإيلوهيمية على أنهم كُتّاب ومؤرخون لماضى إسرئيل بل جامعون ومحررون لأساطير وحكايات شعبية مختلفة متعددة الأصول والتواريخ .

(2) **الاتجاه التوفيقى المحافظ :**

وهذا الاتجاه عند (آلت) و(أولبرايت) وغيرهم أعطى للمرويات التوراتيه قيمة تاريخية . وبذل (أولبرايت) Albright جهده للتوفيق بين المكتشفات الأثرية والمرويات التوراتية ورفض النظرة التطورية لأصول الديانة الاسرائيلية مؤكداً على أصول التوحيد الإسرائيلي فى التعاليم الموسوية وعلى أن ماترويه التوراة عن إسرائيل موحدة وغزوها لفلسطين قد تأيد بما نعرفه عن تدمير المدن الكنعانية فى العهد البرونزى المتأخر على يد الإسرائيليين البدو .

واعتبر (آلت) Alt أن أهم مفتاح لفهم أصول إسرائيل هو تمايزها وعدم توافقها مع المجتمع الكنعانى السابق لها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول طومسون Tomas L. Tompson [52] إن الدراسين لم يعودوا يجدون براهين أركيولوجية ظاهرة على غزو إسرائيل للمدن الكنعانية . وفشل الحفريات الكبرى فى مواقع عاى وأريحا أضعف بالتأكيد حجج أولبرايت . وأن محاولة التوفيق بين البيّنات التوراتية وغير التوراتية كإثبات لتاريخانية إسرائيل القديمة سرعان مادخلت مرحلة الانهيار التى مازالت متواصلة حتى اليوم .

(3) تفكيك التاريخ التوراتى :

بيّنت (**هـ . فريس**) H.Friis (عام 1968م) **أن المرويات التوراتية** التى حددت تشكيل الدولة أو الملكية الموحدة تحت حكم داود كانت **من انتاج فترة السَبى البابلى** . كما حددت أصول التوحيد اليهْوَهى فى تلك الفترة أيضا . ورأت أن الروايات التى تقول بأن أصل إسرائيل من مصر مجرد أساطير وأن قصص سفر الملوك الثانى بكاملها قد كُيّفت لتشرح أسباب السَبْى إلى بابل ويجب أن تكون قد كُتبت بعد السبى بفترة من الوقت .

ويشير طومسون إلى أن عملية المراجعة التاريخية النقدية لفهمنا للأسفار الخمسة الأولى التى مازالت مستمرة حتى يومنا هذا عمقت اتجاه تفكيك التاريخ التوراتى وأطلقت تحديا أساسيا لافتراضات عديدة تمسكت بها الاتجاهات الرامية إلى اثبات تاريخ إسرائيل على أساس التوراة .

ويوجز طومسون تحليله ووصفه للتوراة فيقول :

إن المرويات التوراتية ماهى إلا شظايا ذكريات مكتوبة أو شفهية ، سلاسل من القصص ، أعمال أدبية معقدة ، سجلات إدارية ، أغانى ، حِكَم نبوية ، كلمات مأثورة عن فلاسفة ، قوائم وحكايات اعتبرت ذات معنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضمن كُلٍّ مترابط ومتراكم . جُمع ونُظم انتقائيا وفُسر باعتباره ماضيا مبعثرا[53] .

والجدير بالذكر أن (توماس ل.طومسون) هذا قد فقد وظيفته كأستاذ علم الآثار فى جامعة ميلووكى بضغط من أوساط اليهود بعد تأليفه هذا الكتاب ونشره[54].

ويعرض طومسون ثلاث بدائل أخرى كلاسيكية موروثة عن الجيل السابق كنماذج لنشوء إسرائيل : غزو - استيطان - ثورة . وفى الفصل الرابع [55] من كتابه الهام وتحت عنوان (منطلقات جديدة نحو تاريخ مستقل لإسرائيل) يعرض تلك الفرضيات والنماذج وهى :

(1) **مراجعة أنثروبولوجية لفرضية آلت عن الاستيطان :**

لكتابة تاريخ مستقل لإسرائيل القديمة يجب الأخذ فى الاعتبار ثلاثة أشكال مختلفة من البيّنات المباشرة المستخلصة من المصادر الأولية لإعادة بناء تاريخ إسرائيل القديمة :

أ- **الحفريات الأركيولوجية :** وتحليلها وتصنيفها وتفسير الحقائق المستخلصة من الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان القديمة فى فلسطين المعروفة جغرافيا وإقليميا .

ب- **ثروة الآثار الكتابية القديمة :** المرتبطة مباشرة أو مداورة بفلسطين القديمة : الشعب - جيرانه - اقتصاده - البنى الدينية والسياسية - نمط الحياة والحوادث المعروفة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ج- **المرويات التوراتية** : التى تعكس صراحة أوضمنا العصر الذى تشكلت فيه والذى يرسم تصور إسرائيل التى نبحث عن أصلها . والضرورة تدعو إلى التمييز بين ما تورده القصص التوراتية كحقائق وماتورده كرواية . فمثلا هناك اختلاف كبير بين قصص الشعوب التى نعرفها من واقع حياتها السياسية مثل عمون ومؤاب وأدوم وآرام ومَدْيَنَ والفلسطينيين والمصريين والآشوريين والتى نعرفها من المرويات مثل : الحوريين والجرجاشيين والفرزيين وحتى الكنعانيين والعبرانيين . أو الأماكن المذكورة فى الروايات مثل عدن وأرام نهرين وجرار وجاسان وسدوم وعمورة وسالم وحتى حار سيناء بالمقارنة مع الأماكن المعروفة فعلا لدى المنقحين مثل القدس وجازر ومَجدّو وأريحا وعاى . والمصادر المتصلة بالوضع المادى فى إسرائيل القديمة وإمكانية إعادة بناء تصور لذلك الوضع ذات فائدة غير مباشرة فى مجال إعادة بناء تاريخ إسرئيل . ونؤمّن مع ذلك معلومات أولية مثل جغرافية فلسطين ومعرفة تاريخ وثقافة العالم القديم . والدراسات السوسيولوجية والأنثروبولوجية تقدم لنا نماذج لما قد تكون إسرائيل قد كانت عليه . أى مجرد نماذج وأشكال وليس مادة تاريخية . تقارُب هذه النماذج هام جداً منهجيا . وينبغى أن يُبحث عن نماذج من الشرق الأوسط (لاسيما من نفس مناطق فلسطين) وإذا أمكن من الحقبة القريبة من وقت نشوء إسرائيل. وعلينا أن نفحص مدى ملائمة كل نموذج فى كل حالة على حدة وأخذ نقائصه بالاعتبار عند التقويم .

وكتاب ن . بى . ليمخى (ليمشى) N.P.Lemche **(إسرائيل القديمة)** هام جداً بالنسبة لهذا الموضوع بالذات . وكذلك دراسات **(كوتى)** Coate . و **(وايتلام)** White Lam و**(فنكلشتين)** Finkelestein تقوم على أساس البيّنات غير التوراتية (تقوم على الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان فى فلسطين).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقدم (ليمشى) كبديل للتاريخ التوراتى مراجعة للتحول من العصر البرونزى المتأخر إلى العصر الحديدى فى فلسطين بالاستناد إلى المصادر الأركيولوجية . ويلاحظ بدقة **أن التمييز الشائع بين ثقافة الكنعانيين والإسرائيليين لا مبرر له فى سجل الأركيولوجيا حتى الآن** . وهذا قاده إلى استنتاج تاريخى يشاركه فيه عدد من الدراسين وهو أن :

إسرائيل كانت محلية فى فلسطين .

وهو لا يختلف فى ذلك عن (آلت) . ويرى (سوجين) أن قصص الملكية الموحدة تشكل علاقة تحوّل فى القصص التوراتى من أدب شعبى لا يُعتمد عليه تاريخيا (قبل قصص شاؤل وداود) والقصص التاريخية الموثّقة عن الملكية .

ويبرهن (ليمشى) بوضوح على الحاجة إلى التأكيدات والبيّنات غير التوراتية قبل أن تتمكن المرويات التوراتية من تزويدنا بالأساس الملائم لإعادة بناء تاريخ إسرائيل .

وينتقد **(لوريتز)** Laretz بحدة جهود المؤرخين الرامية إلى الربط بين **(عابيرو)** الذين نجدهم فى رسائل تل العمارنة كطبقة اجتماعية دنيا ناقمة ولاجئين تحولوا إلى قُطّاع طُرُق ولصوص فى المناطق الجبلية والـ **(عبرانيين)** كعِرْق يشير إلى الإسرائيليين (أصله عبريم) . وينتقد لوريتز كل ذلك مبيناً الخطأ الفادح الذى تنطوى عليه تلك المحاولات لشرح أصول إسرائيل على أساس هذا الربط حيث يقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنه لا توجد بيّنات تاريخية تربط بين رسائل تل العمارنة فـــى القـــرن الرابع عشر ق.م و (العابيرو) المذكورين فيها مع أصول إسرائيل . فـــلا سبب يدعونا لأن نرى هذا الموضوع اللغوى مرتبطا بأى شكل كان بتـــاريخ إسرائيل.

وهناك برهان آخر أورده (ليمشى) فى نقده لكتاب (**جوتوالـــد**) Gott Wald ومفاده :

إن معظم روايات عصر السَبْى البابلى وما بعده كُتبت بشكل مستمر بعد قرون من نشوء البِني الاجتماعية فى العصر الحديدى فى فلسطين .

(2) الزراعة فى المرتفعات الوسطى :

وكلها دراسات فى ممارسة الزراعة ومايلزمها مثل تنظيم المصاطب فى المناطق الجبلية وإزالة الغابات ، والزراعة الانسيابية والابداع فـــى تخزيـــن المياه والأدوات الحديدية المستخدمة واعتماد الدورات الزراعيـــة والتســـميد وإراحة الأرض واختراع معصرة الزيت الخشبية ووسائل التخزين المبتكـــرة والعمل الحقلى وأنواع المحاصيل وتلفها (بسبب الآفات وخلافـــه) ومشـــاكل خصوبة الأرض .

وهذه الدراسات تعطى رؤية كافية عن المسار الاستيطانى فى المناطق الجبلية التى يُفتَرض وجود مستوطنات إسرائيلية بها .

(3) السوسيولوجيا ونشوء المَلَكية :

وَصْف (**هوبكنز**) لنشوء المَلَكية بأنه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معارض لأسس الحياة القروية الإسرائيلية الهادفة لتأمين الكفايـــة غـــير سديدٍ تاريخيا وتحليليا . ويرى (هوبكنز) أيضا أن الملكيـــة مســـئولة عـــن حصول تغيير مزدوج فى الانتاج الزراعى . ولا برهان عنده بأن الضرائـــب كانت السبب الرئيسى للتغيرات الكاسحة فى زراعة المناطق الجبليـــة خـــلال فترة الانتقال إلى المَلَكية . وكذلك تأكيده أن فلاحة الكفاية كانت سمة ممـــيزة للفلاحة فى المرتفعات التى يفترض وجود الإسرائيليين بها . وتقـــوم فكرة (كوتى) ، (وايتلام) White lam&Coate **عن أصول إسرائيل فى أن بدايـــات الاستيطان فى المرتفعات والسهوب أوائل العصر الحديدى جـــاءت نتيجـــة لانهيار التجارة أواخر العصر البرونزى وأن انتعاش التجارة مجـــدداً فـــى العصر الحديدى الأول أمسك بزمام النمو التجارى الذى قاد إلى تشكيل دولة إسرائيلية تحـــت حكـــم داود وســـليمان** وينتقـــد (**طومســـون**).Tomas L Tompson[56] ذلك معترضا على تلك التفاسير فيقول إن :

1-معظم السكان يسكنون الوديان والأراضى المنخفضة والمواقع الجديدة فى المرتفعات قليلة وصغيرة وهشة .

2-ليس واضحا أن هذا الاستيطان الجديد أتى نتيجة إنهيار التجارة فى أواخر العصر البرونزى بل توجد عوامل أخرى مؤثرة مثل دور الامبراطوريـــة المصرية فى دعم التجارة ودور الدول المَدْيَنية الفســـلطينية والاســـتقرار السياسي والاقتصادي فى المرتفعات .

3-الاستيطان الجديد لم يقتصر على المرتفعات والسهوب فقد وجد أيضاً فى السهل الساحلي وجرزيل منذ أواخر العصر البرونزى وحتـــى العصـــر الحديدى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

4-استيطان المرتفعات والسهوب لم يحدث دفعة واحدة وفى وقت واحد بل تدريجيا . واعتمد كثيراً على التجارة الإقليمية .

5-لم تتوافر بيّنات على أن تلك التغيرات تُفسَّر حصراً على أنها تحوّل سكانى من الأراضى المنخفضة إلى المرتفعات والسهوب .

6-الانهيار اعترى التجارة الدولية وليس الإقليمية ولكنه قد يكون عمّق الركود الاقتصادى فى العصر الحديدى الأول وشجع على الرحيل من المدن .

7-التزايد الدرامى فى عدد سكان المرتفعات فى أواخر العصر الحديدى الأول وأوائل العصر الحديدى الثانى بسبب علاقته بزراعة الأشجار المثمرة وانشاء المصاطب كان يستلزم افتراض استقرار لمدة طويلة فى المنطقة .

8-افتراض كوتى ووايتلام وغيرهم بوجود صراع عنيف وحروب مفتوحة بين الإسرائيليين والفلسطينيين فى هذا الوقت المبكر غير محقّق ويقوم على أساس انعكاس تاريخى مشوّش لمرويات توراتية لاحقة .

(4) الأركيولوجيا وتاريخ مستقل لإسرائيل :

يخالف (فنكلشتين)Finkelestein الأركيولوجى الإسرائيلى نظرية (آلت) Alt عن البداوة الرعوية بالقول إن أصل مستوطنى المرتفعات محلى .

وتشير (هـ . ويبرت) **H.Weippert فى كتابها**[57]إلى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن فهم أركيولوجيا المنطقة يستلزم الاشارة المستمرة إلى ماهو خارج حدودها وإدراك أنه لا يوجد موضوع أركيولوجى واحد فلسطينى تحديـــدا . ففلســطين نفسها منقسمــة إلى مناطق منفصلة ومتمـــيزة. وكتــاب (**جـى** الستروم)G. Ahlestrom [58] يركزعلى **موضوع الإقليمية ويتعامل معها تاريخيـا (فى موضوع إسرائيل) مستقلا عن التاريخ التوراتى .** فهو يظهر بوضوح إمكانية كتابة تاريخ (علْمانى) إلا إنه يعود مجدداً فيستعين بالأدبيـــات غـير التوراتية والقصص التوراتية فى محاولات خلق توفيق متناسق بينها للتدليـــل على بعض القضايا فى الحقبة الملكية (سواء الملكية الموحدة تحت حكــم داود وسليمان (عليهما السلام) أو دولتى يهودا والسامرة المنفصلتيـــن أو النزاعــات مــع الفلسطينين وغيرهم من الجيران) .

و (**هـــ . ويبرت**) توصى بالحذر عند تحديد الأركيولوجين الميدانييـــن للدمار فى حقبة (دبورة) أو (داود) أو عنـــد تحويـــل المبـــاني الإداريـــة والتحصينات إلى(سليمان) . وهى توجهنا إلى الاهتمام بالبيّنات الأركيولوجية المتراكمة خلال القرن (التاسع عشر الميلادي) وأساسيات التفسير التـاريخي للآثار الأركيولوجية . وتحثنا على مزيد مـــن الاهتمـــام بالتسلســـل الزمنـــى والدلالات التاريخية للتوجهات الجديدة والعناية التامة بالأركيولوجيا الإقليميـــة على مبدأ (**معاصرة ماهو متعاصر**) .

ويثير (ن . بى ليمشى) Lemche فى دراسته الحديثة عن الكنعـــانيين مسألة ماإذا كانت القصص التوراتية تاريخية فى الواقع أم لا . ويستنتج أن :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصف المرويات التوراتية الكنعانيين لم يشر إلى أى إثنية فى العالم الحقيقى لإسرائيل القديمة أو أى كيان تاريخى - سياسى محدد . وسمة تلك القصص والتقاليد التوراتية انعكاس لايديولوجيا الحقبة الفارسية (مماثل لفهم كينوف وجاربينى) وكونها قصص يجعل مسائل المرجعية تبتعد كثيراً عما يستطيعه التاريخ (**المرويات التوراتية أقرب إلى روايات الأصول منها إلى التاريخ**) .

ويشير (طومسون) [59]**إلى إنه ينبغى أن نتخلى عن استخدام التاريخ التوراتى كمصدر صالح لكتابة التاريخ** . فالسكان الأصليون فى فلسطين لم يتغيروا كثيراً منذ العصر الحجرى.وخلال الألف السادس (أى الرابع ق.م) وفلسطين أصبحت سامية (بمفهوم لغوى) . وخلال العصر البرونزى القديم أقامت نمطاً استيطانياً واقتصادياً بقى من خصائص المنطقة حتى الحقبة الآشورية على الأقل . والسمة الأهلية للسكان لم تعد موضع تساؤل الآن . وهى السمة التى تظهر بوضوح فى جذور الثقافة المادية فى العصر البرونزى القديم (والظاهرة فى الأواني والبناء وطقوس الدفن وأنماط الاستيطان) . وبذا تنهار فرضيات الغزو الخارجى . والسيناريو القديم عن الغزو البدوى كسبب للدمار المفاجئ فى مدن وقرى العصر البرونزى القديم تخلى عن مكانته للإيضاحات المناخية والايكولوجية للانهيار التدريجي لحضارة العصر البرونزى القديم .

ويلاحظ (**يوركو**) أن الفنانين المصريين يرسمون سكان إسرائيل بنفس الأسلوب الذى يرسمون به سكان عسقلان وجازر (فى لوحة مرنبتاح المكتشفة فى تل العمارنة) . وأن مجموعة إسرائيل التى هزمها مرنبتاح هى مجموعة محدودة تماما ضمن سكان فلسطين تحمل الإسم الذي يرد هنا لأول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرة . وفى مرحلة لاحقة متأخرة من تاريخ فلسطين أصبح يحمل معنىً مختلفاً إلى حد كبير.

ويعتبر (طومسون) أن (نُصُب إسرائيل) هو مجرد إسم فى بيئة تاريخية شاع فيها تغيير الأسماء الجغرافية والقبلية وتشويشها على مدى قرون . والبيّنات المستخلصة من الأركيولوجيا تقدم دليلا ضد أى توكيد لوجود أى بِنيي سياسية غير إقليمية فى مرتفعات فلسطين . وبالتالى فإن وجود إسرائيل أو يهودا فى مثل هذا التاريخ المبكر لاتؤيده المعلومات المتوفرة عن فلسطين فى تلك الفترة .

ويوجز (**أوديد**) B.Oded عدداً من الأسباب التى جعلت الآشوريين يعمدون إلى التغيير السكانى فى البنية السكانية فى الامبراطورية لأسباب منها :

1- استخدام التهجير كعقاب على المقاومة أو الثورة .

2- القضاء على المنافسين المحتملين .

3- القضاء على إمكانية المقاومة والعصيان .

4- سياسة التوطين هدفت إلى إيجاد جماعات تعتمد عليها السلطة الآشورية ضمن الشعوب المحكومة فتبقى مخلصة لها .

5- التجنيد العسكرى والسيطرة على الزعماء السياسيين والنخبة .

6- احتكار اقتصاد الحرفيين والعمال المهرة والسخرة وتجارة عبيد محدودة .

7- بعض المستوطنات الجديدة أقيمت لأغراض استراتيجية وشملت عدداً من المستوطنات شبه العسكرية .

8- بعض السكان نُقلوا فى محاولة لإعادة بناء المدن المفتوحة واستيطان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأراضى الخالية .

9- السيطرة على البدو الجامحين وتوطينهم .

10- تقسيم أراضى يهودا على ملوك أشدود وعقرون وغزة التابعين لآشور لمساعدتهم فى صراعهم ضد أورشليم .

11- اخضاع حزقيال وجعل أورشليم دولة تابعة لآشور .

12- إيجاد الولاء ودعم السكان ضد حكامهم الذين يعارضون السياسة الآشورية والحكم الآشورى عند إعادة استيطانهم .

وإشارة لمكانة القدس (أورشليم) يقول (طومسون) [60]

الاستراتيجيات الاقتصادية التى سادت فى فسلطين على مدى قرون كانت تؤدى إلى اللامركزية (لا المركزية) للسلطات المحلية المركزية فى فلسطين مثل صور وحاصور ومجدّو وجازر ولخيش وبئر السبع وعَسْقلان وغزة وتل المشاش وشكيم والقدس استندت سلطتها مبدئيا على الروابط الاقتصادية المحلية المقتصرة على مناطقها . وظهور سلطات عبر إقليمية مثل توطيد القدس لنفوذها خارج وادى عيلون وهضبة القدس ليشمل مرتفعات يهودا وبعدها شمال النقب وشيفيلة ودمج السامرة الظاهر للمرتفعات الوسطى المتنوعة وتوسيع مصالحها ونفوذها إلى المناطق الغنية زراعيا والكثيفة السكان فى جرزيل ووادى الأردن الشمالى وبالتالى حتى البحر إلى الغرب وشرق الأردن إلى الشرق . وكل ذلك يستلزم إيضاحا تاريخيا لهذه التوسعات باعتبارها حالات شاذة فى تاريخ فلسطين .

والتأريخ التوراتى الذى يركز مع الفلستيين باعتبارها عامل توحيد وبناء أمة ويعتمد على استقامة قيادة كارزمية مثل شاؤل وداود يدخل فى نطاق الأدب الرائع لكنه لايشرح شيئا تاريخيا . وما كشفت عنه الحفريات التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمركزت فى المرتفعات الوسطى فى فلسطين عن الانهيار فى العصر البرونزى الأخير والانتقال إلى العصر الحديدى الأول وكذا الدراسات الجغرافية والانثروبولوجية والأركيولوجية توضح مسار تشكل الدولة إذا تجاوزنا الحدود الزمنية التى يضعها (آلت) عن ظهور دورة إقليمية فى المرتفعات الوسطى.وتوجه مصالح القدس جنوباً فى يهودا جاء نتيجة توسع وطموح تجارى وليس لهدف سياسى أو عسكرى . فالتجارة الإقليمية كانت جوهر وقاعدة اقتصادها.ومصالح القدس (جنوبا) الزراعية توسعت بعيدا فى وادى عيلون . **وامتداد سلطة القدس السياسية فى يهودا جاء بعد لاقبل الاستقرار فى المرتفعات** (خلال العصر الحديدى الثانى) وهو الذى استلزم اخضاع المراكز التجارية التى تنافسها . ولم تأخذ القدس ببعض مظاهر الدولة الإقليمية المسيطرة إلا فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر ق.م وباشرت القدس دورا ثانويا على حافة العالم الآشورى ولم تأخذ طابع العاصمة الإقليمية وحجمها إلا بعد تحرك آشور ضد الجنوب (فى نهاية القرن الثامن ق. م) وتدمير لخيش .

والوضع السياسى المتغير فى فلسطين والحاجة إلى استيعاب تدفق اللاجئين ضمن سكانها حول القدس من دولة إقليمية زراعية صغيرة تشبه مؤاب وأدوم فى شرق الأردن إلى مجتمع طبقى ونخبة مسيطرة (وربما معبد يكرس دين الدولة) ودولة عازلة بين القوتين الامبرياليتين الرئيسيتين : مصر (فى الجنوب) وآشور (فى الشمال) .

وهذا التنامى فى ثروة ورخاء وهيبة نخبة القدس وانخراط القدس تدريجيا فى سياسات التجارة الدولية قادها فى النهاية إلى مواجهة مباشرة مع الجيش الآشورى مما أدى إلى تدميرها وتفكيكها من جانب البابليين . وهو الدمار الذى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أدى إلى ركود اقتصادي مدمر وانهيار المجتمع بكامله .

وفى محاولة جادة لشرح الوضع الاجتماعى لليهود خلال التاريخ كما تبينه النصوص التوراتية يقول(موفق محادين) [61]:

إن اليهود لم يخرجوا عن وظيفتهم التاريخية غير الانتاجية للأسباب التالية :

أولا : ظلت الوظيفة الاجتماعية اليهودية تملي على الحاخامات إعادة انتاج تفاسير العهد القديم بما يخدم هذه الوظيفة وخاصة الرموز الفِلاحية . فنقرأ فى الأسفار التوراتية [62]أن الأماكن المرتفعة وتقديسها هى طقوس وثنية لاتليق بالشعب المختار . ولعل ترميم سِفْر التثنية وتخليصه من الرموز والطقوس الفِلاحية الوثنية أهم مؤشر مبكر على العداء اليهودي للفلاحين . (تم تأليف هذا السفر فى القرن السابع ق.م. أى بعد موسى بحوالي سبعة قرون) .

ثانيا : الانحياز لـ (هابيل) الراعى ضد قايين (قابيل) المزارع وليعقوب ضد عيسو . وظلت التوراة تربط بين الأغيار والفلاحين على إطلاقهم وتعتبرهم أدنى درجة من اليهود شعب الله المختار من الناحية البيولوجية **وظلت الشعوب الفِلاحية بالنسبة لليهودى تساوى (قايين) الملعون فى التوراة ومصدر كل خطيئة بما هو فلّاح . وأن الخروج من مصر (قديما) ومن أوروبا الشرقية (حديثا) والتيه فى الصحراء ثم الشرق الأوسط ليس إلا تكفيراً عن خطيئة العيش مع الشعوب الفِلاحية فى مصر وأوروبا الشرقية .**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثالثا : رغم الحديث التوراتى عن الأرض الموعودة للشعب المختار **إلا أن الأرض لم تحتل سوى قيمة ثانوية جداً فى الفكر الصهيوني كما فى الواقع اليهودي نفسه** (تذكر التوراة أن إبراهيم (عليه السلام) اشترى أرضاً من عفْرون الحيثى ليدفن زوجته سارة مع إنه كان مقيماً فى الأرض المدعوة للشعب المختار) .

رابعا : لا حظ (**إبراهام ليون**) [63]أن الأرض التى كانت ملكا لليهود كانت تتشكل أساساً من عمليات مضاربة ذات طبيعة ربوية أو تجارية .

ويذكر (إسرائيل شاحاك) اليهودى أن سمات المجتمع اليهودى ظلت سمات غير فِلاحية ابتداءً من القرون الوسطى وحتى القرن العشرين .

خامسا : يُعتبر الإله اليهودى (يَهْوَه) إلهاً رعوياً وليس زراعياً أو فِلاحياً (العصا فى القصّ التوراتى عن موسى ترمز كإسقاط مقدس لوظيفتها بالنسبة لأى راعى) .

ويقول (أ . ليون) [64]: لم يُشتت اليهود إطلاقا منذ سقوط أورشليم إذْ كانت الغالبية العظمى من اليهود قد تبعثرت فى أنحاء العالم قبل هذا الحدث بعدة قرون (ثلاثة أرباع اليهود كانوا يسكنون خارج فلسطين قبل سقوط القدس بمدة طويلة) .

ويرى (موفق محادين) [65]أن الجيتّو اليهودي (العزلة) Getto **من اختراع اليهود أنفسهم ولأسباب اقتصادية أضفى عليها الحاخامات طابعا دينياً من أجل تكريس دورهم داخل هذه الطوائف . وأن ايديولوجيا العزلة التى حاولت تسويغ المشروع الصهيوني بالإعلان عن صعوبة اندماج اليهود**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مع الآخرين بسبب لاسامية هؤلاء (تجلت فى مذابح دائمة ضـــد اليـــهود) ليست ايديولوجيا رجعية فحسب بل مزعومة فى الأساس . لأن الانغـــــلاق الداخلي (العزلة) لم يكن مقصوراً على اليهود وحدهم بل على كل المجـاميع البشرية وبسبب غياب شرط الأمة الكاملة فى مراحل ماقبل الرأسمالية .

ويقول (أوسويل) [66]: إن اليهود عاشوا كطائفة منفصلة لأنهم مثلوا نظام (اقتصاد السوق) بين ظهرانى شعوب تعيش فى نظام (اقتصاد طبيعي) .

ويقول (كانتور)[67]الأمريكي : إن اليهود تعرضوا للاضطهاد والمغـادرة أحيانا فى نطاق الامبراطورية الرومانية فى وقت لاحق لأنهم أنكروا ألوهيـــة القياصرة انطلاقا من الإيمان بالإله الواحد (كما أدى ذلك أيضا إلى اضطـهاد المسيحيين) .

ويشير(ليونارد تشاين)[68]إلى أن : اليهود قد استقروا قبل انهيار الدولـــة اليهودية بوقت بعيد فى مصر وبرقـــة (ليبيـا) وســوريا ومابين النـــهرين (العراق) وإيطاليا واليونان . **وقد كان عدد اليهود على أعتاب المسيحية 700 ألف شخص فقط فى حين كان عددهم فى الامبراطورية الرومانيـــة وحدهـا زهاء أربعة ملايين .**

ويضيف الباحث (**أحمد عثمان**[69]) قائلا :

ليس صحيحا أن هجرة اليهود خارج فلسطين (الشتات) جاء نتيجة لمنع الرومان لهم من دخول القدس . وليس صحيحا أن تلك الهجرة كانت جبرية مفروضة عليهم بل أن معظم الهجرات تمت قبل تدمير المعبد فى ســـنة 70 ميلادية (**عهد الامبراطور الرومانى طيطس**) **وهكذا تركت غالبية اليـــهود**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرض فلسطين بشكل اختيارى وانتشروا فى آسيا الصغرى وسوريا.وتقـــوم تعاليم أحبار التلمود على أساس (الجنس الطاهر) . وتلك التعاليم هى التى أدت فى النهاية إلى عزلة اليهود فى بلدان العالم التى هاجروا إليها اختياريا ثم وقوعهم ضحية للاضطهاد بعد ذلك .

ويعترف (شاحاك) [70]اليهودي بأن الإسلام عامل اليهودية بتسامح يفوق التسامح الذي لاقته من المسيحية .

وفى ظل الامبراطورية العربية المسلمة (العثمانية) كان بإمكان اليـــهود بصفتهم رعايا للسلطان أن يسافروا من وإلـــى فلســـطين ولكنـــهم فضلـــوا واختاروا العيش فى القسطنطينية (اسطامبول) ودمشـــق والقـــاهرة لافـــى فلسطين . وكان من نتائج أزمة عام 1929 م (الركود الاقتصادى العـــالمى) طرد اليهود من الرايخ الثالث (كانوا حوالى 500 ألف يهودى عـــام 1933م) وغادروا الرايخ حوالى 226 ألف يهودى بخلاف المهاجرين من السياســـيين ومن الآريين فوصل العدد حوالى 400 ألف توجه معظمهم إلى فلسطين .

وظهرت أحزاب جديدة على غرار الفاشية والنازية فى بولونيا وهنجاريا ورومانيا تشكلت من المثقفين والخريجين الذى اعتقدوا بأن اليهود يزاحمونـــهم على المهن . وطالبت تلك الأحزاب بدكتاتورية عنصرية تأخذ علـــى عاتقـــها مهمة تطهير البلاد من اليهود وقطع دابرهم . وفى هـــذه المناخـــات وُلـــدت الحركة الصهيونية كحركة برجوازية صغيرة وليـــس كحركـــة للبرجوازيـــة الكبيرة وبالتالى كان مشروعها انعزاليا وليس اندماجيا .

ويصف (هرتزل) و (ليوبينسكر) [71]الصهيونية فيقولا:

الصهيونية ردة فعل البرجوازية اليهودية الصغيرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول (إبراهام ليون) [72] :

إنها تلك البرجوازية المختنقة بين الاقطاعيـــة المنـــهارة والرأســمالية المنحطة . وقدمت ايديولوجيا الصهيونية نفسها بشد (هيجل) إلى (كـــانط) وترويج الميتافيزيقا الصهيونية انطلاقا من لاسامية (الأنا) التى لا تعـــترف بالصهيونية كفكرة مطلقة مقدسة متعالية.

فالقضية تقابل الشيء فى ذاته (عند كانط) والصهيونيـــة - كايديولوجيـــة عزلة – عنوانها : نوح - المصطفى - هابيل - إبراهيم.المتحولين مـــن جهـــة **وامتدادهما الرمزى بعد زواج اليهود من آخرين** . كدلالـــة ســـامية عِرْقيـــة اطلاقية ضد التعيّن الأرضى كمعادلة للاندماج . فلا تستعيد الفكرة نفسها على طريقة التركيب (الهيجيلية) (نفى النفى يتوسط الواقع) أى واقع الفكـــرة . بل على طريقة الخلق من خطيئـــة الآخرين وبطريقـــة القفـــزة الحدْسية (كيركغادر زائد شيلنج) مضافا إلى ذلك أن مثل هذه الاستعادة فى صورتـــها المماثلة للخلق الأول **تعنى أن كل خلق أول هو خلـــق يـــهودى بـــالضرورة يتوجب عليه أن يظل نقيا** بدون أن يتلوث بدماء الآخرين من خلال الاندماج . كما أن الاعتراف بالتعيّن اليهودى يعنى الاعـــتراف بالســـيرورة وقوانينـــها الموضوعية . **ويجرّ إلى القول بأن دمار مملكتى إسرائيل ويـــهودا وكذلـــك الشتات اليهودى عقاب لبنى إسرائيل أنفسهم وليس للآخرين الذين دمـــروا هاتين المملكتين** . ويظل اليهود - ماداموا نخبة خاصة عِرْقيا فى عرفـــهم - تعبر عن الفكرة المقدسة - لديهم - التى لم يلوثها الاندماج حيث يكف اليهودى عن كونه يهوديا فى حالة الاندماج أو الذوبان مع الآخرين . وهو مـــا يفســـر الاستعارة الصهيونية لمفهوم الخطيئة فى التوراة وفق المقـــابلات المفارقـــة التالية :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(أ) إذا كانت الخطيئة تطال كل البشر فـــى طوفـــان التـــوراة باســـتثناء نوح وقومه الأقربين فإن إسرائيل صورة مصطفاة معاصرة أخرى لنوح الذى اصطفاه الله من بين البشر الخطّائين وأعاده إلى السماء بعد الطوفـــان وأورث أحفاده الخُلّص من اليهود خصائص بيولوجية مطلقة تسمو على بقية البشر .

(ب)اليهود خارج الخطيئة . فالخطيئة دنيوية واليهود شعب الله فإن العقـــاب والندم لايطالان إلا غير اليهود فقط. بل وإزاء اليهود أيضا باعتبارهم وكـــلاء الله الذين حملوا رسالته إلى البشر .

ويقول (هرتزل) [73]: **لايستطيع اليهود أن يعيشوا بانسجام مع غـير اليهود .**

ويقول (بينسكر) [74]: إن اليهود يشكلون عمليا بيئة منعزلة عـــــاجزة عن التمثّل مع أية أمة ولذا **لا تستطيع أية أمة أن تطيق اليهود فى بيئتها .**

وفكرة المجيء اليهودية ترتبط بالأسر البابلى والتيه فى سيناء ودعوة الرب لشعبه واتحاده المقدس معه من خلال إعادة بناء الهيكل وقيام (**المسيح اليهودى**) من نسل داود . وفى الأساطير أن التاريخ هو الذى منح الحضـــور الجديد لأسطورة قديمة . فليس الماضى إلا تجسيداً للمستقبل وليس المســـتقبل إلا استعادة للماضى تقوم على تكرار النماذج الأولى ورفض الزمان الواقعي . وحسب **مأثورات الأزتك** دُمِّر العالم ثلاث مرات ولا يزال بانتظار الرابعـــة . وبين المرة والمرة ألف عام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفكرة (الألفية) هذه لم تحتل حيزها فى الموروث اليهودى نفسه إلا مؤخراً وبصورة مغايرة للفكرة اليهودية نفسها . فلم يعد المخلِّص المنتظر ملكا يهوديا من نسل داود بل أصبحت إسرائيل بكاملها . ولكن كمقدمة لانبعاث (المسيح المسيحي) وليس (المسيح اليهودي) .

وكان للإصلاح الكنسي البروتستانتى دوراً فى ضرب التنميط والإطاحة بحق الكنيسة فى احتكار الكتاب المقدس وتحديد الرؤية المسيحية الفكرية . فكل بروتستانتى أصبح حراً فى دراسة الكتاب المقدس واستنتاج معنى النصوص التوراتية بشكل ما . ففتح ذلك الباب للبدع فى اللاهوت المسيحى التى رأت أن اليهود شعب مميز وليس من الصحيح أنهم قتلة المسيح وكفرة وهراطقة وشعب عاق شتتهم الله فى المنافى عقاباً لهم على ما ارتكبوه من الخطايا والآثام .

وبالتزوير التاريخي تسلل إلى العقل الأوروبي ما يسمى (بالحق التاريخي) لليهود فى فلسطين كما لم يعد المسيح اليهودي المنتظر يهودياً بل مسيحياً باعتبار أن المسيح (عيسى) قد جاء وانتهى . ونشأت فكرة أن مجيء المسيح وانبعاثه لا يتم إلا بعد قيام إسرائيل وبناء الهيكل . ولذا فالوقوف ضد إسرائيل هو وقوف ضد الله وعدم مساعدة اليهود على استكمال السيطرة على فلسطين يعنى تأخير عودة المسيح (المسيحي) .

ويصل تحليل (**بوروشوف**) [75]مستنتجا أن حل المسألة اليهودية لن يأتى عن طريق النضال فى سبيل (الاستقلال الذاتى القومى الثقافى) كما كان يطلب (البوند) ولا عن طريق الاندماج والنضال إلى جانب القوى الثورية المحلية فى سبيل الثورة الاجتماعية وإنما عن طريق الهجرة المنتظمة إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المكان الذى يوفر لليهود إمكانية تغيير تركيبتهم الاجتماعية ويسمح لهم بالنفاذ إلى مرافق الإنتاج الأساسية . **وعندما تغيب الأرض والطبقة يكون دور الطبقة استعادة الأرض وحل المسألة القومية كإطار للصراع الاجتماعي لاحقاً .**

ويقول (سوكلوف) [76]: يشكل اليهود وحدة عِرْقية وتاريخية وثقافية هى الأساس المشترك لبعث حياة قومية كاملة فى وطن آبائهم .

وعند (مارتن بوبر) [77]: اليهود هم الشعب الوحيد فى العالم الذى تكّون خلال الأزمنة الغابرة كأمة وكسبط دينى فى آن واحد .

وكل هذه التصورات والمفاهيم يجرى تغذيتها وتعزيزها بالتوراة حتى لا يقال أن شعب الله المختار يبحث عن مسوغات أخرى خارج كتابه المقدس.

وإلى جانب التلمود وكتاب السَبى البابلى (المرويات التوراتية غير الأسفار الخمسة الأولى) تصطف المساهمات الألمانية العرقية بجوهرها كما هو الحال عند نيتشه وجومبلوفكس وجوبينو وليبينتز أو باسقاطاتها المختارة والملفقة كما هو الحال بالنسبة لأعمال هيجل وكانط[78].

ويشير (**د. أحمد أبو النور**) فى كتابه الثاني من سلسلة (رسائل آخر الزمان) [79] إلى أن المعتقدات اليهودية المقدسة تدور فى فلك كتابين أساسيين هما :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1-**التوراة :** مرفق بها تراث الأنبياء التاليين لموسى (عليه السلام) والسابقين لعيسى (عليه السلام) .

2-**التلمود :** [80]وهو الكتاب الأقدس عند اليهود

ويمثل الكتابان خلاصة السيرة العقائدية والتاريخية لليهود طيلة أزمنتهم. أما (بروتوكولات حكماء صهيون) فيعتبرونها اللائحة التنفيذية لكتابهم الأقدس التلمود .

وعن التوراة يقول : إن التوراة الحقيقية التى حصل عليها موسى (عليه السلام) من ربه تعالى على ألواح الحجارة وكان موسى منفرداً فى حضرة ربه تاركاً بنى إسرائيل لأخيه هارون:

*ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحي الشهادة . لوحي حجر مكتوبين بإصبع الله [81]

أى أن التوراة الحقيقية هى لوحي حجر بما يمكن ترجمته فى حدود 15 صفحة فلوسكاب . ويتساءل (د. أحمد أبو النور) عن حجم التوراة المتداولة حاليا وهى حدود 300 لوحا حجريا بوزن يتجاوز 600 كجم . وعن مدى صحة مافى هذه النسخة والاضافات الكبيرة فيها . والقرآن يقول :

* وكتبنا له فى الألواح من كل شيءٍ موعظة وتفصيلا لكل شيء . [82]

أى أن التوراة المنزلة كانت تفصيلا وليست ايجازاً ولفظ الجمع (الألواح) غير لفظ المثنّى (لوحي حجر) ويعتقد الكاتب أن التوراة كانت مكتوبة فى حوالى 15 لوحة حجرية وزنها جميعا فى حدود 60 كجم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى نقده للتوراة المتداولة يقول : إنها خلت مـــن موضـــوع البعـــث وحساب الآخرة . وكأى دين سماوى لامجال لإنكار البعث أو الحساب .

ويتناول بعد ذلك (**التلمود**) بالنقد فيقول[83]:

إنه صناعة بشرية 100% وقد جاء به على سبيل المثال :

*إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليـــــها . ومـــن درس المِشْناة فعل فضيلة استحق أن يُكافأ عليها . ومن درس الجِمَارا فعل أعظـــم فضيلة .

ويتكون التلمود من قسمين رئيسيين هما : المِشْنا (المِشْناة) والجِمارا .

و(**التلمود**) يحوى آراء الحاخامات اليهود على مر العصور شـــرحا وتفسيراً فى كافة نواحي الحياة وكذلك آراء المحاكم العليا لديهم بعدما صارت التوراة بالنسبة لهم بمثابة الرجل الهرم الذي شاخ.

و (**المِشْناة**) : هى بمثابة الأساس البنائى للتلمود كله . ويذهبون إلـــى أن موسى (عليه السلام) هو واضع بذرة هذا الأساس بعد تلقيه شفاهة من الله . أمـــا (**الجمارا**) فهى خلاصة الشروح والنقاشات الفكرية المختلفة لأحبار اليـــهود وحاخاماتهم على مر العصور فى تناول المِشْناة تحليلا وتفسيراً ولقد أجمعـــت المصادر التاريخية على أن فئة (**الفريسيين**) أو المعتزلين أو المنشقين هى صاحبة بدعة القانون الشفوى أو التلمود . ولأن التلمود تمتد إليه الأيادى علنـــا وصراحة وفى وضح النهار فقد كان له الدور الأكبر كأداة تفريغ لكل أحقـــاد اليهود وأحبارهم تجاه شعوب الكرة الأرضية ودياناتها باعتبار أنهم يفســـرون نصوص توراتية قديمة سواء لإقحام ما يريدون إقحامه وإعطائه منزلة القداسة من خلال كتاب المِشْناة أو من خلال إضافته لجزء الجِمارا . **وقد طبع التلمود فى القرن السادس عشر الميلادي .**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى التلمود يُعتبر روح اليهودى هى جزء من روح الله (تعالى الله عن ذلك) كما أن الإبن هو جزء من أبيه . وأى روح غير يهودية فهى أرواح شيطانية تقارب أو تشابه أرواح الحيوانات . وأن الجنة لن يدخلها إلا اليهود أما باقى الشعوب والأمم فمأواهم الجحيم . والمسلمون - فى نظر اليهود - لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم (يقصدون الوضوء) والمسيحيون يحركون أصابعهم (يقصدون أنهم يرشمون الصليب) ويدعون زوراً أنه :

*لاشغل لله فى الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة .

وعن المسيح وأمه يقولون فى التلمود[84]:

*إن يسوع الناصرى (يقصدون المسيح بن مريم) موجود فى لجان الجحيم بين الزفت والنار . وأن أمه أتت به من العسكرى (باندارا) بمباشرة الزنا وأن الكنائس النصرانية بمثابة قاذورات وأن الواعظين بها أشبه بالكلاب النابحة وأن قتل المسيحى من الأمور المأمور بها وأن على اليهودى أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصرانى . وأن يسوع (المسيح) قد ارتدّ عن الدين اليهودى وعبد الأوثان .

وفى التلمود أيضا أن المسيح ولد غير شرعى حملت به أمه وهى حائض . وإن مريم هذه كانت تدعى (ستادا) وأنها كانت عاهرة هربت من زوجها واقترفت الزنا وفيه أيضا أن الكفار هم يسوع ومن اتبعه .

وكما نرى فهى افتراءات باطلة جملة وتفصيلا .

وعن تعامل اليهودى مع الغير - كم جاء فى التلمود - نقرأ[85]:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*إن أموال المسيحيين مباحة لليهود كالأموال المتروكة أو كرمال البحـــر . فأول من يضع يده عليها يمتلكها .

*إن الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأمى ماله المفقود.

*يسمح بغش الأمى (أى غير اليهودى) وأخذ ماله بواسطة الربا الفـاحش لكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودى شيئا فلا تخدعه أو تغشه .

*غير مصرح لليهودى أن يقرض الأجنبى إلا بالربا .

*إذا وقع أحد الوثنيين (أى غير اليهود) فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر.

وعن (بروتوكولات حكماء صهيون) [86]وهى المخطط التنفيذى للتلمود لحكم العالم يورد(د.أحمد أبو النور) بعضا منها :

*إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم إنما يعمل فى غفلة مـــن الآخرين كقناع لأغراضنا [87].

*نحن أقوياء جدا . فعلى العالم أن يعتمد علينا ويرجع إلينا وإن الحكومات لا تستطيع أبدا أن تبرم معاهدة ولوصغيرة دون أن نتدخل فيها سرا [88].

*بحكمى فليحكم الملوك[89]

*حكمنا سيبدأ فى اللحظة ذاتها حين يصرخ الناس الذين مزقتـــهم الخلافـــات وتعذبوا تحت إفلاس حكامهم فيصرخون هاتفين إخلعوهم واعطونـــا حاكمـــا عالميـــا واحداً يستطيع أن يوحدنا.حاكمـــا يســـتطيع أن يمنحنـــا الســـلام والراحة[90].

*ولكى نخرب صناعة الأمميين (غير اليهود) ونساعد المضاربات سنشـــجع حب الترف المطلق الذى نشرناه من قبل وفى الوقت نفسه ســـنرفع أثمـــان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الضرورات الأولية متخذين سوء المحصولات الزراعية عذراً عن ذلك . كما سننسف بمهارة أيضا أسس الانتاج ببذر الفوضى بين العمال ونشجعهم على إدمان المُسْكِرات (المخدرات) وفى الوقت نفسه سنستعمل كل وسيلة ممكنة لطرد كل ذكاءٍ أعمى من الأرض (أى كل شخص غير يهودى ذى قيمة ومهارة) [91]

***وبمساعدة أوروبا يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتنة والمنازعات والعداوات المتبادلة ويجب أن ننطوى على كثير من الدهاء والخبث خلال المفاوضات والاتفاقات .** ولكننا فيما يسمى اللغة الرسمية سوف نتظاهر بعكس ذلك كى نظهر بمظهر الأمين الممثل للمسئولية[92].

*إن لنا طموحا لا يُحدّ . وشَرَهاً لايشبع ونِقْمة لا ترحم . وبغضاء لاتُحس . **إننا مصدر إرهاب بعيد المدى** [93].

*نحن جيش مشتت عن الوصول إلى أغراضنا بالطرق المستقيمة . فالمراوغة - فحسب - هى الوسيلة الصحيحة وهى الأصل فى تنظيمنا للماسونية التى لايفهمها أولئك الخنازير الأمميين (غير اليهود) [94]

وعن (الماسونية) يقول [95]:

إن اليهود فى تاريخهم الطويل ليسوا هم أهل التنفيذ لما يريدون ولكنهم أهل تخطيط المؤامرات من الألف للياء . وعلى الآخرين المختارين أن يقوموا بالتنفيذ . **ومن أبرز الأيادى الصهيونية الأخطبوطية تلك المحافل الماسونية وأندية الروتارى وشهود يَهْوَه والليونز وغيرها .** وهى منظمات وتجمعات أخذت صفة الدولية والعالمية . وهم يسعون وينجحون فى استقطاب وضم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معظم نجوم المجتمعات التى يعملـــون داخلـــها لاجتماعـــات ومحـــافل هـــذه التنظيمات .

وتعتبر المحافل الماسونية أقدم من حركة الصهيونية العالمية الرســـمية المعلنة . ولفظ الماسونية مشتق من مسمى (**البنائين الأحـــرار**) Free Mason وعملهم البنائى الوحيد هو محاولة بناء هيكل اليهود فى القدس مكان المســـجد الأقصى .

وعن تنظيم (**شهود يَهْوَه**) يقول (د. أحمد أبو النور) :

إن هذا التنظيم استعار اسم (يَهْوَه) كإسم لله تعالى ورد فى العـــهد القديـــم . واعتبروا أنفسهم هم شاهده الوحيد . أو شهوده وكفّروا كل مؤمنى العالم مـــن كل الملل والديانات . وهو تنظيم دينى هدفه:

1- **هدم المسجد الأقصى والصخرة وكنيسة القيامة . ولكل هـــدم وقتـــه المناسب.**
2- **بناء الهيكل .**
3 -**إعلان التنظيم اليهودي الصهيوني العالمي الجديد والذي بمقتضاه تكون إسرائيل الكبرى هى مملكة الله .**

وعن نفس المسميات السابقة يأخذنا (**د. عبد الوهاب المسيرى**)[96] فـــى جولة مع دراسته فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية شارحا بقوله :

العداء لليهود والاستيطان هما وجهان اختزاليان وعنصريان لعملة واحدة فكلاهما يؤكد وحدة اليهود . وكلاهما يطالب بطرد اليهود من أوطانهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والنموذج الاختزالي العدائى لليهود : يتهم اليهود بأنهم يحيكون مؤامرة يهودية عالمية وردت وقائعها فى (بروتوكولات حكماء صهيون) وأيضاً فى (التلمود) . ومن أهم تجليات هذا النموذج ما يقال له (المؤامرة اليهودية الكبرى)أو (المؤامرة اليهودية العالمية) والتى تفترض أن أعضاء الجماعات اليهودية يكوّنون كُلّاً واحداً متكاملا متجانسا . وأن لهم طبيعة واحدة . **ويتسم اليهودى حسب هذا النموذج بالشر والمكر والرغبة فى التدمير والاستحواذ والسيطرة على العالم.والتاريخ اليهودي بأسره إن هو إلا تعبير عن هذا النموذج وعن هذه المؤامرة الأزلية المستمرة. واليهود - من ثم - هم المسئولون عن الشرور والمنكرات فى كل زمان ومكان** . فهم على سبيل المثال الذين أراقوا دم المسيح (حسب الرواية المسيحية) . وهم الذين وضعوا السم للرسول (ﷺ) فى الشاة المشوية . وهم وراء مؤامرة عبد الله بن سبأ (ثم أتْباعه من بعده) للقضاء على الإسلام . وهم الذين قاموا بدس الإسرائيليات دساً على الدين الحنيف . بل ويُنسب إليهم ذبح أطفال المسلمين وإستخدام دمهم فى صنع خبز الفطير الذى يأكلونه فى عيد الفصح . وفى العصر الحديث هم وراء أشكال الانحلال المعروفة العلنية والخفية وهم وراء المحافل الماسونية التى أسسوها أداة لمؤامراتهم . وهم وراء البهائية التى تسعى لإفساد الإسلام وكل العقائد . بل وهم على اتصال بعالم الجريمة للمساعدة فى إفساد العالم . وهم الذين أدوا إلى ظهور الرأسمالية بكل بشاعتها والبلشفية بكل إرهابها والإباحية . وهم الذين أسقطوا الدولة العثمانية (من خلال يهود الدونمة) ويتحكمون فى الصحافة ووسائل الاعلام . وهم الذين ضغطوا على الامبراطورية البريطانية لتصدر (وعد بلفور) وهم الذين يحركون - الآن - اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق مآربهم وتنفيذ مصالحهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والصهيونية ليست مرتبطة بظهور الامبريالية الغربية وبهيمنتها على العالم وإنما هى مجرد تعبير عن الشر الأزلى الكامن فى النفس اليهودية ويرى هذا الفريق (التآمريون) أن اليهودى يعانى من إزدواج الولاء ويقاوم الاندماج فى الأغيار ويقع ضحية لعنفهم معه .

وعن(**بروتوكولات حكماء صهيون**) يقول د/ عبد الوهاب المسيرى[97] :

إنها وثيقة كتبت عام 1897 م فى بازل بسويسرا (عام انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول) وتشمل أربعة وعشرين بروتوكولا (وثيقة أو اتفاقية) فى نحو مائة وعشر صفحات ونشرت عام1905 م . ملحقا لكتاب من تأليف الروسى (سيرجى نيلوس) . وتلك الوثيقة المنشورة مزورة لأنها :

1-وثيقة روسية بالدرجة الأولى والأخيرة .

2- محاولة لبيان الخطر العالمى لليهود على لسان حكماء صهيون .

وثمة رأى يقول أن الصهاينة يقومون بالترويج لهذه البروتوكولات لأنها تخدم المشروع الصهيونى الذى يهدف إلى ضرب العزلة على اليهود وتحويلهم إلى مادة خام صالحة للتهجير والتوطين فى فلسطين المحتلة . ويساهم بعض أعضاء النخب الحاكمة فى الترويج لهذه البروتكولات لتبرير العجز العربى والتخاذل أمام العدو الصهيونى . وقد أثبتت الانتفاضة الفلسطينية مدى زيف تلك الدعاوى المذكورة فى البروتكولات .

وعن (**التلمود**) يقول د. المسيرى[98]:

إنه من أهم الكتب الدينية عند اليهود . وهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية (السماعية) وهو تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة) أى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(القرائية) . **وهناك تلمودان :**

1-**التلمود الفلسطينى أو الأورشليمى** (تلمود أهل الغرب).

2-**التلمود البابلى** . (تلمود أهل الشرق) .

وكلا منهما مكون من المِشْناه و الجماراه . والمِشْناه فى **كلٍ من التلمودين لااختلاف بينهما** . **أما الجِماراه فاثنتان** وضعت إحداهما فى فلسطين والأخرى فى العراق(بعد السَبْى) والتلمود البابلى هو الأكثر تداولا وهو الكتاب القياسى عند اليهود لأن الجِماراه البابلية أكمل وأشمل من الفلسطينية .

ويضم التلمود ملاحظات مهينة ضد المسيحية كعقيدة . فيذكر التلمود أن المسيح عيسى (عليه السلام) كان يهوديا مرتداً كافرا . وأن تعاليمه كفرٌ بيّن . وأن المسيحيين كفرة مثله . وأن أمه حملت به سفاحا من جندي روماني يُدعى (بندارا) **ويضم التلمود أجزاء عن محاكمة المسيح فى السنهردين . ويقر بأن اليهود هم الذين صلبوا المسيح . ويُعتبر التلمود - لذلك.- مسئولا عن عدم اعتناق اليهود المسيحية . وإذا كانت صهيون هى الوطن الوهمي البعيد فإن التلمود أصبح هو الوطن المتنقل** . وحل التلمود محل التوراة في العصور الوسطى باعتباره كتاب اليهود المقدس الأساسي . ومن القرن السادس عشر الميلادى أخذت (قبالاه الزوهار) والكتب القبالية الصوفية الأخرى تحل محل التلمود . وفى الوقت الحالى فإن الأغلبية العظمى من أعضاء الجماعات اليهودية يرفضون التلمود بل ويجهلون ماجاء فيه (كان مكتوبا بالآرامية) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأثر التلمود واضح على قوانين الأحوال الشخصية لليهود . **والتصور التلمودى للإله يشكل نكسة للفكر التوحيدى وللرؤية التى طرحها الأنبياء فى العهد القديم** . ويخلع التلمود العديد من الصفات الإنسانية واليهودية على الإله . ويتناسى التلمود الفرق بين الأخيار والأشرار من الأغيار(غير اليهود) ويطالب اليهود أن يستخدموا مقياسين أخلاقيين . واحد للتعامل مع اليهود وآخر للتعامل مع الأغيار والتلمود لا يرحب بالمتهودين لأن اليهود وحدهم يجسدون روح الإله . وأصبح التلمود مجالا للتعويض عما يلاقونه اليهود من اضطهاد فتحول التلمود إلى صياغات لفظية يمارسون من خلالها الانتقام من أعدائهم وإظهار التفوق اليهودى ويتكون التلمود من نص وشرح وتعليق وتعليق على التعليق وإضافات شتى واستمرت عملية وضعه مئات السنين فى أزمنة وأمكنة مختلفة (من السبى البابلى حتى القرن التاسع عشر الميلادى).

وعن (الإسرائيليات) يقول (د. المسيرى) [99]:

الإسرائيليات هى مجموعة من القصص والتفسيرات لقصص وأحكام القرآن الكريم . ولما كان القرآن الكريم لم يذكر قصص الأنبياء كاملة فإن كُتّاب الإسرائيليات يلجأون إلى ملء الثغرات - فى تفاسيرهم - بالعودة إلى كتب اليهود الدينية . **ومما تتناوله الإسرائيليات عقائد مثل المسيح المخلِّص والمهدى المنتظَر وآخر الأيام وعذاب القبر واسم الإله الأعظم . وتتسم معظم الإسرائيليات (بل كلها) بطابعها الحلولى المتطرف الذى يتناقض وبشكل حاد مع الفكر التوحيدى** . وتساهل المفسرون وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها عن أهل التوراة ولا تحقيق عندهم . **وكلها تفاصيل روائية لا فائدة من معرفتها** . وقد دخلت الإسرائيليات إلى كتب التفاسير عن طريق اليهود الذى اعتنقوا الإسلام فى مرحلة مبكرة مثل كعب الأحبار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن بعد فترة لم يعد اليهود الذين أسلموا هم وحدهم مصدر الإسرائيليات بل كان كثير من المفسرين المسلمين يعودون بأنفسهم إلى الكتب الدينية اليهودية أو الفولكلور اليهودى لتفسير القصص القرآنى. **كما أن الوجدان الشعبى نسج وولّد قصصا وتفسيرات على منوال الإسرائيليات .**

وعن (**يهود المارانو**) يقول يقول د. المسيرى : [100]

إنهم اليهود المتخفين (فى أسبانيا والبرتغال) الذين **تراجعوا ظاهريا عن اليهودية وادعوا اعتناق الكاثولوكية (المسيحية)** حتى يتمكنوا من البقاء فى شبه جزيرة أيبريا مع تراجع الحكم الاسلامى وبعد طرد يهود البرتغال عام 1480م ويهود أسبانيا عام 1492 ويطلق عليهم تعبير **(كونفرسوس)** أما المسيحيون الجدد فيسمون (**كريستاوس نوفوس**) .

واسم يهود المارانو العبرى هو (**أنوسيم**) أى المُكْرَهين أو الذين أُكرهوا على التنصر واستمر أغلبهم فى التخفى حتى بعد أن أصبح من حق اليهود ممارسة شعائر دينهم علناً فى أسبانيا والبرتغال . وقد تأثروا بالطقوس الكاثولوكية . وهم يشبهون من بعض الوجوه ظاهرة **(الموريسيكيين)** وهم العرب المسلمون الذين اُضطروا إلى التنصُّر بعد استرداد المسيحيين لأسبانيا (الأندلس) .

وعن **(يهود الدونمة)** يقول د. المسيرى [101]:

هؤلاء اعتنقوا الإسلام طواعية دون قسر . والدونمة تعنى المرتدين: وهم جماعة يهودية تركية شبتانية من اليهود المتخفين استقرت فى سالونيكا وأشهرت إسلامها تشبهاً بالماشيح الدجال (شبتاى تسفى) . **وكانوا يمارسون**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شعائرهم اليهودية سرا . وهم عدة فرق منهم اليعقوبلية والأزميرلية . وكانوا يحللون لأنفسهم كثيراً من تحريمات التوراة (تبادل الزوجات - الزنا .. الخ).

وعن (الماسونية) يقول د. المسيرى[102]:

تعرف بأنها مجموعة من التعاليم الأخلاقية والمنظمات الأخوية السرية التى تمارس هذه التعاليم . والتى تضم البنّائين الأحرار والبنّائين المقبولين أو المنتسبين (الذين لا يمارسون حرفة البناء) . **وتلك الطائفة تؤمن بالحرية والمساواة الإنسانية . وهى علْمانية** . ويتم توريث المعلومات فيها والخبرات المختلفة من خلال النقابات الحِرَفية . وظهرت الماسونية الرمزية أو الفلسفية أو النظرية التى حلت محل الماسونية الفعلية . وبداياتها كانت علْمانية(**الماسونية الأولى/ الفكر الربوبى**). وتحولت فى مرحلتها الثانية إلى ثورة إلحادية (**الماسونية الثانية**) ثم تحولت إلى - بعد أن فقدت دورها الثورى - ما يشبه النوادى التى تضم أعضاء لهم مصلحة مشتركة وتشكل إطاراً يتبادل داخله الأعضاء الخدمات (**الماسونية الثالثة**) . وظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية محافل ذات طابع اجتماعى ترفيهى أغلب أعضائها من الماسونيين ويقال لهم (الحرميون) وفيها يسمح للنساء بالإنضمام إليها . وتُعد نوعا من الابتذال وهو يشار إليه بالماسونية السوقية أو المتأمركة أو ماسونية عصر الاستهلاك وما بعد الحداثة (**الماسونية الرابعة**) . وقد وصف البابا كلمنت الثانى عشر عام 1738 م الماسونية بأنها **ديانة وثنية غير مقدسة**.

وقد حلت الماسونية مشكلة اليهود الذين كانوا يريدون الانضمام والاندماج فى مجتمع الأغيار ولكنهم لا يريدون التنصّر . وكان المطلوب منهم - اليهود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغيرهم - إزاحة وتهميش الدين وإعادة تأسيس عقيدتهم على العقل(**العلمانية**) لا الغيب (التدين) . ولذلك انخرط اليهود بأعداد كبيرة فى المحافل الماسونية لأسباب منها :

(أ) الماسونيون معادون للكنيسة والكهنوت . وهذه نقطة لقاء بينهم وبين أعضاء الجماعات اليهودية الذين فقدوا إيمانهم (وهؤلاء أغلبية يهود العالم) .

(ب) التركيب المهنى والوظيفى لليهود يجعل أغلبيتهم الساحقة من القطاعات التى تشكل أعضاء المحافل الماسونية (العناصر المالية والتجارية والمهنية) .

(ج) الماسونية حركة أممية تتجاوز الولاءات القومية . وعنصر اليهود المهاجرة ليس لها ولاء قومى قوى بل الولاء للمصالح المالية وغيرها.

وعن (**العبقرية اليهودية**) يقول د. المسيرى[103]:

يمكن تفسير ذلك لأسباب عديدة منها :

1- العباقرة فى الغرب الحديث يحققون تميزهم لا بمقدار تعبيرهم عن يهوديتهم وإنما بمقدار تخليهم عنها وتصاعد معدلات العلمنة . (مثال اسبينوزا - ماركس - فرويد-اينشتاين . وكلهم ملحدون)

2- تركيز اليهود فى الحقل الاعلامى جعلهم يسلطون الأضواء على الأنشطة التى يقومون بها واعطائها الأهمية أكثر مما تستحق .

3- تخليهم عن الدين يشعر اليهود بعدم حرمة أى شىء وتحررهم من قيود الحلال والحرام وسباحتهم مع تيارات العلمنة والمادية فبرزوا فى قطاعات مختلفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

4- كونهم من العناصر المهاجرة التى لا تنتمى لمجتمع بعينه ولا لنظـــام يقيد حركتها فأصبحوا عناصر حركية متحررة من القيم والمطلقات تبحث عن الحراك الاجتماعى .

5- ارتباطهم بالطبقات الحاكمة ساهم فى زيادة بروزهم .

6- تميزهم الوظيفى حيث يضطلوعون بوظائف معينة دون غيرها .

وعودة إلى مابدأه د.المسيرى يؤكد وينبه على أن:

الحركة الصهيونية ليست جزءاً من تاريخ يهودى عالمى وهمى ولا هى جزء من التوراة والتلمود وإنما هى جزء من تاريخ الامبريالية الغربيـــة . ويدلل على ذلك بأن الصهيونية لم تظهر بين يهود اليمن أو الهند أو المغـرب **وإنما ظهرت بين يهود العالم الغربى . وهى لم تظهر فى العصور الوسـطى وإنما ظهرت مع التشكيل الاستعمارى الغربـــى .** والساســة الإســرائيليون يدركون هذا تماما وهم لايكفون عن الحديث عن **أهميـــة إســرائيل كقــاعدة عسكرية وحضارية وأمنية للغرب وهى قاعدة رخيصة التكلفة للغرب أرخص من بناء عشر حاملات للطائرات تكاليفها خمسين مليار دولار كانت الولايات المتحدة الأمريكية ستضطر لبنائها وإرسالها للمنطقـــة لحمايـــة المصـــالح الأمريكية . وعلى هذا فإن إسرائيل تعتبر(دولة وظيفية) وكنز اســـترتيجى بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية.**

وعن (**الوصايا العشر**) التى ورد ذكرها كثيراً فى أسفار العهد القديـــم يقول (**عاطف عبد الغنى**)[104] إنها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1- احفظ السبت :

وقيل فيه أن الله ما اختار اليهود شعباً له إلا ليحفظوا السبت . ويقال أيضا أن الكتاب المقدس فسر مسألة السَبْى الذى استمر حوالى سبعين عاما فاعتبر أن الأرض فى هذه المدة كانت تستوفى (سبوتها) وهذا مما يتفق مع اعتقادات الكهنة . والطقس السبتى (أى راحة يوم السبت) يبدوا مقنعا كإجراء طبيعى اجتماعى صحى يهدف إلى الراحة الجسدية والذهنية التى يحتاج إليها البشر لمواصلة الحياة . ويوم السبت (اليوم السابع) يدعى اليهود أن الله لما خلق السماوات والأرض فى ستة أيام كان فى حاجة إلى يوم يرتاح فيه وكان هذا اليوم (يوم السبت) هو اليوم السابع [سيأتى توضيح دينى لتلك الفرية فى الفصل السادس].

2- لايكن لك آلهة أخرى أمامى (عدم الشِرْك بالله):

وهى وصية تدعو إلى التوحيد ونبذ الآلهة الأخرى (سواء فى السماء كالنجوم والكواكب أو الأرض كالتماثيل وغيرها) .

3- لاتزن :

ولقد وردت الشريعة الأولى فى سِفْر الخروج تنهى عن فعل الزنا . ولكنها لم تناقش تفاصيل تلك الجريمة ولا عقابها مثلما فعلت مع باقى الجرائم التى ورد تحريمها ضمن الوصايا العشر وتدارك الكهنة ذلك الأمر فأوردوه فيما بعد فى نص سِفْر التثنية [105]بكثير من التفصيل أهمها رجم الزانى والزانية بالحجارة إذا كانا محصنين (متزوجين) والزواج من الفتاة المزنى بها مع تعويض أهلها بالمال إذا كانت غير مخطوبة. ولا يحق للرجل فى هذه الحالة طلاق تلك المرأة مدى الحياة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

4-لاتقتل :

ومن القتل الجماعى (الإبادة) والتحريم الذى أقرته التوراة لبنى إسرائيل فجعلته دستوراً لحروبهم مع الآخرين إلى حد القتل الذى يُطبَّق على الإنسان جزاءً لجرم ارتكبه (العين بالعين والسن بالسن) .

5-لاتسرق :

والسارق يُعوَّض عن سرقته (سِفْر التثنية يجيز سرقة الغريب ويحرمه بين اليهود بعضهم البعض).

6-أكرم أباك وأمك :

أى برُّ الوالدين . وتقرن التوراة ذلك بطول العمر على الأرض التى يعطيها الرب لبنى إسرائيل .

7-لاتشته :

وقصر النص تحريم الاشتهاء على ماللقريب فقط . أما فيما يملكه الغريب فقد أطلق اليدّ فيه (تأصلت صفة الجشع فى بنى إسرائيل ولم يعد اليهودى يفرّق بين القريب والغريب).

8-تحريم الربا :

تحريم الربا فى النص مقصود به تحريم الربا من اليهودى . ولكن بالنسبة للأجنبى (غير اليهودى) فهو مباح.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

9-رفض الرِشْوَة :

لأنها تُعمى المبصرين .

10-الأمر بالإحسان :

فلا يطالَب المرتهن برد الرهن إن كان ثوبا عندما يأتى المساء على الراهن فلعل هذا الثوب غطاءٌ لصاحبه .

ويشير (عاطف عبد الغنى) إلى أن تلك الوصايا هى خاصة فى التعامل بين اليهود بعضهم البعض أما فى تعاملهم مع الأجانب والأغيار (غير اليهود) فكل شىءٍ مباح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهوامش

---

1) سورة الذاريات : 56-58

2) سورة إبراهيم : 4

3) سورة النحل : 36

(4) سورة النساء : 105

5) ديانة الساميين:(روبرتسن سميث) ص 18-22

6) نفس المصدر السابق : 39

7) كتاب الموتى الفرعونى : (والسن بدج) ص 249ومابعدها .

8)ديانة الساميين : (روبرتسن سميث) ص 74

9) نفس المصدر السابق : ص 89

10) سفر هوشع : 9: 3

11) سِفْر عاموس : 7 : 17 & سفر يشوع : 22 : 19

12) سِفْر صموئيل الأول 14 : 35 .

13) سِفْر القضاة : 6 : 20 & 13 : 19

14) كان (عُمْرى) أحد ملوك إسرائيل قد اشترى جبلا من شخص يدعى (شامر) وبنى عليه مدينة سُميت (الشامرة) ثم تحور إسمها إلى (السامرة) وإليها يُنسب السامريون (يهود الشمال - إسرائيل) أما اليهود الذين سكنوا الجنوب وأقاموا مملكة (الجنوب - يهوذا) فقد ظلوا يسمون العبرانيين . واختصت كل طائفة منهما بتوراتها .

15) أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 27

16) اختلاق إسرائيل القديمة : (كيث وايتلام) ص18.

[17] تاريخ نقد العهد القديم : (زالمان شازار) ص 101
ونفس الرأى للناقد العبرى ش.ل.هيرش.

[18] أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 89 - 93 .

[19]) نفس المصدر السابق : ص92.

[20])سِفْر اللاويين : 14 : 1-9 & سِفْر العدد 12: 1-6

[21]) أساطير التوراة : ص100 ومابعدها .

[22]) سِفْريهوديت : 10 : 2-8 & 10 : 17 ،18 & 16 : 8-11

[23]) سِفْر الخروج : 4 : 10

[24])سِفْر التكوين : 32: 24 -30

[25]) سِفْر إرميا : 2: 20& 3: 6 ، 8،9 .

سِفْر حزقيا : 16 : 15 & 16 : 25 ، 26 & 23 : 8 - 12 & 23 : 20 ، 21 .

[26]) سِفْر أخبار الأيام الثانى : 26: 32

[27]) سِفْر عَزْرا : 9 :7

[28]) سِفْر أشعياء : 45 : 1

[29])سِفْر يشوع : 24 : 14

[30])انبعاث أمة : (ريتشارد كروسمان)

[31])عصور فى فوضى : (إيمانويل فلايكوفسكى).

[32]) تاريخ نقد العهد القديم : (زالمان شازار) ص 96.
رسالة فى اللاهوت والسياسة : (سبينوزا)

[33]) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 166

34) نفس المصدر السابق : ص 167 .

35) نفس المصدر السابق : ص 167 وما بعدها .

36) سِفْر التثنية : 31 :1 ، 2

37) سِفْر التثنية : 32 : 48 ، 49 ، 52 & 34 :4.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

38)سفر التثنية : 31 : 9

39) رسالة فى اللاهوت والسياسة : (سبينوزا)

قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385 .

سفر الخروج : 33 : 11

40) قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385 .

سِفْر الخروج : 32 : 19

41) قراءة سياسية للتوراة : (شفيق مقار) ص 380 - 385

سِفْر التثنية : 34 : 5

42) سِفْر التثنية : 34 : 10

43) سِفْر التكوين : 14 : 14 & سِفْر التثنية 34 :1

44) سِفْر التثنية : 3 : 14 & سِفْر العدد : 32 : 41

45) سِفْر القضاة : 10 : 14

46) سِفْر التكوين : 40 : 15

47) سِفْر التكوين : 36 : 31 & سفر العدد : 7 : 24

48) آرام دمشق وإسرائيل : (فراس السواح) ص 11 ، 12

49) نفس المصدر السابق : ص 182 - 185

50) نفس المصدر السابق : ص 268 - 270

51) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى : (توماس ل . طومسون) ص 80 82

52) نفس المصدر السابق : ص 22 - 25 .

53) نفس المصدر السابق : ص292.

54) نفس المصدر السابق : ص 5

55) نفس المصدر السابق : ص 91 ومابعدها .

56) نفس المصدر السابق : ص 107 - 110

57) أركيولوجيا فلسطين قبل العصر الهيللينى : (هـ . ويبرت)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

58) تاريخ فلسطين القديم : (جى . ألستروم)G.Ahlestrom

59) التاريخ القديم للشعب الإسرائيلى : (توماس ل.طومســـون) ص 124 ، 131 ، 189 ، ص 234.

60) نفس المصدر السابق : ص 219 – 229 .

61) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 14 – 16.

62) سفر إرميا : 3 : 6 & 17 : 1، 2

سفر حزقيال : 20 : 21 – 28 ،

سفر الملوك الثانى : 23 : 4 – 20

63) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود:(شاحاك) ص 88 ،89

64) المفهوم المادى للمسألة اليهودية : (إبراهام ليون)ص 18،19 ، 32 ، 49

65) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 53

66) نفس المصدر السابق : ص 54 .

67) جريدة الرأى الأردنية : العدد الصادر فى 1995/9/2. (كانتور)

68)احذروا الصهيونية : (يورى ايفانوف) ص 17

69) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 57

70) الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود:(شاحاك) ص 10–12.

71) الدولة اليهودية : (هرتزل) .

التحرر الذاتى : (ليوبنسكر) .

72) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 72 ، 73 ، 75 ، 76

73) الدولة اليهودية : (هرتزل) .

74) التحرر الذاتى : (ليوبنسكر) .

75) الأممية الشيوعية وفلسطين : (ماهر الشريف) ص70 – 72.

76) احذروا الصهيونية : (ايفانوف) ص 56

77) نفس المصدر السابق : (ايفانوف) ص 44 .

78) دورة الدين اليهودى : (موفق محادين) ص 119 .

79) سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 43 .

80) التلمود : عبارة عن موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأملات الميتافزيقية والتاريخ والآداب والعلوم الطبيعية وغيرها . ويتضمن فصولا عن الزراعة وفلاحة الأرض والصناعة والمهن الأخرى ويغطى كل جوانب الحياة الخاصة لليهود .

الكنز المرصود فى فضائح التلمود : (د. محمد عبد الله الشرقاوى).

التلمود تاريخه وتعاليمه : ظفر الدين خان .

81) سفر الخروج : 31 : 18

82) سورة الأعراف : 145

83) سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 66 ، 67

84) نفس المصدر السابق : ص 70 ، 71

85) نفس المصدر السابق : ص 71

86) نفس المصدر السابق : ص 74

87) بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة (محمد خليفة التونسى) من البروتوكول الرابع .

88) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الخامس)

89) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الخامس)

90) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول العاشر)

91) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الرابع)

92) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول السابع)

93) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول التاسع)

94) نفس المصدر السابق : (من البروتوكول الحادى عشر)

95) سنة دخول القدس : (د. أحمد أبو النور) ص 76 ومابعدها .

96) اليد الخفية : (د. عبد الوهاب المسيرى) ص 9-13 .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

97) نفس المصدر السابق : ص 14 ، 16 ، 20.

98) نفس المصدر السابق : ص 21-40.

99) نفس المصدر السابق : ص79 - 81 .

100) نفس المصدر السابق : ص 81-90

101) نفس المصدر السابق : ص 100 وما بعدها .

102) نفس المصدر السابق : ص115 - 135 .

103) نفس المصدر السابق : ص 219 ومابعدها .

104) أساطير التوراة : (عاطف عبد الغنى) ص 29 ومابعدها . وهى مذكـــورة فـــى سفر الخروج : 20 : 7-17 & سِفْر التثنية : 5: 15 -21

105)سفر التثنية : 22 : 13 - 30

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الثاني

رؤية تاريخية / دينية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تمهيد

إن تاريخ بنى إسرائيل لم ينشأ منعزلا عن باقى تواريخ الشعوب المعاصرة له . بل تأثر ذلك التاريخ - إلى حد كبير - بشعوب كثيرة أهمها الشعب المصرى (القديم والحديث) حيث كانت الهيمنة المصرية تبسط يدها على ممالك ودويلات الشام بالاضافة لغيرها من الأمم ولقرون طويلة . وبالمثل مع باقى الأمم القديمة والمعاصرة كان التأثر واضحا للشعب الإسرائيلى بمن حوله وبمن احتضنه داخل حدود دولته فى شتى النواحى الحياتية والثقافية والدينية وغيرها . ولكى نتعرف جيداً على شعب من الشعوب يجب أن نلم بحياته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها وحياة مَنْ حوله من الأمم والشعوب لتكون الرؤية صادقة وأمينة لهذا الشعب الذى أثار الكثير من الجدل والقلاقل قديما وحديثا.تلك الرؤية الموضوعية بدون تجاوز أو تضليل أو افتراء .

يقول (إرنست جلنر) Ernest Gellner [1]:

إن القومية ليست إيقاظ الشعور بالذات لدى الأمم . بل إنها تخترع الأمم حيث لا تكون موجودة .

ويعتقد (ديفيز) Davis : [2]

أن ميلر وهيز Miller & Hayes (1986) يمثلان ذروة الكتابات التاريخية التوراتية . وأن الطريق إلى الأمام - إن وجد - سيبدو رهناً بالمناهج (المتوافقة) للعلوم الاجتماعية : علم الاجتماع . الانثروبولوجيا وعلم الآثار

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديمة . وستقلب النتائج مكانة الأدب التوراتى وبدلاً من السؤال عن كيفية تفسير التاريخ بواسطة الأدب ينبغى لنا أن نسأل عن كيفية تفسير الأدب بواسطة التاريخ . وإذا كان البحث الأدبى يدير وجهه بعيدا عن التاريخ ليتركيز على ماضى النص وليس على ما وراء النص . تظل للمؤرخ مع ذلك مهمة مشروعة . لكن هذه المهمة ستنفصل تدريجيا عن النقد الأدبى.

ويعتقد (جن) [3] Gunn أيضا :

أن دراسة التاريخ ستمضى قدما بطريقة مماثلة . ويتكهن بأن النتائج لن تشبه ما الذى حدث التاريخ التالى . إذ سيكون تقسيم التاريخ إلى فترات أكثر رحابه . وسيعتمد على النقد الأدبى (بما فى ذلك البنيوى) فى تخصصه للنصوص .

ويقول (فنكلشتين)[4] finkelestein الأركيولوجى الإسرائيلى:

إن استيطان الإسرائيليين فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م وتحولهم من مجتمع مكون من قبائل متفرقة إلى مملكة منظمة هو واحد من أكثر الفصول إثارة وإلهاما . وفى الوقت نفسه إثارة للجدل فى تاريخ أرض إسرائيل .

ويؤكد (مندنهول) :

على خصوصية إسرائيل المبنية على عقيدتها .

وتقول **(كينيون)** [5] Kenyon :

إن عمر مملكة إسرائيل لا يزيد عن ثلاثة أرباع القرن. وكانت الفترة الوحيدة التى أصبح فيها اليهود قوة سياسية مهمة فى غرب آسيا . وقد سجلت أمجادها بمباهاة فى التوراة. وكان لهذا كله أثر عميق على فكر اليهود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتطلعاتهم. لكن على الرغم من ذلك فإن المكتشفات الأثرية المتعلقة بهذه الفترة شحيحة جداً .

ويقول (كيث وايتلام) [6] K. whitelam :

إن هناك فِرَق من العلماء تناولوا التاريخ الإسرائيلى . يمثل الفريق الأول (من العلماء التوراتيين) كل من : أولبرايت & برايت (Albright & Bright) وآلت & نوت (Alt & Noth) ومندنهول & جوتوالد (Mendehall & Gott wald) . وهؤلاء اعتبروا التوراة كتابا تاريخيا[7] . فجاءوا بالكتاب المقدس فى يد والمجراف فى اليد الأخرى إلى فلسطين . وهذه الفئات الثلاث لم تختلف إلاّ فى تفسير أسباب نشوء إسرائيل القديمة (الغزو -التغلغل السلمى - الثورة الداخلية) على الترتيب . ثم ظهر فريق آخر فى الثمانينات من علماء توراتيين حاول تحدى أفكار الفريق التقليدى . وكان هذا الفريق مكونا من آلستروم (Ahlstrom) وليمشى (Lemche) وفنكلشتاين (Finkelstein) وكوت ووايتلام(Coote&Whitelam) وطومسون (Tompson) وديفر (Dever) وغيرهم .

وهذا الفريق انتقد الفريق الأول لعدم عمل حسابات للمعلومات الأثرية المتزايدة فى المنطقة . وإن كان هذا الفريق (الأخير) لم يتمكن من الافلات من قبضة الدراسات التوراتية التقليدية فظل سجيناً لها . ممّاساهم فى إسكات التاريخ الفلسطينى وطمسه بدلاً من إيجاد فضاء له لكى يعبّر عن نفسه كموضوع قائم بذاته .

ومن أبرز الباحثين ضمن هذا الفريق (**توماس ل . طومسون**) [8] الذى يقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن مجموع التاريخ الغربى لإسرائيل والإسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال . [بسبب هذا الكتاب طُرد طومسون من منصبه فى جامعة ماركويت فى ميلووكى وكان يعمل بها أستاذاً لعلم الآثار] وفى كتابه الأخير [9] يقول :

فى تفسيره للنقش الذى ورد على (لوح مرنبتاح) الحجرى والمكتشف فى تل العمارنة أن إسم إسرائيل يرجع إلى القرن 13 ق.م . حيث كانت إسما لشعب كنعان (فلسطين الغربية) الذى يقول النقش إن جيش الفرعون المصرى دمره . **وربط إسرائيل بكنعان في هذا النقش المبكر لا يمكن اعتباره مرادفا لإسرائيل الواردة فى التوراة وإنما هو مجرد أول ورود تاريخى لاستخدام إسم إسرائيل معروف لدينا** . وهذا لايشير إلى إسرائيل التى نعرفها من الكتابات الآشورية والنصوص الفلسطينية القديمة . فإسرائيل تلك كانت دويلة محلية سيطرت على المرتفعات شمالى القدس . **وقد ظهرت للوجود بعد بضعة قرون من الفرعون مرنبتاح** . وهذا لا يمكن اعتباره مرادفا لإسرائيل التوراتية . فإذا كان نقش مرنبتاح يعبر عن أي حقيقة تاريخية فإن التوراة لا تذكر عنه شيئا .

وللخوض فى التاريخ الإسرائيلى علينا ألا نغفل تاريخ الأمم والشعوب المحيطة والمعاصرة لكى نتفهم ماهية الكيان السياسى الذى تكون ونشأ وسط الامبراطوريات القديمة التى لها ثقلها . وحجم هذا الكيان الإسرائيلى وعمره دون تهوين أو تهويل . وهذا ما سنتناوله بالتفصيل .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصر القديمة

كانت توجد صعوبة كبيرة فى فهم اللغة المصرية القديمة إلى أن جاء (شامبليون) الفرنسى وحل رموزها بعد اكتشاف حجر رشيد . ومنذ هذا الوقت أخذ تاريخ البلاد الحقيقى ينجلى شيئا فشيئا مما قضى على الأساطير والخرافات التى نقلها كُتّاب اليونان الذين رادوا وادى النيل وكتبوا عنه . وباستمرار أعمال الحفائر وحل رموز النقوش التى كانت على جدران المعابد وفى أوراق البردى فى وادى النيل بدأ كشف النقاب عن تاريخ البلاد الحقيقى . ونشأ (علم ما قبل التاريخ) وهو الذى يبحث فى حل مسألة أصل الإنسان قبل التاريخ أى قبل ظهور الكتابة وذلك بدراسة بقايا العظام الإنسانية والآثار الأخرى . وكان السبق فى صياغة هذا العلم للعالمين **(بوشيه)** و **(بيرن)** حيث وضعامؤلفاً يبحث فى عصر ما قبل التاريخ وجاء بعدهما طائفة من العلماء توصلوا إلى تثبيت هذا العلم ببحوثهم . ففى **العصر الحجرى** وجد أن القدامى كانوا يستعملون الظران المهذب ثم المصقول . ثم تلا ذلك **عصر استعمال المعادن** بدءاً بالنحاس ثم البرونز ثم الحديد . **والعصر التاريخى** هو عصر استعمال الكتابة والقراءة فى تدوين الحوادث والأعمال . على أن الأمم لم تتساو كلها فى الوصول إلى هذه الدرجة (الكتابة) بسرعة واحدة أو فى وقت واحد . فالبلاد المصرية مثلا والأقطار الكلدية تعرفان الكتابة والقراءة منذ آلاف السنين قبل التاريخ الميلادى فى الوقت الذى بقيت فيه زمنا طويلا تجهل وجود الحديد . وفى المقابل نجد سكان ممالك البحر المتوسط مكثوا عدة قرون مدفونين فى ظلمات عصر ما قبل التاريخ ومع هذا كانوا يعرفون الحديد منذ أزمان طويلة قبل الفتح الرومانى . وكان العالم الفرنسى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(**أرسلان**) Arcelin أول من أثبت وجود علم ما قبل التاريخ فى مصـــر . وتبعه فى ذلك كثيرون منهم **لنرمان Lanarmont وهنرى Henry** والأب **رتشارد** وجاء **جاك دى مرجان** الأثرى ببحث أيد فيه فكرة وجود عصر مـــا قبل التاريخ فى مصر وأثبت بالبراهين قدَم الآلات التى يرجع عهدها إلى مـــا قبل التاريخ عن الآلات التى بقى الإنسان يهذبها بطريق العـــادة علـــى نمـــط سالفتهـــا فى العصـــور التاريخيـــة ثم يستعملهـــا (فـــى حياتـــه اليوميـــة). وأثبت(**مرجان**) بصفة نهائية أن عصر الحجر المهذب فى مصر قـــد ســـبق عصر الحجر المصقول-وأن هذا العصر الأخير قد خلفـــه عصـــر اســـتعمال المعادن . وقد مهدت أبحاث (**فلندرز بترى**) و (**دىمرجان**) السبيل لايجـــاد صلة بين عصر ما قبل التاريخ المصرى وعصر الدولة القديمة . وقد أطلـــق على هذه الفترة (**عصر ما قبل الأسرات**) وعثر الأثرى (**لجران**) والعالمـــان (**ستون**) و (**كار**) وغيرهما على محطات أخرى جديدة فى هذا المضمـــار . وقد أشار (**شيفينفورت**) الألمانى على وجود عدة محطات فيها آلات يرجـــع عهدها إلى عصر ما قبل التاريخ . ويُعد العصر الحجرى القديم الذى وجد فيه أول أثر لبقايا الانسان ينقسم إلى ثلاثة عصور :

(1)العصر الحجرى القديم الأسفل :

ويشمل ما يقابله فى أوروبا من الصناعات الشيلية والآشـــيلية (نســـبة لبلدة شيلى التى وجد فيها أقدم صناعة من عصر الحجر القديـــم الســـفلى) . وهذا العصر لا يمكن تحديده على وجه الدقة (التقديرات المعتدلة تقدره بعـــدة آلاف من السنين) وهذا العصر يقع فى أوائل الزمن الجيولوجى الرابع وبعـــد نهاية عصر الجليد الأول . وآلات هذا العصر من الحجر الصلب ذو حافـــة كالشفرة الحادة (تستعمل كسكين أو كمقشط) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(2) العصر الحجرى القديم المتوسط :

وهو العصر الذى يتفق مع عصر جليدى طويل امتد حتى العصر الحجرى القديم الأعلى . وهو العصر الذى سكن فيه الإنسان الكهوف العميقة وآلات هذا العصر من الظران (حجر صلب حاد وصوان) مثلثة الشكل مرهفة الحد سُمّيت بظهر السلحفاة لقربها من هذا الشكل . ووجدت أيضا الآلات المدببة (الحجرية) والبلَط (جمع بلْطة) . ويتميز بوجود الماموث (الفيل كثيف الشعر) وجاموس البحر .

(3)- العصر الحجرى القديم الأعلى :

وفى هذا العصر ندر وجود الماموث وبدأ ظهور الوعول ذوى القرون المتفرعة والحصان . ويسمى بعصر فن الحفر الدقيق وعصر صناعة العاج وحفره . وفيه ظهرت الآلات دقيقة الصنع .

وتلى تلك العصور الثلاثة ما يسمى (**بالعصر الحجرى المتوسط**) الذى يتميز بوجود الآلات المصقولة كالسكاكين والخطاطيف . وتلى ذلك (**العصر الحجرى الحديث**) وفيه تقهقر الجليد الذى ظل إلى يومنا هذا . وهو عصر استعمال المعادن (النحاس والذهب) فى أدوات الزينة واستعمالات أخرى محدودة . وهو العصر الرابع فى تكوين القشرة الأرضية (نهاية العهد البلوستسينى وبداية العصر الهليوسينى) وهو فجر الأزمان الحديثة وبداية تكوين دلتا نهر النيل بمصر واستعمال العظام فى صناعة الأدوات وكذا صناعة الفخار والنسيج . وبدأ الإنسان يعيش عيشة الرعاة والفلاحين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتلى ذلك العصر (**عصرالمعادن**) وظهور صناعة جديدة غطت على صناعة الظران . وظهرت آلات وحلي من النحاس والذهب فى بادئ الأمر ثم عُرِف بعد ذلك استعمال البرونز والأوانى الفخارية التى اختفى فيها يد الإناء . **وفى هذا العصر ظهرت ديانة فى الوجه البحرى (أعرق فى القدم من مثيلتها فى الوجه القبلى) وعلى جدران أهرام سقارة** (خلال الأسرتين الخامسة والسادسة) **دُوِّنت متون الأهرام** .

وكانت هناك معتقدات دينية ترتكز على أساس متين (وجدت حيوانات عُنى بدفنها بعد تكفينها كما يحدث فى العصر التاريخى وكانت تُعْبَد وتُقدَّس وذلك فى جبّانة عصر البدارى). ويلاحظ فى تلك المقابر والجبّانات وجود ترتيب للأدوات التى كانت توضع مع المتوفى (مواد غذائية وأدوات زينة وآلات) وهو ما يعنى الاعتقاد بوجود حياة ثانية بعد البعث من الموت . وكذلك وجدت بعض الدمي (نصِبت خلف جدار القبر) ومراكب صغيرة وحيوانات متوحشة وأليفة ورقي وتمائم سحرية (وهو أيضاً ما وجد فى العصر التاريخى) وتدل على معتقدات القوم الجنائزية . تلى ذلك العصر (**عصر الأسرات**) .

وقد كانت مصر مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامى (نسبة إلى حام بن نوح) ويقال إنه نشأ من البلاد نفسها أى أفريقى الأصل . غير أنه عند نهاية عصر ما قبل الأسرات نجد تغييرات حدثت عن طريق الهجرة . وأهم العناصر الجديدة التى دخلت البلاد يبدو أنها من أصل أسيوى وكانت لها مميزات خاصة تختلف عن الشعب الأصلى . وهؤلاء الآسيويون قد اختلطوا شيئا فشيئا بالسكان الأصليين واندمجوا فيهم . ويرجح دخول أولئك الآسيويين من عدة طرق :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أ- من شبه الجزيرة العربية (عن طريق البحر الأحمر من جهة قفط) .
ب- عن طريق أعالى وادى النيل .
ج- من سوريا ودخلوا مصر عن طريق فلسطين فسيناء فشرقى الدلتا ثم انتشروا فى الدلتا الغربية ثم الوجه القبلى .

ويقال أن النازحون (أو الغزاة) **قد أدخلوا فى البلاد معرفة المعادن** (خاصة النحاس) وادخلوا كذلك عبادتهم وديانتهم وكتابتهم وفنونهم ونظمهم السياسية والاجتماعية . **ولا شك أن دخول هذا الجنس إلى مصر قد أتى تدريجياً من غير عنف** . ومما لا جدال فيه أن العلاقة بين مصر – فى أقدم عهودها – وبين آسيا كانت موجودة . وليس هناك ما يثبت لنا أن المدنية المصرية كانت مدينة للآسيويين بإحضار الحيوانات المنزلية (كالثور والحمار والماعز والخنزير) وكذلك باستحضار أقدم الحبوب (مثل الشعير والقمح) **بل إنه بالعكس كانت هذه وتلك قد وجدت فى وادى النيل منذ وجد الجنس الأفريقى الأصلى** ومنذ بداية العصر التاريخى نجد أن الاندماج بين الجنسين كان عظيما جداً فأصبح من الصعوبة بمكان أن نعرف بشىء من الدقة الفوارق بينهما .

ولأن عصر (مينا) موحد القطرين هو العصر الذى ظهرت فيه الكتابة المصرية يحتم علينا بأن نحكم بأن الجنسين قد عاشا معاً زمنا طويلا قبل أن يحدث هذا الاندماج الكلى .

إن تاريخ أول سنة لبدء حساب المصريين للسنة المصرية الشمسية هو عام 4241 ق.م . حيث أن أول يوم فى السنة الشمسية اتفق تماما مع ظهور نجم الشعرى اليمانية وهو يوم بدء فيضان النيل – وبالرجوع ثلاث دورات أو مرات يتفق فيها ظهور الشمس والشعرى اليمانية وهو ما يحدث مرة كل 1460

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عام بحساب فلكى ثابت ×3مرات =4380 ق.م . ولما كان بدء الحساب هو عام 139 م . فإن تاريخ أول سنة لبدء حساب المصريين للسنة المصرية الشمسية يكون :

4380-139= 4241 ق.م

وهناك مصادر أثرية أخرى تدل على ذلك التاريخ مثل **أخبار الحروب** التى قام بها الملوك . **ثم النقوش** الدالة على تاريخ أفراد عظماء القوم وترجمة حياتهم ثم **المراسيم الملكية** وكانت تكتب على الحجر فى معظم الأحيان وتوضع فى المعابد والمدن . وأيضا **الأوراق البردية** التى كانت تحتوى على موضوعات إدارية أو قضائية أو أدبية . وكذلك أيضا **قوائم أسماء الملوك** (ويرجع معظمها إلى عهد الدولة الحديثة) مثل **قائمة الكرنك** (قائمة تحتمس الثالث) وقائمة (**حجر بلرم**) وقائمة (**سقارة**) وقائمة (**العرّابة المدفونة – أبيدوس**) ووثيقة أو ورقة (**تورين**) هذا بالإضافة إلى آثار أخرى وجدت فى الممالك المجاورة لمصر مثل آثار وجدت فى جزيرة (كريت) وآثار عثر عليها فى (فلسطين وسوريا) من أوائل الدولة القديمة وآثار أخرى فى بلاد (مابين النهرين) وما وراءها . وهناك مصادر أخرى اعتمد عليها فى تدوين التاريخ المصري القديم نقلها لنا الكُتّاب الإغريق والرومان مثل (**هيكاته الملاطى**) المؤرخ الإغريقي . وكان قد عاش عام 550 ق.م وزار وادي النيل وتباحث مع الكهنة المصريين فى طيبة عندما كان يضع شجرة الأنساب وتاريخه للوبيا (ليبيا) . ومن بعده جاء المؤرخ الإغريقى (**هيرودوت**) حوالى عام 450 ق.م وقد زار الدلتا وأسوان (ألفنتين) والفيوم . وقد أخبره الكهنة أن (مينا) هو أول ملوك مصر . ثم عددوا له – نقلا عن كتاب لديهم – أسماء 340 ملكا. وقالوا أن مابين أول ملك وآخر ملك 341 جيلا من الناس وأن كل ثلاثة أجيال تعادل مائة عام . أى أن **تاريخ**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البشر عندهم يبلغ 11340 عاما . وقبل هؤلاء الملوك كان يحكم مصر الآلهة وفى أوائل عصر البطالمة ظهر المؤرخ (**هيكاتة الأبدرى**) ووضع كتاباً لم يصلنا منه غير مقتطفات قصيرة أشار إليها (**ديدور**) فى كتاباته . وفى هذا العصر كان يعيش كذلك (**مانيتون**) السمنودى وهو أهم المؤرخين الذين كتبوا عن مصر . وقد أخبرنا المؤرخ اليهودى (**يوسيفوس**) المولود عام 37 م . أن مانيتون كان مصرى الجنسية وكان كاهنا عظيما وكاتباً فى المعابد وماهراً فى لغة بلاده وفى اللغة الإغريقية أيضا . ووضع (**مانيتون**) هذا مؤلفاً عن مصر تلبية لأمر بطليموس فيلادولف (الثانى) منقولا عن النقوش المصرية وذلك فى عام 270 ق.م . نقله لنا ناقصا – ومختصرا – يوسيفوس اليهودى والذى ألف مقالا للرد على (**أبيون**) النحوى السكندرى الذى كان يبغض اليهود بشدة وينسبهم إلى أصل أبرمى ومن منشأ دنس نجس.

وقد طردهم المصريون من بلادهم مع موسى (عليه السلام) . **فرد يوسيفوس بأن هؤلاء الدنسين هم الهكسوس الذين هم من نسل يعقوب ويوسف** . وقد دخلوا مصر فاتحين وليسوا عبيداً . ولكى يؤيد رأيه نقل حرفيا بعض المقتطفات عن مانيتون فى الفصل الخاص بالهكسوس وطردهم من مصر على يد ملوك الأسرة الثامنة عشرة . وشفع ذلك بجدول يحوى أسماء الملوك من عهد (تحتمس الأول) إلى عهد (رعمسيس الرابع) وعددهم 21 إسما مع ذكر سنى حكمهم والشهر الذى حكم كل منهم فيه (منقولا عن المختصر الذى وضعه المؤرخون نقلا عن مانيتون) . **وبعد ذلك المختصر (مختصر مانيتون) المصدر الأصلى لكتّاب العصر المسيحى عن تاريخ مصر** إلى أن كُشف عن أسرار اللغة المصرية (**حجر رشيد وشامبليون**) . وأهم هؤلاء الكتّاب (**سكتس جوليوس أفريكانوس**) وقد نقل المختصر فى كتابه التاريخى الذى وضعه عام 220م . ويأتى بعده (**يوزيب**) عام 270–340م وقد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نقـل عن المختصر من نسخة تختلف عن تلك التـى نقـل عنـها (سـكتس الأفريقى) . ويأتى بعد مانيتون مؤرخ عظيم اسمه (**ديدور الصقلى**) الـذى ألف كتابا عن مصر وكان قد زار وادى النيل عام 60 ق .م وجـاء بعدهـم آخرون مثل (**أرستوستين السرينى**) 275-194 ق.م . و(**استرابون**)عام 27م. والمؤرخ (**بلوتارخ**) عام 120م .

وفى أواخر الأسرة الثامنة عشرة أتى الفرعون منفتاح أو (مرنبتـاح) إلى منطقة الأهرامات وترك نقوشا تدل على مقدار اهتمامه بـأبى الـهول . وأدهش ماكشفُ فى هذا المكان أن قوما من الكنعانيين وفـدوا عَلـى مصـر وسكنوا فى منطقة أبى الهول فى عهد الدولة الحديثة (أواخر الأسـرة 18) ويدل على ذلك لوحة الفرعون (آى) إذ جاء فيها أنه اقتطع ضيعة للحيثيين فى هذه الجهة . ودلت اللوحات المكتشفة على أن هؤلاء الكنعـانيين كـانوا يسكنون فى هذه المنطقة فى بلدة سميت باسم إلههم الذى كانوا يعبدونـه فـى بلادهم (الإله حورون) وهذا الإله كان يمثل عندهم بشكل (حـور الأفـق) وكان يمثل بصقر . فقد رأى فيه هؤلاء الآسيويون أنه يمثـل إلهـهم الـذى تركـوه فى بلادهم ولذلك أطلقوا عليه اسـم (حورنـا) أو (حـورون) أو (حول) . ومن ذلك يتضح جليا أن الاسم الجديد الذى أصبح يطلق على أبـى الهول هو اسم سامى الأصل . ولا عجب فى ذلك فقد عبد المصريون آلهـة آسيوية أخرى مثل (ستخ) الذى أصبح موحّداً مع الإله (ست) إله الحرب . وكذلك آلهة (عشترت) التى وحدت مع الآلهة (حتحور) . وأطلق الكنعانيون على الحفرة التى فيها أبو الهول اسم (بر- حول) أو (بيت حول) وهو الـذى تحور فيما بعد إلى اسم (أبو الهول) . وقد أقـام هـؤلاء الكنعـانيون فـى مستعمرة على بعد حوالى 2.5 كيلومتر من أبى الهول تسمى الآن (الحارونية) نسبة إلى الإله (حورنا) أى أبو الهول الذى عبده المصريون والكنعانيـون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقدسوه بصفته إله الموتى وحارس الجبّانة (كان يمثل الإله رع عند الغروب أى آتوم) . ولقد سميت قبائل البدو (العنصر الذى نزح إلى كل أنحاء سوريا منذ بداية القرن 14 ق.م) باسم (خبيرى) وأيضا (ساجاز) أو (جاز) وهذه الأسماء لا تدل على اسم جنس بل تميز اسم جماعة معينة من السكان .

وقد جاء ذكر اسم قبائل (سوتى) أى البدو مع (خبيرى) فى رسائل تل العمارنة . وقد كانوا يعملون جنوداً مرتزقة أو يجتمعون جماعات للنهب والسلب . وهم قبائل سامية (نسبة إلى سام بن نوح) وجاءوا بلفظ (عبرو) فى اللوحة التى كشف عنها د. أحمد بدوى فى منف . وهم (خبيرو) الذين ذُكروا فى خطابات تل العمارنة . وهؤلاء أقاموا بسوريا (آرام) وفلسطين (كنعان) منذ عهد البرونز المتأخر . وقد ذكروا كثيراً فى إسرائيل الكنعانية فى القرن 14 ق.م بوصفهم مغيرين وعصاة على السلطة المصرية . وكانوا مرتبطين ارتباطا وثيقا مع الآراميين (السوريين) فى تقاليدهم القومية . وهم على العكس من الكنعانيين الذين لا تربطهم بهم أية رابطة . فهؤلاء ليسوا فلاحين متوطنين مثل الكنعانيين بل هم قوم رعاة رحل . فقد نزح إبراهيم (عليه السلام) بعد ولادته إلى (حوران) ومن ثم إلى (حبرون) وقد جاء فى سفر التثنية أن جد هؤلاء القوم آرامى :

*ثم تصرخ وتقول أمام الرب إلهك آراميا تائها كان أبى [10] .

وتدل البحوث على أنه من الجائز أنه كانت توجد روابط بين العبرانيين و (خبيرى) وهذه الروابط لغوية وتاريخية وتؤكد بوجود علاقة بين العبرانيين (خبيرو) والإسرائيليين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى الوقت نفسه **نميز بينهما بأن كل الإسرائيليين كانوا من العبرانيين (خبيرى) ولكن ليس كل العبرانيين إسرائيليين.** ومن المعروف أن الإسرائيليين قد تدفقوا على الأرض الجبلية فى فلسطين (افرايم) فى القرن 14 ق.م . إذ تدل الآثار على أنهم فى عهد (مرنبتاح) بن رعمسيس الثانى كانوا قد استوطنوا هذه البقاع . ومن أجل ذلك لا يمكن أن نرجع غزوهم فلسطين إلى عهد (سيتى الأول) أو عهد (رعمسيس الثانى) . **بل لا بد أنهم قد قاموا بغزوهم فى عهد ما قبل (أمنحتب الثانى)** . والظاهر أنهم كانوا يسكنون الشمال الغربى لبلاد العرب (أى أرض مَدْيَن) فكانوا يضربون خيامهم فى منطقة سيناء البركانية ومن ثم اعتنقوا عبادة التوحيد فى بيت الإله (يَهْوَه) إله النار وقد كان عرشه على صورة تابوت (تابوت العهد)[11] وكانوا يحملونه معهم أينما ساروا ويسكن بينهم أينما حلوا .

ولا يبعد إذن أن الإسرائيليين كانوا فيما سبق فى الوقت نفسه يتكلمون لهجة آرامية أيضاً وأن اللغة العبرية قد انتقلت إلى الكنعانيين لأنهم كانوا يقيمون معهم . ومنذ ذلك العهد كان الأجانب الذين على اتصال بالإسرائيليين يطلقون عليهم اسم (عبرين) أى العبرانيين . **ومن ثم سميت لغتهم بالعبرية وهذه التسمية ليست إسماً لقوم من الناس بل نعتاً (وصفاً) لهم** [12] ومعناه قوم من العبْر المقابل لنهر الأردن (العبر فى اللغة العربية معناه شاطئ النهر أو البحر) ومما يدل على أن العبرانيين كان لهم على مايبدو أهمية واسعة النطاق أن قبائل الألواح (يهوَه) التى أنزلت على موسى (عليه السلام) قد أطلقوا كلمة (عابر) الجد الأول لجنسهم على كثير من القبائل العربية وعلى الجد الأول (سام) :

*وسام أبو كل بنى عامر [13] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبنو سام هم قوم لهم اسم يتسمى به أشراف البدو الذين لهم سلسلة نسب كما أن (بنى إسرائيل) لهم كذلك سلسلة نسب خلافا لسكان المدن الذين ضاعت أنسابهم على الرغم من أنهم من أصل عريق . أى أن كلمة (عبرى) لها علاقة وثيقة بكلمة (خبيرى) من جهة النطق و المعنى كما أن الكلمة تدل على عنصر من الناس فى آسيا الصغرى (الخيتية).[14]

وكان أول تعدٍّ قامت به مملكتا (خيتا) تركيا و (متَني) شمال سوريا على الأملاك المصرية هو باكورة الأخبار التى وصلت إلينا عن زحف (خبيرى) (العبرانيين فيما بعد) وقد جاءتنا عن طريق خطابات تل العمارنة التى أرسلها أمير ببلوص (جبيل) وريبادى (رب هدّاد) إلى الفرعون (أمنحتب الثالث) وجاء فيها :

منذ اليوم الذى غادر فيه والدكم (صيدا) و أظهر عطفه على بلاد (خبيرى) لم يعد فى استطاعتى أن أحصل على شىء .

إن علم الآثار منفرداً لا يمكنه أن يمدنا بنوع المعلومات التى تمدنا به الوثائق المكتوبة لأن معظم القطع الأثرية تكون عارية من النقوش . والمخطوطات تبحث فى الآراء و الحوادث و الشخصيات أما الآثار فخاصة بالأشياء الأكثر مادية وكلا المصدرين مكمل للآخر كما أنه لا يمكن الاعتماد على واحد منهما دون الآخر [15] .

فعلى أثر سقوط الأسرة الثانية عشرة حتى حوالى ختام الأسرة الثالثة عشرة ظهر على مسرح السياسة المصرية قوم من الأجانب ملكوا البلاد (الريف خصوصا) وتحكموا فى أقدارها قرابة قرن ونصف . **وهؤلاء المغتصبون لم يهبطوا على البلاد فجأة فاستولوا عليها كما يزعم المؤرخون ولكنهم تسربوا إليها على مهل وببطء حتى نشروا ثقافتهم ومبادئهم**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووضحت أمامهم سُبُل مصر وشِعابها فانقضوا عليها بجيش جرّار سيطروا به على الدلتا ثم امتد سلطانهم إلى مصر الوسطى . وسماهم المصريون بالهمج والطاعون و (الهكسوس) [16] وكان ذلك عام 1730 ق.م وهم لم يكونوا همجاً ولا متوحشين بل كانوا مثقفين ذوى حضارة وعرفان . ونهلت مصر من موردهم واستنارت بمدنيتهم التي انتظمت فنون الحرب ونواحي الصناعة وأخذت عنهم من المخترعات. ولقد استشعر المصريون المهانة والذل من تحكم الدخيل فى خيرات ومقدرات البلاد فهبوا تحت قيادة الفرعون (**أحمس الأول**) الذي طاردهم حتى خارج حدود مصر [17] . وهو أول فراعنة الأسرة الثامنة عشرة والمؤسس الأول لبناء الامبراطورية المصرية التي امتد سلطانها وثبتت دعائمها فى أواخر عهد العاهل العظيم (**تحتمس الثالث**) الذي يلقبه مؤرخو الغرب (**نابليون الشرق**) حيث صارت الامبراطورية المصرية تمتد أعالي نهري دجلة والفرات شمالا حتى الشلال الرابع جنوبا وحافظ على هذا الكيان أخلافه حتى نهاية عهد (**أمنحتب الثالث**) إلى أن جاء الفرعون (**إخناتون**) يحمل لواء عقيدة التوحيد الذى اهتم بنشر تعاليمه وانصرف عن أحوال البلاد الداخلية والخارجية حتى تقلصت الدولة . وخلفه من بعده (توت عنخ آمون) ثم (حور محب) الذى أعاد للبلاد سؤددها السالف وسمعتها الحربية التى كانت قد تداعت .

وعن (**الهكسوس**) يقول د. سليم حسن فى موسوعته القيّمة [18] :

إنهم استولوا على البلاد بنفس طريقة (الكاسيين) الذين استولوا على بابل . وعنهم يقول المؤرخ المصرى (مانيتون) الذى أخذ المؤرخ المصرى (يوسيفوس)عنهأنهم – أى الهكسوس – واليهود هم عنصر واحد . وذلك فى محاولة لرفع شأن قومه اليهود . وينفى د. سليم حسن ذلك كلية ويفنده ويشير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى ذلك المجال إلى أن الآثار التى تركها لنا الهكسوس ضئيلة وأن عدداً كبيراً من تلك الآثار قد انتحلوها لأنفسهم باغتصابها من الآثار المصرية القديمة . **وعلى سبيل المثال تمثال (أبو الهول) الذى نسبوه لأنفسهم وهو فى الأصل للملك (أمنمحات الثالث)** . وقد وجدت بعض الآثار المتفرقة المنسوبة إلى الملك (**خيان**) أعظم ملوك الهكسوس فى بغداد وكريت فبدا وكأن نفوذ الهكسوس قد وصل إلى تلك البلاد البعيدة وهو غير الحقيقة المؤكدة **بأن هذه القطع الأثرية المتفرقة وجدت بتلك البقاع عن طريق التجارة أو الاهداء** . والواقع أنها قطعاً مصرية فى صورها وصناعتها ولو كانت تخص الهكسوس لكان منها الكثير فى تلك البقاع وغيرها .

والجدير بالذكر أن الفرعون (**تاعا**) الثانى الملقب بالشجاع (**سقنن رع**) **هو** أول ملك بدأ النزاع بينه وبين ملك الهكسوس مماأدى إلى قيام البلاد كلها دفعة واحدة فى وجه أولئك الغزاة [19] . وبعد موت (سقنن رع) خلفه (كامس) ثم (أحمس الأول) الذى طارد الهكسوس إلى خارج حدود مصر . وظل الهكسوس فى فلسطين وسوريا حتى عهد (تحتمس الثالث) 1479–1447 ق.م بل ويحتمل حتى عهد (أمنحتب الثانى) 1448– 1420 ق.م الملقبان بـ **(ضارب الهكسوس الذين هاجموه)** .

ومن الملاحظ أن المعادن التى عثر عليها فى فسلطين كان النحاس هو المعدن الهام المستعمل فى العهود التى قبل عصر الهكسوس ولكن عند وفود القوم الجدد على البلاد أمكننا أن نرى بداية حلول عصر استعمال البرونز (عصر البرونز الأول[20]) ومن المعلوم أن أول ظهور للبرونز فى أى مجتمع كان له دائما تأثيراً انقلابيا فى الصناعة . وقد أحضر الهكسوس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا المخترع الفنى معهم إلى البلاد فى صورة راقية مثل الأسلحة والأوانى وغيرها .

وأهم ما جلبوه هو العربات التى تجرها الخيول (يقال أن الحصان حيوان خاص بالهكسوس بعكس الحمار الذى كان يُركب فى مصر منذ زمن بعيد جداً قبل عهد الهكسوس) . **وبفحص اتجاه حركة هجرة الهكسوس اتضح لنا أنهم قد استوطنوا سوريا وفلسطين قبل أن يحتلوا مصر .**

ومن الآثار وجد أن الهكسوس كانوا معاصرين لأهل ببلوص (جُبَيل) الواقعة على شاطئ سوريا ولكنها لم تكن خاضعة لنفوذهم قبل عام 1730 ق.م ومن المصادر الأثرية عُلِمَ أن نفوذ الهكسوس الثقافى قد قضى عليه بالحروب الطاحنة التى شنها (تحتمس الثالث) ومن بعده ابنه (أمنحوتب الثانى) أى حوالى عام 1445 ق.م ويلاحظ انتشار الثقافة الحورانية فى أجزاء كبيرة من فلسطين وسوريا فى عهد الهكسوس المتأخر (1445 ق.م). والعنصر الهكسوسى الحورانى الذى كان يعيش فى فلسطين وسوريا فى تلك الآونة يمكن أن يكون منتسبا إلى عصر حورانى فى نفس البلاد فى نهاية هذا القرن **وهو ما يعزز وجود قرابة وطيدة بين أهل (مِتَني) و (الحورانيين) منذ حوالى منتصف القرن 17 ق.م** وهم الذين كانوات يقطنون سوريا وفلسطين وانشتروا جنبا لجنب . وإن كان ثقافة الهكسوس قد تغيرت من أساسها حوالى منتصف القرن 15 ق.م (1445 ق.م) ففى (مَجدّو) الفلسطينية وجد أن الرسوم على الفخار الملون لا تخرج عن كونها رسوم حورانية محورة وكذلك يظهر أن طراز الأختام الاسطوانية المستخرج من (كركول – نوزى) كانت من خصائص العهد الأخير كما كانت من خصائص العهد الأول . ويدل فحص

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهياكل التى وجدت هناك على أن نفس العنصر فـــى كـــلا العـــهدين كـــان واحـــــدا .

وكان العالم الكنعانى الذى واجه العبرانيين عندما دخلوا هذه البـــلاد يرتكز إلى حد بعيد على شعب أساسه من الهكسوس.

ولمحاولة إماطة اللثام عن أصل وموطن الهكسوس الأصلى نجد أنهم :

(1) **قد استخدموا معدن البرونز** (نحاس مخلوط بقليل من القصدير) :

ومعلوم أن فكرة صناعة البرونز نفسها كانت معروفـــة فـــى ســـومر والأناضول بتركيا (فى النصف الأول من الألـــف الثالثـــة ق.م) رغـــم أن مصدر النحاس فى سومر لم يكن موجوداً . ويقترح (**لوكاس**) أن كلا مـــن أرمينيا وإيران قد تكون مصدراً لاستخراج القصدير (الصحيح) .

(2) **الحصان** : له علاقة أصلية بالأقوام الآرية (الهنود والإيرانيين) .

(3) **طراز حصون الهكسوس** : وهو الحصون المستطيلة ينسب للآريـــن أيضا (مشابه لمبانى إيران وبلاد ما وراء بحر خوارزم) وهـــو مـــا يدعم أنهم ينحدرون من (أو هاجروا عبر) بلاد القوقاز .

فى محاولة أخيرة من د. سليم حسن [21] للتفسير يتجه نحو الثوابـــت الدينية فيقول أن إبراهام (إبراهيم) (عليه السلام) هو بدوى قد صُوِّر يزور مصـــر فى رحلة سلمية . والواقع أنه قد قرن غالبا بين رحلته ورحلة (أبشا) الـــذى سار على رأس قافلة لزيارة مصر فى عهد (سنوسرت الأول) . **ومن غريب الصدف أن هذا العصر هو العصر الذى لاحظنا فيه لأول مرة أدلـــــة علـــى وجـــود الهكسوس فى مصر** . وبعد فترة من الزمن دخلت كل أسرة (يعقوب) (عليه السلام) واتخذوها موطنا لهم (أرض جاسان أو جاشان بمحافظة الشـــرقية) . وهذا الحادث يذكرنا باحتلال الهكســـــوس للوجـــه البحـــرى . **وواضـــح أن**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهكسوس كان العنصر السامى قوياً فيه . وكذلك يظهر أن الحورانيين قد لعبوا دوراً هاما فى هجرة الهكسوس . ومن المحتمل أيضا أن بعضاً من طائفة (خابيرو) المختلطة الأجناس قد صاحبوا المهاجرين وكذلك أيضا الهنود والإيرانيين[22] . ولكن يجب عند فحص مسألة التكوين القومى للهكسوس أن تعالج وجهات النظر اللغوية والجنسية والثقافية بنفس الدرجة من الأهمية .

وفى عهد (أمنحتب الرابع) أى (إخناتون)[23] ساءت الحالة الأمنية فى فلسطين وازدادت حالات السلب والنهب والاضطرابات والتقتيل . وقد حاول أمير (خاسور) وهى معقل جبلى أن يتحد مع قبائل (خبيرى) ليمد رقعة إقليمه فاستولى على مؤاب (إياب) و(بيلاّ) جنوب الضفة الأخرى لنهر الأردن و (لابايا) فى الجنوب واستمر فى زحفه (يعاضده ميلكيل وتاجى) حتى استولى على ولايات (سهل يزراعيل) الواحدة تلو الأخرى مثل شونم وبورقانا وجتريمون وغزة وغيرها . أما (شكيم) وإقليمها فقد أعطاها لقبائل (خبيرو) . وبعد تفاقم الأمور أرسل الفرعون الأمير (خانى بن مرى رع) وكان يحمل لقب (ابن الملك) أو نائب الملك ليأتى برءوس أعداء الفرعون . ولما كان فى جيش كبير فقد أعلن الأمراء ولاءهم للفرعون دون أى مقاومة . وقبل الفرعون خضوع (ميلكيل) و (تاجى) أما (لابايا) فلم يغفر له خطيئته ولم يقبل شفاعته ووكل مهمة إحضاره كخائن وغادِر أمير (عكّا) غير أن الرِشْوة لعبت دورها فأخلى سبيله خلسة . ولكنه اغتيل فى أثناء هروبه . وكذلك هرب (إياب) إمير (بيلاّ) من قائد الملك . وعادت الحملة المصرية ومعها الأسرى من الساميين إلى مصر وليس بينهم أسير واحد من (خيتا) . **وبعد قليل أخذت قبائل (خبيرى) يتوغلون فى البلاد**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ناهبين الأماكن المأهولة وفارضين الضرائب الفادحة على مدن الساحل مثل غزة وإيالون وصرعا ولاكش وحتى عسقلان . وفى أورشليم جاهد (عبدى خيبا) أن يصد قبائل (خبيرى) وميلكيل وإينا لاباى (الذى أغتيل) على الأقليم الساحلى (كلنا وقعلا) التابع لشواردانا . وآزره فى ذلك (سوراتا) أمير (عكا) وأمير (أكشاب) ولكن سرعان ما دب الخلاف وبدأ كل منهم يعمل لحسابه حتى استولى (شواردانا) أمير (كلنا وقعلا) على ثلاثين مكانا وكان **فى الوقت نفسه يحرض** (**ميلكيل**) **قبائل** (خبيرى) عليه مما اضطره إلى طلب النجدة من الفرعون .

وعملت يد القتل فى الأمراء بدرجة عظيمة حتى صارت مدن الولايات الفرعونية لا ولاة لها . وفى ذات الوقت اكتظ الإقليم الجنوبى من فلسطين بقبائل (خبيرى) وأصبحت كل مدن الداخل معادية للحكم المصرى (مدن منحدرات جبال يهودا جنوبى حبرون) واستنجد (عبدى خيبا) بالفرعون دون جدوى . ولما أرسل بعد ذلك القائد (ينخام) الذى كان يثق به قوم فلسطين عجز أن يفعل شيئا حاسما فى هذا الجو المضطرب فضلا عن أنه فى السنين الختامية لحكم (إخناتون) كانت السيادة المصرية قد تفككت عراها وانحلت أواصرها خارج البلاد وداخلها .

وتمكن (**حور محب**) قائد الجيوش المصرية فى عهد (توت عنخ آمون) الذى خلف (**إخناتون**) بوصفه وصياً على العرش . تمكن من إخماد ثورات (خبيرى) (أى اليهود فيما بعد) وصحبه فى تلك الحروب مليكه (توت عنخ آمون) وساق جماعات من الأسرى من فلسطين (آسيويين وأوربيين) وخلف (**حور محب**) الذى حكم خمسة أعوام قائده ووزيره الأكبر وولى عهده المسن (**رعمسيس الأول**) الذى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكم عامان ثم خلفه (**سيتى الأول**) الذى حكم تسعة عشر عاما وسار على نهج (تحتمس الثالث) وقلده عن قصد **فاسترد السيطرة على موانئ الساحل الفينيقى بعد حملته على شمال فلسطين وأخضع لبنان ثم بعضاً من سوريا . وقد كان للعبرانيين ضلع فى الحركة التى قام بها البدو (الثورات والفوضى ضد الحكم المصرى) إذ كانوا يسعون لتوطيد أقدامهم فى فلسطين** . ولهذا السبب المباشر قام (سيتى الأول) بمهاجمة قبائل (شاسو) أى البدو الآسيويين فى فلسطين الجنوبية و **أفلح فى** إعادة السيطرة المصرية على كل فلسطين وجنوبى سوريا .

وهناك إشارتين فيهما شك كبير فى عهد الملك (داوود) (عليه السلام) والفرعون (نخو) أو (نخاو) وأيضا فى عهد الفرعونين (شيشنق) و (تيرهاقا) لبلدة (قادش) وكان من الطبيعى أن تحدث داخل تلك الممتلكات النائية الثورات والاضطرابات بسبب المنازعات التى كان يخلقها التنافس وبسبب تراخى الحكام المصريين (المحليين) وضعفهم أو بسبب نزوع أهل هذه الجهات للحرية وعدم التقيد بالنظم القانونية .

ففى فلسطين كان البدو (شاسو) يقومون بحركات هجرة لا تنقطع خصوصا قبائل البدو الرحل من قبيلة (إسرائيل) التى وفدت من الشرق واستوطنت إقليم أفريم (اسم مشتق من أفرات التى ما بين راما وبيت إيل) الجبلى الذى لم يسكنه من قبل إلا نفر قليل جداً . وكانت تلك القبائل فى العادة من الخارجين الذين لا يخضعون لأحكام ولا يمكن كبح جماحهم بسهولة . وقد ذكرهم الفرعون (مرنبتاح)ابن (رعمسيس الثانى) فى لوحته المشهورة (بنى إسرائيل) أو لوحة تل العمارنة والتى عدّد فيها الأصقاع التى قهرها وتسلط عليها فى فلسطين . وقد جاء باللوحة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

***وإسرائيل قد خربت وليس لها بذرة (أى خلف) .**

وهذه هى الوثيقة الوحيدة التى جاء فيها ذكر إسرائيل فى النقوش المصرية فى عهد مرنبتاح . **وهذا برهان على أنهم استوطنوا بلاد فلسطين قبل عهد (مرنبتاح) بزمن بعيد.** وجاء ذكر قبائل البدو (شاسو) فى إحدى لوحات معبد الكرنك يمثل الفرعون (رعمسيس الثانى) وهو يطأها بقدميه وهم مقيدون بالحبال تحت سنابك خيله . ومن كلمات تلك اللوحات الجدارية :

*وقد وقعت مذبحة عظيمة فى أرض شاسو (البدو) ونهبت تلالهم وقتلوا عليها . وأقام المبانى فى مدنهم بإسمه المخلّد .

وهناك غير تلك القبائل قاطعى **الطرق كان يوجد قبائل وطوائف أخرى مسالمة فى عهد الدولة الوسطى ثم فى عهد (حور محب) وهم الذين وفدوا على مصر بقصد التجارة أو لرعى الأغنام والماشية وقطنوا الحدود المصرية خصوصا وادى طميلات بأرض جاسان أو جاشان بالشرقية حالياً وهو بمثابة مدخل لمصر من آسيا** . وقد ذكر لنا أحد الموظفين فى خطاب حكومى ينسب إلى الفرعون (مرنبتاح) أنه كتب لرئيسه قائلا :

إن بعض بدو (شاسو) (أدوم) قد سمح لهم حسب التعليمات التى لديه أن يجتازوا الحصن الذى فى إقليم (سكوت) أى تل المسخوطة فى وادى طميلات ليتاح لهم رعى ماشيتهم بالقرب من (يتوم) أى بيت آتوم (كان المرور فى هذا الوادى شديد الحراسة) وعن ذلك الموضوع جاء فى سِفْر التكوين[24] :

***فأتى يوسف وأخبر فرعون وقال : أبى وأخوتى وغنمهم وبقرهم وكل مالهم جاءوا من أرض كنعان . وهو ذا هم فى أرض (جاسان)** . وأخذ من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جملة أخوته خمسة رجال وأوقفهم أمام الفرعون . فقال فرعون لأخوته ما صناعتكم ؟ فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم نحن وآباؤنا جميعا . وقالوا لفرعون : جئنا لنتغرّب فى الأرض . إذْ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد فى أرض كنعان : فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاسان (جوش أو جاشان) .

وهذه الصورة التى جاءت فى (الأساطير الإسرائيلية) قريبة الشبه بالتى ذكرناها فى عهد (حور محب) كما تصف لنا حالة المعيشة فى أرض فلسطين وقلة مواردها بالنسبة لمصر . وقد أنشئت أحياء كاملة للمهاجرين من الكنعانيين والفينيقيين الذين جاءوا إلى مصر مصطحبين معهم آلهتهم وأربابهم المحليين وهكذا اختلط الدم المصرى وحتى الملكى (مثل مومياء الملك سيتى الأول) بالدم الأجنبى (الساميين واللوبيين والنوبيين وغيرهم) . وفى جو السلام الذى ساد البلاد لأكثر من ست وأربعين سنة من عهد (رعمسيس الثانى) بدت مظاهر الترف والبذخ فى القصر الفرعونى وكذا أمور المحسوبية فى التعيين فى الوظائف الهامة والعالية (كما كان ذلك فى عهد تحتمس الثالث) خصوصا من الآسيويين . وترك لنا (مرنبتاح) [25] أنشودة عظيمة يصف لنا الهزيمة الساحقة التى أنزلها باللوبيين - الذين أغاروا على مصر من الغرب - كما أشار فيها إلى ما قام به من أعمال جليلة وماصبّه من نكبات وأنزله من ويلات بأقوام البلاد الأخرى المجاورة التى تألبت عليه وقد ذكر من بينهم قوم (بنى إسرائيل) للمرة الأولى - ربما فى تاريخ العالم - ومن ثم تشعبت الآراء وتضاربت الأقوال فى حادثة خروجهم من مصر وفى إسم الفرعون الذى غادروا البلاد فى عهده لدرجة أن بعض المؤرخين أنكروا حادثة الخروج تلك وقالوا إنها مستعارة من حادثة أخرى هى خروج الهكسوس من مصر . وكذلك التضارب فى تفسير عبورهم البحر . أهو بحر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القلزم (البحر الأحمر) أم خليج السويس أم يم نهر النيل فى أحد فروعه . وكان هؤلاء اليهود يسكنون فى شرق الدلتا (أرض جاسان بمحافظة الشرقية) وكان (رعمسيس الثانى) قد سخرهم فى إقامة عاصمة ملكه التى جاء ذكرها فى التوراة باسم (رعمسيس) ودلت الكشوف الحديثة على أنها (بّرّرعمسيس) أى (قنتير) الحالية بالقرب من مدينة فاقوس بالشرقية . وهى التى خرجوا منها مولين وجوههم شطر فلسطين . ومن أجل ذلك أصبح من المرجح أن خروج بنى إسرائيل من مصر قد وقع فى عهد (رعمسيس الثانى) أو عهد ابنه (مرنبتاح) .

ويلاحظ فى (رسائل تل العمارنة) أن ذكر بعض القبائل البارزة جدا فى الوثائق المصرية لم تذكر فى المتون الخيتية وخصوصا (شردانا) و (بلست) أى فلسطين . وقبائل شردانا كانت تحارب فى صف مصر أو عليها فى فترة تبلغ مائتى عام . أما قبائل بلست أو بلستى الذين ذُكروا فى التوراة لم يأتوا إلا متأخرين إذْ لم يظهر إسمهم إلا فى عهد (رعمسيس الثالث) .

والتقاليد العبرية تتفق هى والتقاليد الإغريقية على أن الفلسطينيين (البلست) من جنس أجنبى (يسمون شعوب البحر sea people وغالبيتهم من كريت) . وقد كانوا لا يختتنون (يختلفون فى ذلك عن الساميين). وتدل الشواهد على أن الفسلطينيين قد ساروا براً مخترقين آسيا الصغرى قاصدين شمالى سوريا (يستعملون عربات تجرها ثيران) وهاجموا مصر من جهة البحر أيضا . ومن المرجح أنهم جاءوا من مكان ما فى شمال بحر إيجه وكان احتلالهم لجزر كريت كمرحلة من مراحل هجرتهم إلى مصر والشام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضع د. سليم حسن تصوراً للطريق الذى سلكه بنى إسرائيل عند هجرتهم (خروجهم) من مصر إلى فلسطين (معتمداً على القص فى النص التوراتى) [26] مبيناً أن الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأوحال حينماأدركوا قوم موسى (عليه السلام) وأن بعض الركاب قد سقط مغشيا عليه ولم يغرق الفرعون (مخالفا فى ذلك ماجاء فى القرآن الكريم)[27] وأن واقعة الخروج والمواجهة كانت فى (بحر البوص) بمنطقة المنزلة .. الخ .

فى عام 950 ق.م قام شيشنق الأول بتأسيس الأسرة الثانية والعشرين (الدولة اللوبية فى مصر) وكان شيشنق هذا قد زوّج ابنه أوسركون الأول (وولى عهده فيما بعد) من ابنة فرعون (بسوسنس) ليكون أهلا لتولى العرش . وقد قام (شيشنق الأول) أو شيشق (كما ذكر فى التوراة) ببناء ما تهدم من المعابد وإعادة أوقافها والقضاء على الفوضى وإرجاع الأملاك إلى ذويها وبعد ذلك عمل على توحيد البلاد واتباع سياسة حكيمة لم يلجأ فيها إلى القوة (نصّب أحد أبنائه فى وظيفة الكاهن الأكبر لآمون فى الكرنك وبذا قضى على أسرة الكهنة القدامى) وأقام عاصمته فى مدينة (بوبسطة) أى الزقازيق . وفى عام 930 ق.م (فى عهد سليمان (عليه السلام) أغار على فلسطين وانتصر على العبرانيين وأعاد النفوذ المصرى إلى هذه الأصقاع الآسيوية ونعمت مصر بالثراء العظيم (من غنائم الحروب) حتى أن مصر عاشت على تلك الكنوز والغنائم لقرنين من الزمان تنفق منها . واستمر حكم تلك الأسرة (22) حوالى قرنين ونصف وأصبحت مصر فى نهايتها نهباً للكوشيين (السودانيين والأثيوبيين) ثم الأشوريين ثم الفرس فاليونانيين فالرومان ثم العرب (الفتح الإسلامى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعن (العبريين) يفرد لهم د. سليم حسن فصلا [28] فـــى موســـوعته التاريخية فيقول :

تدل البحوث العلمية والنقوش الأثرية الباقية على أن قوم (العبرانيين) هم رابع قوم استوطنوا بلاد سوريا . وهم على الترتيب :

الأموريون - الكنعانيون - الآراميون ثم العبرانيون .

ففى العهد الآمورى كان مركز الجاذبية للشئون السورية فى الشـــمال وفى العهد الكنعانى انتقلت القوة المركزية إلى الشاطئ وفى عصر الآراميين كانت فى الداخل . وفى زمن العبرانيين انتقلت القـــوة إلـــى الجنـــوب فـــى فسلطـــين.

وعن أصلهم يقول د. سليم حسن :

الظاهر أن دخول العبرانيين أرض فلسطين كان فى ثلاث هجرات :

(1) **الهجرة الأولى :** بدأت من بلاد (مسوبوتاميا) وكانت فى القـــرن 18 ق.م . والتى من جرائها انتشار (الهكسوس الحوريين) على الشاطئ الشـرقى للبحر الأبيض المتوسط .

(2) **الهجرة الثانية :** وكان لها علاقة بقوم الآراميين فى القـــرن 14 ق.م وهم الذين عاصروا (إخناتون) .

(3) **الهجرة الثالثة :** وكانت من مصر والجنوب الشرقى فى عهد (موسى ويوشع) فى نهاية القرن 13 ق.م .

وقد كان الكنعانيون يؤلفون معظم الســـكان عنـــد الـــهجرة الأولـــى للعبرانيين . وقد تزاوج المهاجرون الجدد بأهل البلاد من الآموريـــن فكـــان العبرانيون خليطاً من الساميين والحوريين والخيتا وأقوام أخرى ينتسبون إلـــى الجنس السامى . وقد نبذ العبرانيون لهجتهم السامية القديمة وتكلموا باللهجـــة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكنعانية (اللغة الفينيقية والعربية القديمة هما لغة واحدة بلهجتين مختلفتين) .

وتقول الروايات إن إبراهيم (عليه السلام) ومعناه الوالد السامى (إبرام) جدهم الأول قد وفد من بلدة (أور) ببلاد (مسوبوتاميا) بالعراق عن طريق (حاران) وقطن بجوار (حبرون) مؤقتاً وهى المعروفة باسم الخليل حاليا . وقد أنجب إسحق (عليه السلام) ومعناه ليته يضحك . وبعد أن استوطن عدة سنين فى (بادان آرام) انتخب (يعقوب) ومعناه ليته يحمى ليكون الابن المفضل على أخيه التوأم (عيساو) [29] ثم غير إسمه (أى يعقوب) إلى إسرائيل بمعنى إيل يحكم . وقد تسمى (عيساو) باسم آخر هو (أدوم) بمعنى أحمر . وفى نهاية الأمر استولى أخلافه من الأهالى على جبل يسمى (سعير) وأصبحوا يسمون الأميين [30] .

وعلى ذلك حُذف (عيساو) من مجرى حياة العبرانيين . وكان الابن الحادى عشر من أولاد يعقوب (عليه السلام) هو يوسف (عليه السلام) . وهو الابن الأكبر لراشيل وقد بيع فى مصر حيث تبوأ أعلى المراتب إذ نصّبه الفرعون على خزائن مصر (وزيراً للمالية) . وبعد أن مكث نسل (يوسف) (عليه السلام) وأخوته فى مصر عدة أجيال عادوا إلى أرض الميعاد بقيادة موسى (عليه السلام).

ولا نزاع فى أن التاريخ اليهودى الذى كتب قبل عهد القضاة ليس بتاريخ علمى ذى أسانيد . وعلى أية حال يبتدئ تاريخ إسرائيل الحقيقى بوصفهم منذ خروجهم من أرض مصر فى أواخر عهد (رعمسيس الثانى) عام 1290 ق.م[31]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان أول انتصار للعبرانيين على الملك الآمـــورى (ســيحون) ثـــم انتصار آخر على الملك (عِوَج) الجبار . وكـــانت أول المـــدن الكنعانيـــة المسورة (ذات أسوار) التى سقطت فى فلسطين نفسها مدينة (لاخيـــش) أو لخيش أى تل الدوايز و (عاى) بالقرب من دير ديوان . وكذلـــك اجتـــازوا (أريحا) عاصمة مملكة الكنعانيين وأحرقوا كل مافيها . أما (مجـــدّو) فـــى الشمال فلم تُخرَّب إلا بعد حوالى مائة سنة بعد ذلك . وقد كان مـــن جـــراء توغل العبرانيين فى بلاد (جليل) فتح (حاصور) أى تل الوقاص أو القداح عاصمة مملكة الكنعانيين فى الشمال . **والواقع أن مايسمى بـــالفتح العـــبرى كان بعضه بالسيف والآخر بالتوغل السلمى فى أرض المنّ والسلوى** . ثـــم بعد أن وطدوا أقدامهم قاموا بالتزاوج من العناصر القديمة فى البـــلاد . وقـــد قسمت هذه الأراضى بين الإحدى عشـــر قبيلـــة التـــى كـــان يتـــألف منـــها العبرانيـــون. فقبيلتا يهودا وبنيامين سكنتا الإقليم الجبلى حول (أورشليم) أما باقى القبائل فقد استوطنوا السهول الخصبة الواقعة فى الشمال ومدة الاستقرار لهؤلاء القوم بين حوالى 1175 – 1075 ق.م وهى تتفق مع مايســـمى بـــ (عصر القضاة)[32]

وكان هؤلاء القضاة أبطالا وطنيين وحكاما ولدتهم الأحـــوال وقـــادوا قومهم لمحاربة الأعداء المجاورين أو الأجـــانب الغاشـــمين ومـــن أشـــهرهم (دبورة) و (باراق) وأيضا (شمشون). وقد كان أقوى مناهض للعبرانيين فى الاستيلاء على الأرض هم الفلسطينيين الذين ينحدرون فى أصلهم إلى أقـــوام البحر الخمسة الذين وفدوا من بحر إيجه لغـــزو مصر . وحوالى عـــام 1050 ق.م هزم الفلسطينيون العبرانيون واستولوا على التابوت (تـــابوت العـــهد) الذى حملوه إلى (أشْدُدَ أو أشدود . وقد تفوق الفلسطينيون علـــى أعدائـــهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بمالديهم من أسلحة يتوقف صنعها على صهر الحديد . وقد احتكروا تلك الصناعة ولم يعلموها لأحد من الإسرائيليين .

وكان مصدر هذا المعدن هوساحل البحر الأسود . وتعلم الكنعانيون أسرار تلك الصناعة من الفلسطينين الذين انفرجت قبضتهم عن البلاد فى عهد داود (عليه السلام) 960ق.م وكانت هزيمتهم على يد داود الذى عرف سر صناعة الحديد [33] وبعدها فتح داود (آدوم) التى كانت غنية بخام الحديد .

والفلسطينيون بوصفهم مجتمعا أجنبياً فى أرض فلسطين (ساحل البحر المتوسط) فإنه لم يكن لهم أى ضمان يضمن بقاءهم إلا استمرار تجديد دمائهم بالهجرة . وفى نهاية حكم داود (عليه السلام) بدأوا يختفون بوصفهم مستعمرة وعلى مر الزمان أصبحوا ساميين هضمتهم البلاد .

ونجد أن (نحميا) الذى كتب عنهم فى أواسط القرن الخامس ق.م لا يتحدث عن الفلسطينيين بل عن الأشدوديين . ومن اسم آلهتهم (داجون) إله الحب نعلم أنه مأخوذ من طائفة الآلهة الكنعانية . وكان مركز عبادته (أشدود) أما مقر عبادة زوجه (عشتاروت) فكان بلدة (عسقلان) .

وكان من جراء مقاومة الفلسطينيين إعطاء الفرصة لإنشاء المملكة العبرانية وهى التى بقيامها يبتدىء تاريخ الأمة العبرانية . وفى عهد العبرانيين نمت وترعرعت صفات قومية خاصة بهم وإن كان ينقصها المظهر السياسى . وقيل أن العبرانيين يُعدّون الأمة الوحيدة بين الأمم السامية القدامى التى حافظت على أخلاقها القومية وشخصيتها بسبب عامل الدين [34] . وقد كان لجيرانهم الأدوميين والمؤابيين والعامونيين ملوك يحكمونهم . أما الفلسطينيين فكان لهم أسياد حافظوا على اتحاد مفكك . وكان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للفنيقيين حكومات مدنية وقد نما بعضها مثل (جبيل) و (صيدا) و (صور) وكان العبرانيون يحكمهم حتى تلك اللحظة (قضاة) . وقد نُصب(شاؤل) ملكا عليهم حوالى 1020 ق.م . وقد كان نظام الملكية مختلف عن الملكيات المجاورة فى أمرين حيث استمر نظام القبائل (من حيث الأغراض الادارية) وكان الملك يحكم حسب ما يمليه إلههم (يَهْوَه) (يوحى بذلك بواسطة الكهنة والقديسيين) . وقد كان انتخاب (شاؤل) Saul ملكا على العبرانيين سببا للثورة على الرؤساء الفلسطينيين . وبعد حرب طويلة قتل الفلسطينيين ثلاثة من أولاده وجرحوه جرحا بليغا وانتحر بعد موقعة (جبل جلبوع) . والمؤسس الحقيقى لمملكة العبرانيين هو (داوود) (عليه السلام) 1004 – 960 ق.م وهو الذى ارتدى درع (شاؤل) وابتدأ مجال ملكه تحت سيادة الفلسطينيين ثم أفلح بعد ذلك فى استقلال بلاده ووسع حدوده . وأصبحت أدوم ومؤاب وعمون تحت حكمه وقد انتخب (أورشليم) عاصمة لملكه وهى التى انتزعها من اليبوسيين Jebusites وجعل ديانة (يَهْوَه) فى العاصمة الديانة الرسمية للمملكة الموحدة . وخلف داود إبنه (سليمان) (عليه السلام) على عرش المُلك 960 – 925 ق.م وقد وصلت المملكة فىعهده أوج عظمتها من الرفعة والبذخ . وكان من نتائج حكمه أن اندمج العبرانيون فى مجرى الحياة والحضارة الشرقية . وأقام سليمان (عليه السلام) معبداً ضخما كان خاصاً به فى أول الأمر ثم جعله عاما للعبرانيين . وكانت شعائره وضحاياه (القرابين) تنعكس فيها العادات الكنعانية وعبيد المعبد كانوا من الكنعانيين (**كلمة هيكل الكنعانية تعنى معبدا**) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأقام (سليمان) (عليه السلام) بمساعدة صديقه الملك (حيرام) ملك فينيقيا أسطولا من السفن لتجارة البحر الأحمر . وكانت قاعدة الأسطول (عيلَـــه) الرومانية أو (أزيون جبر) تقع عند تل الخليفى عند رأس خليج العقبة[35].

ويلاحظ أن المملكة التى ورثها سليمان عن داود أكبر بكثير من التـــى تركها بعد مماته . وذلك لأن فلسطين اعترفت فى ذلـــك الوقـــت بالســـيادة الفرعونية ، وفى نهاية حكم (سليمان (عليه السلام) خلص (رزون) الأرامى نفسه وبلاده من العبرانيين. وتعسمت البلاد فى عهد خلفه (رحبعام) ابنـــه الـــذى استبدل بـــ(يربعام) الأفريمى عند انقسام المملكة . ففـــى الشـــمال مملكـــة (إسرائيل) التى كانت عاصمتـــها (شـــكم) ثـــم (تـــرازه) ثـــم ســـماريه (الســـامره) وذلك تحت إمرة (يربعام) أما القبيلتان الباقيتـــان (12 قبيلـــة تشكل المملكه الموحدة) وهما قبيلتا (يهودا وبنيامين) فقد بقى أهلهما علـــى ولائهم لملكهم (رحبعام) وتألفت منـــهما مملكـــة (يـــهودا) فـــى الجنـــوب وعاصمتها (أورشليم). ودلت الحوادث على أن هـــاتين المملكتيـــن كـــانت تناهض الواحدة منهما الأخرى وأحيانا تصل الأمور لدرجة العداء .

ويعد (عمرى) أشهر ملوك إسرائيل (السامرة) عـــام 885- 874 ق.م ، خلفه (اخاب) 874-852 ق.م تلاه (ياهو)842 ق.م الذى أعاد عبادة (يهوه) ثم (يربعام الثانى) عام 785-745 ق.م ثالث نسل للملك (يـــاهو) وفى عهده توسع حدود المملكة إلى الشمال على حساب (آرام) وكانت هذه الفترة عهد استرخاء فى مملكة أشور وعهد انحطاط فى الدولة المصرية . وعندمـــا تولى (تجلث بيلسر الثالث) أو (تغلات بلازر) عرش آشـــور 747-727 ق.م أعاد لمجد الامبراطورى لأشور . فهزم دمشق (آرام) و (جلعـــاد) و (حنبثى) و (سهل شارون) وانكمشت مملكة إسرائيل (الســـامرة) . وفـــى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عهـد (**سرجون الثانى**) 722-721 ق.م ساق أمامه خيرة شباب إسـرائيل (السامرة) إلى الأسر فى ميديا (27.280 نسمة) . **ومن تلك اللحظة قضـى (سرجون الثانى) على مملكة إسرائيل أبديا .**

وهؤلاء المنفيين (الأسرى) اندمجوا فى الأهالى علـى وجـه عـام (سكنوا فى خابور وحلح ومدن مادى ونهر جوزان) وحل محلهم قبـائل مـن (بابل) و (عيلام) و (سوريا) و (بلاد العرب) ووطنـوا فـى سـاماريا (السامرة) وأقطارها . واختلط المهاجرون الجدد بالإسرائيليين المتبقين وكونوا ما يعرف بـ (السامريين) وقد كانت معتقداتهم الدينية متحـدة مـع عبـادة (يَهْوَه) . وأما الانشقاق النهائى بين المجتمعين فقد حدث حوالى عام 432 ق.م [بعد عودة (عَزْرا) أو أَزْرَا و (نحمايا) أو نحميا مـن المنفـى] . وازدادت العداوة والبغضاء بين اليهود والسامريين على مر السنين ولم يسمح بـالتزاوج بينهم قط . وفى القرون الوسطى بعد الميلاد نمـا السـامريون وترعرعـوا فى(غزة) و (القاهرة) و (دمشق) وبلاد أخـرى ولغتـهم هـى العربيـة ويقيمـون فى (نابولوس) أى (نابلس) . أما بخصوص المملكة الجنوبيـة فقـد انتهز (شيشنق الأول) فرصة الانقسام بين يهودا وإسرائيل (**السامرة**) فاقتحم البلاد حوالى عام 920 ق.م وضرب مدنها ونـهب أورشـليم وكـان (عوزيه) أو إذا ريه ملك يهودا (782-751 ق.م) لطول فترة حكمه ليهودا قد أعاد نظام جيشه وأصلح معاقل أورشليم ونال انتصارات علـى فلسـطين والعرب وتسلم جزية من العمونيين وأعداء آخرين . وكان من جراء القضـاء على إسرائيل (السامرة) فى عام 721 ق.م أن تعرضت يهودا إلى هجمـات مباشرة من آشور وأصبحت فى مستهل حكـم (حزقيـال) 721-693 ق.م خاضعة لآشور . وقد قام (سرجون الثانى) وخلفه (سنخرب) أو سـنحاريب عام 705 -681 ق.م بسلسلة حملات تأديبية على مدن الفنيقيين والفلسطينيين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويهودا وانتهى الأمر بحصار (أورشليم) عام 701 ق.م ولم تسقط أورشليم ولكن القرى المجاورة أصبحت خرابا وبقيت يهودا مدة ثلاث أرباع القرن السابع ق.م بمثابة قطر تابع لـ(**نينْوَه**) عاصمة الملك (**سنخرب**) . وفي عهد (**يوشع**) الذى تولى عرش يهودا المخربة عام 636 ق.م وكان في الثامنة من عمره اتسعت رقعة البلاد شمالا فى محاولة لتوحيد إسرائيل السامرة ويهودا . ولما سقطت (نينْوَه) فى يد الكنعانيين بعد أفول نجم آشور عام 612 ق.م شجع ذلك مصر على مد حدود امبراطوريتها مرة أخرى إلى شمال سوريا . فتقدم الفرعون (**نخاو**) إلى يهودا والساحل وقتل يوشع في المعارك (فى مجدّو) عام 606 ق.م وخلفه (يوشيا) ابنه وأعاد عبادة (يَهْوَه) وحده . وقد تأرجحت (يهودا) بين سياسة الخضوع لحكم الفرات الجدد (الكلدانيين أو البابليين) والتحالف مع دولة مصر صديقتها القديمة . ولكن (يواقيم) بن يوشيا اختار محالفة (نخاو) ملك مصر 608 –597 ق.م فعينه الفرعون خلفا لأبيه وغير اسمه إلى (**يَهْوَ ياقيم**) وفى موقعة قرقميش عام 605 ق.م تمكن قائد الكلدانيين (**نبوخذ نصّر**) أو بختنصّر من هزيمة الفرعون (نخاو) وانتزع بذلك من مصر كل ممتلكاتها الآسيوية . ولم يكن لـ(**يواقيم**) من القوة ما يناهض به (نبوخذ نصّر) الذى دخل جيشه أورشليم عام 597 وقيد (يواقيم) بالسلاسل كأسير إلى بابل ولكنه مات أو قتل وألقى بجثته خلف أبواب أورشليم . وفى عام 586 ق.م قام (نبوخذ نصّر) بتخريب وهدم أورشليم وأخذ أهلها أسرى (50.000 نسمة) وخرب أيضا كل مدينة فى مملكة يهودا تقريبا وفى عام 564 ق.م أصبحت كل سوريا فى يد الكلدانيين .

ويلقى د. سليم حسن الضوء **على العبرانيين** فيقول[36] :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن العبرانيين قد تعلموا الزراعة من الكنعانيين لأنهم كانوا فى الأصل من البدو الرحل . كما أخذوا من الكنعانيين الشعائر الدينية والعادات . والشعائر المحرمة فى التوراة حرمت فيما بعد لأنها لا تتمشى مع مبادئ الديانة اليهودية . والفن والعمارة الدينية عند اليهود مأخوذة من أصل كنعانى (هيكل سليمان الذى شيده بناءون من صوُر كان محاكيا لتصميم محراب كنعانى وكانت شعائر المعبد تتطلب أنغاما موسيقية . وكان موسيقاروه ومغنوه الأوَل من الكنعانيين (ويهود تعلمواعلى يد الكنعانيين) والآلات المستخدمة كانت كنعانية الأصل (كانت معروفة فى فلسطين قبل عهد داود بألفي عام) مثل الدفوف والصفارة والقيثارة والبوق .

والهجرة اليهودية إلى مصر كانت جزءاً كبيراً من هجرة السوريين حيث توجد قرى تحمل أسماء سامية (سورية أو آرامية) خلال العهد البطلمى (فى القرنين الثالث والثانى ق.م) وتكثر الأسماء الآرامية فى الأوراق البردية المصرية كما ثبت وجود عبادات لآلهة سورية فى القرنين الثالث والثانى ق.م .وبرغم اختلاف السوريين عن اليهود فى ديانتهم إلا أنهم كانوا يتكلمون لغة مشتركة . ولأن فلسطين فى خلال القرن الثالث ق.م لم تكن تؤلف بمفردها وحدة إدارية خاصة (كانت سوريا وفينيقيا تشمل المديريات أو المقاطعات الواقعة جنوبى سوريا وهى فينيقيا وفلسطين وشرقى الأردن) ولذلك فقد خلط المصريون كل الأقوام الوافدين من سوريا وسموهم كلهم (سوريين) واللغة العبرية كانت تؤخذ خطأ - بسبب ذلك - على أنها اللغة السورية (الآرامية) ولم تكن لدينا وسيلة للتمييز بين اليهود والسوريين فى الوثائق المتروكة لنا وبالتالى فلا توجد إمكانية لتحديد عدد اليهود المصريين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان اليهود فى مصر يعيشون فى مجتمعات - فى مـــهجرهم كشـــأن غيرهم من المهاجرين - أى منظمات منفصلة نصف سياسية . لهم قوانينـــهم وعاداتهم ومبانيهم ومؤسساتهم وقادتهم وموظفوهم **وذلك فى محاولات منـــهم لإنشاء أجواء تشبه وطنهم الأصلى الذى أتوا منـــه** . وبـــالمثل فقـــد أقـــام الكليكيون والمقدونيون والعرب والتراقيون والسوريون مجتمعات أخرى داخل المدن المصرية . والواقع أن اليهود لم يكونوا منحصريـــن فـــى أحيائـــهم . **والمجتمع اليهودى ليس مرادفاً للحي اليهودى . ولـــم يمنـــح اليـــهود** - أو غيرهم - **حكما ذاتيا سياسيا كاملا فى مصر . ولهذا السبب لـــم يكـــن فـــى مقدور السكان اليهود بمصر أن يتحدوا فى نظام قومى واحد لأن ذلك كـــان يشكل خطراً على الدولة التى تأويهم** . ولم يوجد فى الأوراق البردية ولا فى النقوش أى برهان على وجود مجتمعات يهودية فى العصر البطلمى . أما فى العهد الرومانى فلم يوجد سوى مجتمع يهودى فى (البَهْنَسا) .

ومن الملاحظ أن الغالبية العظمى من اليهود فى مصـــر لـــم يكونـــوا أغنياء كما لم تكن لهم أية صلة بالتجارة أو الربا (كما تقول البرديات) ورغم ذلك فإنهم قد نشئوا وفى دمهم الربا الفاحش . وانخراط اليـــهود فـــى ســـلك الجنديـــة فى الجيش البطلمى لم يكن امتيازاً خاصا قد منحـــوه . ولكنـــهم - كغيرهم - عملوا فى الجيش كمرتزقة حيث عمد البطالمة على عدم الاســـتعانة بالجنود المصريين الوطنيين (خصوصا بعد الحرب العظمى التى وقعت بيـــن ملك مصر وأنتيوكس الثالث عام 217 ق.م وكانت الغلبة فيها للمصريين) .

وعن (**موقف اليهود السياسى فى مصر**) يقول د. سليم حسن[37] :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن تاريخ اليهود السياسى فى مصر فى عهد البطالمة ينقسم إلى عصرين ويُعد عصر (حكم) **بطليموس السادس (فيلومتور)** عام 181 -145 ق.م الخط الفاصل بين هذين العصرين . ويعد العهد الذى يقع بين حكم بطليموس الأول والسادس بالنسبة لليهود عهد استقرار حيث انتشروا فى كل أنحاء البلاد المصرية ووطدوا أنفسهم فى أعمال منوعة وأسسوا مجتمعاتهم الخاصة بهم . وفى عهد (فيلومتور) بدأ عهد جديد فى تاريخ اليهود كان الدافع له أمران وقعا فى وقت واحد :

1-ميل الملك للساميين .

2-تدفق نهر جديد من المهاجرين اليهود إلى مصر (وفدوا من فلسطين) .

وقد أخبرنا (يوسيفوس) المؤرخ المصرى أن **(فيلومتور) وزوجه (كليوباترا)** قد وكلا أمر مملكتهما ليهود . ووضعا الجيش المصرى تحت قيادة (أونياس) و (دوسيثوس) . وفى الحقيقة فإن ذلك مبالغة من يوسيفوس حيث أنشأ (فيلومتور) وحدة حربية يهودية تحت قيادة (أونياس) وذلك فى الوجه القبلى . وكان كره المصريين لليهود نابعا من كونهم أجانب وساميين (كراهة الساميين لم تكن ظاهرة جديدة فى مصر بل تمتد إلى دخول الهكسوس إلى مصر واستيلائهم على مقاليد البلاد ولدسائسهم التى لا تنقطع وكان هذا الكره طوال العصر الهيلانستيكى (البطلمى أو الإغريقى)لا يتعدى حدود الكتابات الأدبية (كتب الكاهن المصرى (مانيتون) أول تاريخ يحتوى على رواية مضادة لسِفْر الخروج لتكون تكذيبا لقصة الخروج) وزاد الكره فى العهد الرومانى فى صورة منهج منظم لطرد اليهود من كل المراكز التى وصلوا إليها فى عهد البطالمة سواء أكانت مراكز سياسية أو اجتماعية . ولما كانت اللغة الآرامية ليست لغة اليهود الوطنية فإن إحلال اللغة الإغريقية لم يؤثر فى الأسس القومية للحياة اليهودية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وترجمت التوارة إلى الإغريقيـــة وهذه الترجمة كانت بعيدة عن الأصـــل العبرى والتوراة الأصلية (توراة موسى) التى غُيِّرت وحُرِّفت كلماتها عـن مواضعها وذلك أمر له أهمية سياسية فى كل التطور الثقافى ليهود مصـر .

وقد كان اليهود فى الأسكندرية (عاصمة الملْـك) مزهويـن بإنجـاز تلْـك الترجمة التى تمت فى عهـد (بطليموس الثانى) وقام بها 72 عالمـا يـهوديا ندبوا خصيصا لذلك من فلسطين (**الترجمة السبعينية**) وقد كانت القوانيـن واللوائح التى تؤلف الأساس القانونى لأعمال الحياة اليهودية هـى القوانيـن العامة للإغريق فى مصر وهو ما يسمى بـ(**القانون المدنى**) وعليـه فقـد أصبحت حياة اليهود السكندريين الأسرية من حيث زواجهم وطلاقهم كـانت تنظم بعقود حسب القـانون الهيلانسـتيكى (الإغريقـى) **وبالتـالى أصبـح اليهـود لا يعيشون حسب تعاليم التوراة .**

فحسب تعاليم التوراة لا يقرض يهودى يهودى مثله بالربا ولكن حسب القانون المدنى المطبق أصبح اليهود يقرضون يهوداً بفائدة منتظمـة قدرهـا 24% (جاء ذلك فى البرديات المصرية عن ذلك العهد).

وعن الأدب فى مصر القديمة :

نجد أن المصريين قد وضعوا المؤلفات الأدبية البحتة منذ عـام 2000 ق.م وقبل ظهور الأدب العبرى الممثل فى المرويات التوراتية التى اختطـها (عَزْرا) بعد ذلك بأكثر من إثنى عشر قرنا . والأدب البابلى كان يترنح ولـم يقصد به شيئا أدبيا . وأهم أنواع الأدب المصرى القديم كان النـوع الغنـائى والعاطفى والقصص ثم الأدب العلمى والحكم والأمثال والتأملات . وإذا كانت إحدى الأمتين المصرية والبابلية أسبق من أختها وأقدم انتاجاً فإن ذلك لا يعنى أن إحداهما قد أخذت عن الأخرى أو تأثرت بها فقد كان لكل منها اسـتقلالا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يخضع للمؤثرات المختلفة مثل البيئة والاستعداد الفطرى والدين والحضارة . ومهما بلغ المدى الذى فاقت فيها بابل مصر فى القصة عامة فإن الأسبقية لمصر فى اختراع الأقصوصة وصياغتها صياغة فنية ممتعة وتحليلها تحليلا نفسيا مناسبا (أخذ الأدبُ اليونانىُ أى الإغريقىُ الآداب الحديثة عنها) وفى الأدب الغنائى كانت مصر وبابل كغصنى شجرة واحدة وبرغم انتاج بابل الكبير فإن الانتاج المصرى كان يتميز بالقوة والعذوبة مع الأخذ فى الاعتبار أن هناك الكثير من الأدب المصرى لم يكشف عنه الحجاب بعد.فالكثير من النقوش والنصوص مازالت تحت الثرى . أما الأدب العبرى والقصصى والغنائى فلا يستطيع أن يتفوق عليهما (البابلى والمصرى) والأدب التعليمى والتأملى (الأمثال والحِكَم) هو وحى مصرى خالص وكان ذلك نواة لأمثال سليمان وحِكَمه فيما بعد . أما جمال الأسلوب وعذوبة الكلمات فالسبق والرجح والتفوق للأدب المصرى القديم مثالا لذلك قصة (**الفلاح الفصيح**) التى كُتبت قبل 2000 ق.م فهى سلسة من الأفكار السامية عن العدالة وحقوق الإنسان صيغت ببلاغة وأداء رائع فى الأسلوب العذب (افتقدها الأدب البابلى) . وقد بدأ الفساد فى ذلك الأسلوب الجميل يدب فى الأدب المصرى منذ الدولة الوسطى حيث بدت الكلفة والصنعة والزخرفة اللفظية دون الاهتمام بالمعانى السامية (يُرى ذلك واضحاً فى قصة سنوهيت) ولا يمنع هذا من أن نلمح قطع فنية راقية من وقت لآخر ولكنها قليلة (قصة الأخوين ، وقصة الملك خوفو والسحرة وغيرهما كانت بمثابة قصص بسيطة بعكس قصة سنوهيت وقصة نامون اللتان تُعدّا من أجود القصص القصيرة وأكثرهما قِدَما) .

والأدب المصرى غذّى الأدب العبرى والأدب الإغريقى بما يلزم للنمو والارتقاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واستعراضا للأدب المصرى القديم يقسمه د. سليم حسن[38] إلى تقسيمات مختلفة متتبعا الآثار التى عثر عليها والدالة على وجود ما يمكن وصفه بالأدب :

أولا : الدولة القديمة :

***الأسرتان الأوليان (3200 – 3000 ق.م) :**

وهو عصر الاتحاد الأول (مينانعرمر) . لاتوجد آثار أدبية ذات قيمة غير وثيقة اللاهوت المصرى والفلسفة الدينية.

***الأسرة الثالثة (3000 – 2900 ق.م) :**

توجد كتابات فى العقائد الدينية خاصة فى عهد الملك (زوسر) بانى الهرم المدرج بسقارة .

***الأسرة الرابعة (2900 – 2750 ق.م) :**

وهو **عصر الأهرامات** . لا توجد كتابات أدبية خاصة وإنما نقوش دينية .

***الأسرة الخامسة (2750– 2625 ق.م) :**

كان عهداً ذهبياً فى الأدب والفن والفلسفة الدينية . وظهرت كتابات عن الأخلاق والسير القويم والمواعظ الحسنة (**نصائح بتاح حتب**) كما وجدت وثيقة منقوشة على جدران هرم الملك (وناس) .

***الأسرة السادسة (2625–2475 ق.م) :**

وفيها ظهرت كتب جديدة فى النصائح . وتوسعوا فى فتوح البلدان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

***الأسرتان السابعة والثامنة (2475 -2445 ق.م):**

كان عصر فوضى واضطرابات وفساد . وتمزقت فيها أوصال الدولة ووحدتها .

ثانيا : العصر الأهناسى :

***الأسرتان التاسعة والعاشرة (2445-2160ق.م) :**

وفيه ظل تفكك البلاد موجوداً إلى أن أسس (خيتى) مملكة مصرية فى أهناس (بالفيوم) وعادت حرارة الحياة مرة أخرى تدريجيا .

***الأسرة الحادية عشرة (2160-1995ق.م) :**

عادت وحدة البلاد وظهر نوع من الأدب الراقى (نتج عن الرجّات السياسية والحروب القاسية) وكانت الكتابات تدعوا إلى اصلاح حال البلاد الاجتماعى فى ظل حكومة عادلة .

ثالثا : الدولة الوسطى :

***الأسرة الثانية عشرة (1995 - 1790 ق.م) :**

وفيها امتدت رقعة البلاد مرة أخرى بالفتوحات والهيمنة على البلاد المجاورة ويعزى إلى (أمينمحات الثالث) تحويل الفيوم إلى أرض زراعية منتجة وزاد الاصلاح والتعمير ويعتبر عصر تلك الأسرة **بالعصر الذهبى** للأدب (العهد الكلاسيكى) فظهرت القصص والأناشيد والتأملات (الأمثال).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

***عهد الهكسوس (1790–1580ق.م) :**

وهو العهد الذى استمر حوالى قرنين من الزمان . وقد تمكن (كاموس) ثم (أحمس) عام 1580 ق.م من طرد الهكسوس من البلاد وبناء دولة فتية جديدة .

رابعا : الدولة الحديثة :

وفيها ظهر تأثير الآداب المصرية والحضارة المصرية فى الشعوب التى أعاد فتحها (أحمس) عند مطاردته للهكسوس وكان عصر ثقافة واسعة ومجد سياسى . وكان الغناء الرائع والغزل الطريف من سمات ذلك العصر .

***الأسرة الثامنة عشرة (1580 – 1350 ق.م) :**

وفيه اتسعت رقعة المملكة (عهد تحتمس الأول وحفيده تحتمس الثالث). ويتميز هذا العصر بمحاكاة الأدب للطبيعة وغلبت اللغة العامية على الكلاسيكية القديمة . وكانت فيه **فلسفة عقيدة التوحيد** (إخناتون) .

***الأسرة التاسعة عشرة (1350–1200 ق.م) :**

وفيها حارب (سيتى الأول) ومن بعده ابنه (رعمسيس الثانى) بدو فلسطين ودولة خيتا (الحيثيين) وخلد انتصاراته فى صورة قصائد نُقشت على جدران المعابد. وفى عهد ابنه (مرنبتاح) قامت الحروب مع اللوبيين وغيرهم وسجلت لوحة أدبية هامة (**لوحة بنى إسرائيل**) التى عُثر عليها فى تل العمارنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

***الأسرة العشرون (1200 -1090ق.م) :**

وُجدت آثار مختلفة فى عهد (رعمسيس الثالث) ووثائق كتبت علـــى البردى .

***الأسرة الحادية والعشرون (1090-945 ق.م) :**

وفيها تفككت المملكة مرة أخرى . فأسس رئيس الكهنة (حرحـــور) أسرة جديدة . ونجد فيها (**نصائح أمينموبى**) لإبنه فى طيبة . وأمراء أسسوا ملْكاً لهم فى مدن أخرى مثل تانيس .

***الأسرة الثانية والعشرون (945-745 ق.م) :**

ومؤسسها (شيشنق الأول) الأمير اللوبي الذي توج نفسه ملكا علـــى البلاد وتلا ذلك الفتح الأثيوبي (الكوشيين) لمصر عام 712 ق.م . وبعـــده الفتح الآشورى عام 670 ق.م ثم جاء (أبسماتك الأول) مخلِّص البلاد مـــن المستعمرين (663-525 ق.م) وهبت نسمات إصلاحيـــة لإحيـــاء العلـــوم والفنون القديمة ولكن ما لبث أن غزا الفرس البلاد عـــام 525 ق.م ثـــم جـــاء الاسكندر الأكبر ليغزو البلاد ويطرد الفرس عام 332 ق.م.

والكنعانيون والعبرانيون تأثروا بالناحية الأدبية المصرية وكذا الناحية الفنية وكان ذلك جلياً في أناشيد الإنشاد والمزامير (حِكَم داود) . **وقد توصل المصريون القدماء إلى أعلى شكل للكتابة وهو الحروف الأبجدية** . وكـــان استخدام الحروف عوضاً عن المعانى التى لايمكن تصويرها برســـوم معينـــة وكانت كتابات المصريين القدماء بالمداد الأسود على أوراق البردى وأيضـــا على الخزف والحجر الجيرى الناعم . ونلاحظ أن معظم القصص المصريـــة القديمة قد نُقلت بصورة أو بأخرى فى الأدب العالمى الجديـــد (فـــى أوروبـــا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والحبشة والهند ..) وأيضا القديم فنجد فى (سِفْر الأمثال) العبرى ما يشـــابه تعاليم (أمينموبى) مشابهة قوية فى الأفكار والأساليب فعلى ســـبيل المثـــال نجـــد:

*فى تعاليم أمينموبى[39] :

لاتتكلمن مع إنسان كذبا فذلك ما يمقته الله .

*وفى سِفْر الأمثال[40] :

شفتا الزور رجس عند الرب .

*وفى تعاليم أمينموبى[41] :

لاتسخرنّ من أعمى ولا تهزأنّ من قزم ولا تفسدنّ مقاصد رجل أعـــرج ولا تحفظنّ رجلاً فى يد الله .

*وفى سِفْر الأمثال[42] :

المستهزئ بالمعوز يعيِّر صانعه والشامت للعطب لا يتزكى .

*فى تعاليم أمينموبى[43]:

احذر أن تسلب فقيراً معدما وأن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح .

*وفى سِفْر الأمثال [44] :

لا تسلب الفقير لكونه فقيراً ولا تسحق البائس عند الباب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*وفى تعاليم أمينموبى[45]:

*لاتزحزحن الحد الفاصل بين الحقول ولا تحولن موقع خيط القياس ولا تطمعن فى ذراع واحد من الأرض ولا تقذفن بحدود الأرملة (أى لا تعتدى على حدودها) ، احترس أن تغير حدود الأرض المنزرعة .

*وفى سِفْر الأمثال[46] :

لاتزح الحدود القديمة ولا تدخل حقول الأيتام .

*فى تعاليم أمينموبى[47]:

حرّك الدفة حتى يمكن الرجل الخبيث أن يعبر إلينا . لأننا لا نرتكب ما ارتكبه. ارفعه ومد يدك له . وأسلمه إلى ذراعى الإله . واملأ جوفه بخبزك حتى يشبع ويعى .

*وفى سفر الأمثال [48] :

إن جاع مبغضك فأطعمه خبزاً وإن عطش فأسقه ماءً .

مماسبق نرى إلى أى حد تأثر الأدب العبرانى من كتابات حكماء القدماء المصريين التى تسبقه بعدة قرون .

والأناشيد الدينية التى كُتبت فى عهد (إخناتون) تمدح إله الشمس الجديد . جاء فيها :

*أنت خالق الجرثومة فى المرأة
والذى يذرأ من البذرة أناسا .
وجاعل الولد يعيش فى بطن أمه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مهدِّئا إياه حتى لا يبكى
ومرضعا إياه حتى فى الرحم .
وأنت معطى النَفَس حتىٰ تحفظ الحياة على كل إنسان خلقته
حينما ينزل من الرحم (أمه) فى يوم ولادته .
وأنت تفتح فمه تماما
تمنحه ضروريات الحياة

* * *

ما أكثر أعمالك
وهى على الناس خافية
يا أيها الإله الأحد
الذى لايوجد بجانبه شأن (لأحد)
لقد خلقت الأرض حسب رغبتك
وحينما كنت وحيدا (لاشىء غيرك)
خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان
وجميع ما على الأرض
مما يمشى على رجليه
ومافى عليين يطير بأجنحته

*وفى المزامير[49] نجد :

ما أعظم أعمالك يارب
كلها بحكمة صُنعت
ملآنة الأرض من غناك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعن الأغانى الغزلية هناك العديد من الكتابات القديمة التى وصلتنـــا وكان المقصود (كما صور ذلك فى النقـــوش) أن تغنّـــى تلـــك الأشـــعار بمصاحبـــة العود (الهارْب) والقيثارة كما ظهر ذلك على جدران مقابر طيبة . وأيضا قصائد المديح للملوك تشير إلى ما أتوه مـــن ضـــروب الشـــجاعة وجلائل الأعمال **وتعتبر المدائح المصرية القديمة والأناشيد الاجتماعية التى تتحدث عن الأخلاق والصفات الحميدة وغيرها تسبق ماجاء فـــى الأغـــانى العبرانية بقرون طويلة .**

(كتاب صموئل الثانى : الفصل الأول على سبيل المثال) .

وملحمة قادش (المسماة خطأ بقصيدة بنتاور) إحدى الأمثلة الرائعـــة لأدب المديح وكذلك قصيدة انتصار مرنبتاح (المســـماة بلوحـــة إســـرائيل) وكلتاهما - كلتا القصيدتين - تزخران بالاســـتعارات والتشـــبيهات المختـــارة ووصفاً للنصر العظيم والفخار لما أحـــرزاه الملكـــان (رعمســـيس الثـــانى ومرنبتاح) على الأعداء . **والأدب المصرى القديم هو الأساس والمنهل الذى أخذت منه الآداب العبرانية والأوروبية وغيرها بعد ذلك بقرون طويلة .** وإذا كانت الحضارة الأوروبية يقال أنها أخذت عن العبرانيين ففـــى الحقيقـــة أن الحضارة الأوروبية ما أخذت إلا عن الحضارة المصريـــة القديمـــة لا عـــن غيرها (سواء العبرانيين أو الحضارة الصينية أو الهندية أو حتى الإغريقية) فحِكَم (أمينموبى) - كما تقدم - تسبق التوراة بقرون طويلة . ويُرجَّح أنـــها تُرجمتْ إلى العربية فى الأزمان الغابرة وبذيوعها فـــى فلســـطين صـــارت مصدراً اُستقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال فى التوراة .

ويؤكد (**د. جيمس هنرى برستيد**)[50] أن الانسان قد سما إلى تصور خلقى عالٍ قبل أن تظهر الأمة العبرانية إلى عالم الوجود بألفي عام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والمجتمع المصرى القديم أثرت فيه ظاهرتين عظيمتين طبيعيتين هما :

الشمس والنيل . (الخضرة التى تُروى من مائه) . وقد تصور المصريون القدامى أن لهاتين الظاهرتين إلهين كان لهما السيطرة على التطور الدينى والعقلى منذ أقدم العهود. وهما (رع) إله الشمس و (أوزير) إله الخضرة . و (رع) أى الشمس المجسمة جعلوا مقره (أون) أى هليوبوليس أو عين شمس الحالية حيث حل محله إله شمس قديم يدعى (آتون)ورمزوا له بـ(الصقر) فى إدفو . وكان إله الشمس بصفته صقراً يُسمى (حور) أو (حوريس) أو حور أختى أى حور الأفق (رع أتوم) . **واُعتبر إله الشمس أنه منبع الخير والحياة . ومن أجل ذلك أصبح قرص الشمس ذو الجناحين المنشورين أعم رمز فى الديانة المصرية القديمة** (فى الأدب العبرانى [51] هناك جناح الصباح وشمس العدالة التى تحمل الشفاء فى جناحيها) وكان إله الشمس حليفا للفرعون وحامياً له . وتقول (متون الأهرام) عنه أنه مكّن للفرعون مصر السفلى (الوجه البحرى) وكذلك مصر العليا (الوجه القبلى) وهدم له معاقل آسيا . وهو أول إله خُلُقى عادل عرفه التاريخ .

وفى منف يقوم (بتاح) بدور إله الشمس القديم (رع أتوم) الذى تحول إلى قاضٍ يحكم شئون البشر . والإله المحلى (بتاح) هو المسيطر على أصحاب الحرف والصناعات . وبذا **أصبح (بتاح) العظيم هو قلب كل الآلهة ولسانهم . أى انتحل لنفسه وظائف إله الشمس (القلب هنا بمعنى العقل أو الفهم والادراك أما اللسان فهو رمز النطق وأداة التعبير عن أفكار العقل وأوامره)** . وهذا التعبير الخارق للمألوف فى ذلك الزمان القديم هو نفس ما توصل إليه العلم الآن.وحقيقة الموت تركت تأثيراً عميقا فى كل من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللاهوت الشمسى واللاهوت الأوزيرى (الخير والخضرة) . ولايوجد شعب قديم أو حديث احتلت فى نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التى احتلها فى نفس الشعب المصرى القديم و (أوزير) يعتبر (ملك الأموات) دون غيرهم أما (رع) فإنه صاحب قوة عظيمة فى شئون عالم الأحياء (مع أنه كان كثيراً ما يشفع للموتى) . **وتوجد عندنا الأدلة القاطعة على أن أقدم المبادئ الخُلُقية عند قدماء المصريين أخذت دورها فى النمو وهى مقرونة بإله الشمس (رع) لا بالإله (أو زير)** لأن نصائح (بتاح حتب) تقول بجلاء أن إله الشمس هو خالقها (أى خالق العدالة أى ماعت) أما (أوزير) فقد ظهر بعد ذلك العهد بألف عام قاضيا خُلُقياً فى الحياة الآخرة . **وبذلك بزغ الفجر عقيدة خلود الروح لأول مرة على عقول البشر باعتبار الأبدية أمراً يحصل عليه الإنسان بالروح لا بالجسد . واعتبر ملك ذلك الإله (رع) عالما خَلُقيا عظيماً يتولى الملك (الفرعون) فى الأرض إدارته وتدبير أموره نائباً عن الإله لفائدة الأمة المصرية .**

والعدل عندما يكون مطبَّقا (قائما) يكون حقيقة عدلا لأن العدالة (ماعت) أبدية ؛ فهى تنزل مع من يقيمها إلى القبر عندما يوضع فى تابوته . ويثوى على الأديم وإسمه لا يُمحى من الأرض بل يُذكر بسبب عدله . وهكذا تكون استقامة كلمة الله . وكان على الوزير أن يقيم العدل لأن الإله الأعظم الذى يشرف على الدولة يمقت الظلم وليس ذلك اتباعا لأمر الملك فقط (**بعد ذلك بحوالى ثلاثة عشر قرنا من حكم إله الشمس رع نجد أن أنبياء بنى إسرائيل يعلنون بقوة سيادة يَهْوَه الخُلُقية على سيادة الملك عندهم**) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعصر الذى ظهرت فيه (**متون التوابيت**) يوافق عصر أبى الأنبياء (إبراهيم) (عليه السلام) 1800 ق.م . وهو عصر انتشرت فيه - فى مصر - الرقى بالسحر والتعاويذ والسحرية لمواجهة المصير فى الحياة الدنيا وفى الآخرة (درءاً للأخطاء فى الحياة الدنيا وحجباً لعذاب الآخرة ومنعه).

وفى وصية الملك المسن إلى ابنه (**مريكارع**) يقول :

لاتركننّ إلى طول الأيام لأنهم (يعنى قضاة أو ملائكة الآخرة) ينظرون إلى مدى حياة الإنسان كأنها ساعة واحدة (كناية عن قصر عمر الإنسان فى الدنيا عن حياته الأبدية فى الآخرة) . والإنسان يعيش بعد الموت وأعماله تكون بجانبه كالجبال لأن الحياة الأخرى أبدية ولا يهمل أمرها إلا الغبى.أما من يصل إليها دون أن يرتكب إثما فإنه سيبقى هناك كإله يسير بخطى واسعة مثل أرباب الخلود (يعنى الأموات البررة الأطهار) .

وفى عصر الدولة الحديثة (1600 ق.م) وبعد بعثة إبراهيم (عليه السلام) نجد أن الأدلة تكشف لنا عن التطور الخُلُقى وتطور التفكير وعمقه . وأصبح من نتيجة ذلك أن صار المفكرون من المصريون القدماء وقتئذ يرون **أن المسئولية الخُلُقية لكل إنسان (قول الصدق والحقيقة والتحلى بالفضائل) مترتبة بصفة قاطعة على إدراكه وفهمه الشخصي . أى أن المسئولية شخصية وليست جماعية (الحساب فى الآخرة فردى) وعليه فقد أصبح القلب (خلال القرن الخامس عشر ق.م) الذى يُنعت بالمرشد الحكيم قد صار يوصف بأنه الوازع الباطني (إله المرء) أى الضمير الحى اليقظ .**

وقد برزت فكرة (**العقيدة الحلولية القومية**) التى تقول بأن الإله يحل فى كل شىء . ولذا فقد كان الملك (الفرعون) هو ظل الإله (المحلى) على الأرض وكان يتصرف وكأنه إله يدرك مطالب شعبه فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصر . وتطورت تلك الفكرة ليصبح الإله عالميا (فى الدولة الحديثة 1600 ق.م) فعلى يد (**تحتمس الثالث**) **أصبح الملك الإله (عالميا)** يبسط سيطرته وهيمنته على أرجاء الأرض . (غزا تحتمس الثالث ممالك آسيا وأفريقيا وكون أول امبراطورية ثابتة الأركان فى التاريخ) وقد سبقه (**تحتمس الأول) حيث قال أن ملكه يمتد إلى نهاية ما تحيط به الشمس** . وقد قال (تحتمس الثالث) عن إله الشمس :

إنه يرى جميع العالم فى كل ساعة .

ومن بعده جاء (أمنحتب الثالث) الذى حكم 1411 - 1375 ق.م (قبل بعثة موسى) وهو الذى شيد الكثير من المعابد والعمائر وكتبت فى عهده (**أنشودة الشمس**) التى جاء فيها :

إنك صانع . مصور لأعضائك بنفسك
ومصوِّر دون أن تُصوَّر
منقطع القرين فى صفاته . مخترق الأبدية .
مرشد الملايين إلى السُبُل .

* * *

أنت خالق الكل ومانحهم قوتهم
أنت أم نافعة للآلهة والبشر
وأنت صانع مجرب
وراعٍ شجاع يسوق ماشيته
وأنت ملجؤها ومانحها قوتها ..
.. هو الذى يرى ما خلق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والسيد الأحد الذى يأخذ جميع الأراضى أسرى كل يوم بصفته واحداً يشـــاهد من يمشون عليها .
وهو يخلق الفصول والشهور .

* * *

وتلك الصفات الواردة لإله الشمس فى الأنشودة تذكرنا وترجع بنا إلى عهد النصائح التى وجهت إلى (مريكارع) وهى التـــى سُـمِّيت فيـــه النـــاس (قطعـــان الإله) كما ترجع بنا أيضا إلى أفكار (أبيور) حيث يقول (إنـــــه راعٍ لجميع الناس).

وقد أخذ (أمنحتب الرابع) أى (**إخناتون**) 1370ق.م فى بـــــاكورة حكمه يناصر فى حماسه فكرة جديدة للمذهب الشمسى وأعطى إلـــه الشـــمس إسما جديداً خلّص به المذهب الجديد من التقاليد المحفوفة بخطر الشرك فـــــى اللاهوت الشمسى القديم (آمون - رع) فصار إله الشمس يسمى (آتون) وهو إسم قديم يطلق على الشمس المجسمة . ومنحه الملك الشاب (إخناتون) رمزاً جديداً (قرص الشمس تخرج منه أشعة متفرقة إلى أسفل وفـــى نهايـــة كـــل شعـــاع صورة يد بشرية) وهو رمز يشعر بالسيادة ويدل علـــــى الســـيطرة القوية الخارجة من منبعها السماوى وهى تضع أيديها فوق العالم وعلى شئون البشر الأرضية (السيطرة العالمية) وأُلفت أناشـــيد لإلـــه الشـــمس الجديـــد وبمقارنتها بماجاء فى المزامير نكـــاد نـــرى تطابقـــا (راجـــع الصفحـــات السابقـــــــة) . ويلاحظ أن الإله (أوزير) قد تجوهل كلية فلم يُذكر فى كـــل الوثائق الإخناتونية بل ولا فى أى قبر من قبور (تل العمارنة) عاصمة الملك الجديد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونلاحظ ثمة تشابه فى شخصية (إخناتون) والسيد (المسيح) فقد كان (إخناتون) رسولا لكل من عالمى الطبيعة والحياة الانسانية[52] . وإذا كنا لم نسمع عن (حساب الآخرة) فى مقابر (تل العمارنة) فمن الواضح أن ذلك إنما يرجع إلى نبذ سحابة الآلهة وأنصاف الآلهة وعلى رأسهم (أوزير) ممن كانوا يؤلفون هيئة المحاكمة فى حساب الآخرة بشكلها الموضح فى (**كتاب الموتى**) الفرعونى . فأولئك الآلهة قد بادوا وبالتالى اختفى منظر المحاكمة التمثيلى باختفائهم .

وبعد عصر (إخناتون) فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ق.م انبثق فجر عصر (**التقوى الانفرادية**) والإلهام الباطنى الذى يناجى به المرء ربه **وتلك أول مرة نجد فيها أن (الضمير) قد تحرر تماما فيعتذر المذنب ويندم على جهله وارتكابه المعاصى . والاعتراف بالذنب هنا يختلف تماما عن الاعتراف الذى ورد فى (كتاب الموتى) حيث كانت الروح لا تعترف فيه بأى خطيئة بل تدعى البراءة التامة .**

ومن الملاحظ أن التطور الخُلُقى عند قدماء المصريين - كسائر عناصر ثقافتهم - قد وقف وانتهى أمره تقريبا قبل بداية الحياة القومية العبرانية بعد أن سار فى تدرجه حوالى خمسة وعشرين قرنا (3500 -1100 ق.م) .

ويقول (ج .بريستيد)[53] أن الفلسطينيين (الكنعانيين) لم يأخذوا عن البابليين شيئا يذكر من معتقداتهم وآرائهم الدينية سوى ما يتعلق بالأوضاع الظاهرية والشعائر المرعية . أما العقائد الجوهرية المكونة لأركان الدين فلم يكن الأخذ عنها بمثل هذه السهولة . فقد تصور البابليون الأوائل آلهتهم ممثلة فى القوى الطبيعية (هم فى ذلك مثل المصريين القدماء) فكانت أقدم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

معبوداتهم من آلهة الطبيعة مثل الإله (سن) إله القمر فى العاصمة (أور) وهناك من الأناشيد التى يرددها ويؤلفها الكهنة فى بابل مايماثل ماكان موجوداً بمصر القديمة. وتلك الأناشيد تذكرنا (بالمزامير العبرانية) رغم أنها تسبق تلك المزامير بقرون طويلة . والذى يلفت النظر لتلك الحالة (فى معانى وألفاظ الأناشيد وفنون النحت) **هو عدم معرفتهم شيئا عن المحاكمة فى عالم الآخرة فيما بعد الموت .**

وقد لاحظ (فسترمارك) أنه لايوجد فى أى (مزمور) بابلى معروف لنا من التى وضعت للتوبة أية دلالة على أن فكرة الخطيئة فيها تشمل الذنوب التى تُرتكب ضد البشر . **فقد كان شعور البابليين أن الذنوب لم تكن إلا مجرد تعد ظاهرى على حقوق الإله .** وإذا ما نظرنا إلى **(قانون حمورابى)** الشهير نرى أن الجرائم والأحكام الواردة فيه كانت متدرجة حسب الدرجات الاجتماعية التى يشغلها المتقاضون أو المذنبون . فكان الرجل صاحب المنزلة السامية ينال فيه رعاية ظاهرية أكثر من الرجل الوضيع الأصل . **وهذا يختلف تماما عن المحاكمات التى كانت فى مصر القديمة** حيث كان الحكماء ووجهاء القوم يكررون دائما ذكر عدم اكتراثهم للفوارق الاجتماعية بين طبقات الناس . فالكل **سواسية أمام القانون** . وكان هذا المبدأ من صلب دستور الدولة المصرية القديمة **بعكس الحال عند البابليين حيث انتفت العدالة الاجتماعية** ولذا لم تسهم مدنيتهم مساهمة جوهرية فى تاريخ آسيا الغربية الخُلُقى . **وفى المملكة الخيتية (الجيثيين بتركيا) جعلوا العقوبات القانونية متدرجة حسب المركز السياسى و (الاجتماعى) الذى يشغله المذنب** وكانت وطأة العقاب تُخفَّف إذا كان المجرم من أهل البيئة المحلية عن العقاب الذى يزداد إذا كان المجرم من رعايا الحكومات المجاورة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد اتصل (العبرانيون) خلال أسرهم البابلى (وهم فى مرحلة متأخرة من مراحل تقدمهم الدينى) اتصالا وثيقا بالمدنية الفارسية ووقفوا على الكثير من ديانة (زروستر) **ومذهب (زروستر) هذا مذهب مزدوج يدعو** كل إنسان أن يقف إلى جانب قوة من اثنتين : فإما أن يملأ روحه بالخير والنور وإما أن يخلد إلى الشر والظلمة.وأية طريقة يسلكها الإنسان لابد وأن ينتظر بعد موته حسابا عنها فى عالم الآخرة. **وقد وجدت نظرية قوية وأدلة تقول أن (زروستر) قد أخذ الكثير من ديانته عن الديانة المصرية القديمة**[54] . ولدينا الأدلة الوافرة الآن على أن التطور الدينى الذى أحرزه العبرانيون بعد عودتهم من المنفى (فى بابل) كان متأثرا بتعاليم (زروستر) الذى أخذ عن المصريين القدماء . وفلسطين الكنعانية كانت تحت النفوذ المصرى القديم وقبل أن يطأ العبرانيون فلسطين بأكثر من ألفى سنة . وتلك المدنية التى أخذها الكنعانيون والفينيقيون (عن الحضارة المصرية والبابلية) أثرت بدورها فى حياة العبرانيين . واتخذ العبرانيون الفاتحون اللغة الكنعانية لغة لهم .

ومن الحقائق المدهشة - كمايقول (بريستيد)[55] **- أن يكون الإرث الخلقى لليهود (المرويات التوراتية المأخوذة عن مصر وبابل) قد وصل إلى المدنية الغربية من شعب خامل الذكر سياسيا ومنزوٍ فى الركن الجنوبى الشرقى من حوض البحر المتوسط . فهذا الشعب لم يقم له نظام قومي خاص به إلا منذ عام 1020 ق.م ولم يبق أمة موحدة إلا نحوقرن واحد . واستمرت حياة جزء منهم إلى القرن السادس (722 ق.م السَبْى الآشورى ، 586 ق.م . السَبْى البابلى) أى حوالى أربعة قرون .ويعتقد (بريستيد)** [56] أن قصة (يوسف) المروية فى الأدب العبرانى تحاكى القصة المصرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القديمة المعروفة بـ (**قصة الأخوين**) أنوبيس وباتا. وقصة يوسف تلك تعتبر برهانا قاطعا على أن الإسرائيليين فى القرن الثامن ق.م كانوا قد دخلوا فى عصر الأخلاق فعلا.

ولابد أن تعاليم الحكماء المصريين القدماء الاجتماعية كانت قد كونت جزءاً من التقاليد الدينية لدى الفينيقيين والكنعانيين وبقيت بينهم عدة قرون قبل أن تظهر (المسألة الاجتماعية) وتشحذ عواطف الرجال ذوى الشعور الخلقى الحي من العبرانيين أمثال (عاموس) و (هوشع) فى خلال القرن الثامن ق.م [57] وقد تأثر الأنبياء العبرانيون أيما تأثر بالمقابلة بين الرجل المستقيم والرجل الخبيث كما صورتها كتابات الحكيم (أمينموبى) حيث اقتبس (كاتب سفر إرميا) تلك الصورة كما يلى[58] :

*يقول أمينموبى[59] :

والرجل الأحمق الذى يخدم فى المعبد مثله كمثل شجرة نامية فى غابة ففى لحظة يفقد فروعه ويجد نهايتها فى مرفأ الخشب وينتقل بعيداً عن مكانه والنار مأواه ، والرجل الحازم حقا ينتقى لنفسه مكانا .

فإنه مثل شجرة نامية فى حديقة يزدهر ويتضاعف ثمره ويجلس فى حضرة سيده ، وثمرته حلوة ، وظله وارف ويجد آخرته فى الحديقة .

*ويقول النبى (إرميا) [60] :

ملعون ذلك الرجل الذى يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه . وعن الرب يَهْوَه يحيد قلبه ويكون مثل العرعر فى البادية ولا يرى إذا جاء الخير . بل يسكن الحرة فى البرية أرضاً سبخة غير مسكونة . ومبارك ذلك الرجل الذى يتكل على الرب يَهْوَه وكان الرب متكله فإنه يكون كشجرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مغروسة على مياه وعلى نهر تمد أصولها ولا تخشى إذا جاء الحر . ويكـون ورقها أخضر . وفى سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار .

*وتعنى المزمور الأول[61] :

1-طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . وفى طريق الخطاة لـــم يقف وفى مجلس المستهزئين لم يجلس .

2-لكن فى ناموس الرب يهوه مسرته . وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا .

3-فيكون كشجرة مغروسة عند مجارى المياه التى تعطى ثمرها فى أوانـــه . وورقها لايذبل وكل ما يصنعه ينجح .

4-ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافة التى تذروها الرياح .

5-لذلك لاتقوم الأشرار فى الحساب ولا الخطاة فى جماعة الأبرار .

ونلاحظ أن فكرة الحساب لم ترد فى سفر المزامير كله إلا هذه المرة. وكذلك نلاحظ أن توكيد ذكر مجارى المياه فى الصور العبرانية أمر هام أيضا لأن النصف الجنوبى من فلسطين (مملكة يهودا) شبه صحراوى (ومـــازال إلى الآن).

وقد اكتشف الباحث (**جوجرسمان**) أن هناك تشابه تام بين ماجاء فى (**أنشودة إخناتون**) وبين ماجاء فى المزمور 104 حيث نرى وندرك رحمـــة الله ورأفته بخلقه أجمعين . تلك الطيبة والشفقة الإلهية المعـــبر عنـــها فـــى الأنشودة الإخناتونية (**عصر التنسك الشخصى فى مصر**) وهى التى كان لـــها التأثير الهام فى ظهور (**التدين الشخصى**) عند العبرانيين (بعد ذلك) . كمـا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن تلك الأنشودة (المكتوبة فى منتصف القـــرن الرابـــع عشـــر ق.م) أدت تدريجيا إلى اعتراف العبرانيين بالواحدانية .

وكذلك نرى أن محتويات الجزء الذى يؤلف نحو فصل ونصف فصـل من (سِفْر الأمثال) العبرانى مأخوذ حرفياً عـــن حكـم الحكيـم المصـــرى (**أمينموبى**) بالاضافة إلى ما أخذته (القوانين العبرانية) وسِفْر (أيـــوب) و (شاؤل) و (إرميا) أيضا . ولا يخفى على المدقـــق أن (أمينموبَـــى) قـــد أعتمـــد على حِكَم (بتاح حُتَبْ) الذى يسبقه بحوالى ألفي عـــام فـــى تأليفـــه كتابـــه المكون من ثلاثين فصلا . وتلك الأخيرة هى التـــى انتشـــرت فـــى فلسطين وكانت تسمى باسم (**ثلاثون فصلا فى الحكمة**) ثم أصبـــح يطلـــق عليها (**الثلاثون**) .

ويمكن الرجوع إلى الأسفار المذكورة لتبين مدى التطابق والتشابه مـــع الأخذ فى الاعتبار أن هناك تعديلات طفيفـــة تمـــت لتتناســـب مـــع البيئـــة الفلسطينيـــة. فعلى سبيل المثال يوصَف الرجل الغنى فى حِكَم (أمينموبـــى) وله أجنحة الأوز (المنتشر فى مصر) . وفى (سِفْر الأمثال) نجـــد لـــه أجنحة النسر وهكذا .. فالحكماء والأنبياء العبرانيين (كتبة الأسفار) كـــانوا ينتخبون المختارات ويقتبسون الاقتباسات من حِكـــم (أمينموبـــى) لأن مـــن الطبيعى أن يتأثر العبرانيون فى فلسطين كل التأثر فى أفكـــارهم وكتاباتـــهم بآداب مصر القديمة التى قبضت على زمام فلسطين ووضعتها تحت سيطرتها الثقافية والسياسية مدة تفوق مدة نفوذ رومـــا فـــى بـــلاد فرنســـا القديمـــة . **فالإسرائيليون بعد استيطانهم فلسطين كانوا فى الواقع يسكنون أرضاً مـــن الأملاك المصرية مضت عليها فى هذه الحال قرون بأكملها وقـــد اســـتمرت بلاداً مصرية عدة قرون بعد استيطان العبرانيين لها.**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويؤكد (فرانسوا دوما)[62] على عدة نقاط هامة :

*تركت مصر أثراً عميقا فى فكر الكتاب المقدس أخلاقيا وميتافيزيقيا .

*لم تعرف مصر هذه الجموع الغفيرة من العبيد التى تلحق العار باليونان وروما (كان الرق فرديا وليس جماعيا) .

*تميز حكماء مصر بإنسانية بالغة وصلت إلى مستويات سامية من الأخلاق .

*عرف الفن المصرى القيود وكان يرى أن الحرية قد تقتل الفن .

*لم يترك المصرى القديم شيئا للصدفة (جهز سطح معبد دندرة فى الصعيد بالمزاريب رغم ندرة هطول الأمطار) .

* حسن رعاية الأجانب (النازحين والأسرى) .

*احتلال الكاتب مكانة مرموقة والتأكيد على ذاتية الفنان .

*مولد القصة السيكولوجية (مثل سنوهى الفلاح الفصيح) .

*شهدت مصر ظاهرات الرهبنة .

*لم تحاك مصر أحدا (كانت مبدعة وليست مقلدة) .

*الحضارة المصرية القديمة تحتفظ دائما بكل ماهو قديم إلى جانب الجديد .

*رسوخ الإيمان وعمقه الذى كان أهم أسباب بناء الحضارة المصرية القديمة لأن الخوف من العقاب أو الرغبة فى المكسب المادى فحسب لايبنيان حضارة.

*الكتابة على رأس الابتكارات العبقرية التى توصل إليها المصرى القديم .

*اللغة المصرية القديمة لهجة حامية سامية انفصلت فى وقت مبكر جدا عن الجذع المشترك للغات السامية والحامية والكوشية (النوبية-الأثيوبية) .

*اللغة العبرية شأنها شأن اللغة المصرية لم تكن تكتب فى الماضى إلا بالاستعانة بالعلامات الصوتية الساكنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول (إيمانويل فلايكوفسكى) [63] :

أنه لم يُعثر على أية وثائق مصرية قديمة تشير إلى أحداث الإقامة والخروج لبنى إسرائيل من مصر . ولم تذكر أيضا مصر فى قصص التوراة طوال فترة حكم القضاة اليهود بالرغم من الاحتكاك المستمر والمباشر بين مصر وفلسطين طوال فترة حكم الملوك اليهود حيث دأب فراعنة مصر على تسيير الحملات إلى فلسطين (وهى حملات نسى فراعنة مصر ذكرها فى آثارهم فيما بين القرن العاشر والسادس ق.م) ويتعجب فلايكوفسكى لذلك الأمر ويفترض لذلك أن زمن التيه فى صحراء سيناء قد يكون أكبر مما هو مذكور فى الكتب الدينية وأن فترة حكم القضاة فى فلسطين تختلف عما وصل إلينا . ولكنه يعود فيؤكد أن زمن الخروج من مصر تم فى فترة المملكة الفرعونية الحديثة (فيما بين القرن 16، 12 ق.م) ويسوق - لتأكيد كلامه عدة افتراضات :

*أقدم نظرية تنص على اقتران ظهور الإسرائيليين بظهور الهكسوس وتقرن الخروج بطرد الهكسوس من مصر . وقد سجل (مانيتون) المؤرخ المصرى أن الهكسوس بعد طردهم من مصر اتجهوا إلى سوريا وفلسطين وأنشأوا أورشليم .

*جادل (يوسيفوس) المؤرخ اليهودى المصرى كلاً من نظرية (آبيون) عالم النحو ونظرية (مانيتون) الكاهن المصرى إلا أنه فى النهاية قبل دعم نظرية أن اليهود هم الهكسوس .

*كتب (جوليوس) الكاهن الأفريقى بتفويض من الأب (آبيون) أن اليهود قد تمردوا تحت قيادة موسى (عليه السلام) على (أحمس الأول) ملك مصر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*كتب (إيزبيوس) وهو من رجال الكنيسة ناسباً وقوع الأحداث إلى عصر الملك (سنشيريس) من الأسرة الثامنة عشرة . ولا يُعرف ملك بهذا الإسم فى أى من العصور الفرعونية .

*تقول نظرية أخرى أن اليهود لم يقيموا أبدا فى مصر ولكن الهكسوس هم من أقاموا فيها . ثم تم طرد الهكسوس ووصلت إلى مسامع الإسرائيليين بعض تقاليد هذا الشعب فضموها إلى تراثهم وأصبحت جزءاً من ماضيهم .

*تفترض نظرية أخرى أن عام 1580 ق.م يُعد حدثا مبكراً بالنسبة للخروج اليهودى من مصر (الأسرة الثامنة عشرة) ولكن يمكن حدوثه فى فترة ما تلى (إخناتون) لأنه من المستحيل على الإسرائيليين دخول فلسطين فى عهد فراعنة أقوياء .

* اكتشاف رسائل (تل العمارنة) المكتوبة على ألواح من الطين يعود تاريخها إلى عهد (أمنحتب الثالث وابنه إخناتون) وهى مرسلة من أورشليم ويدور قلق كاتبها وهو يحذر الفرعون من غزو محتمل يقوم به اليهود (خابيرو) القادمون عبر الأردن وعليه يكون الخروج قد تم قبل زمن تلك الرسائل بجيل أو جيلين .

*الخروج فى عهد (أمنحتب الثانى) يبدو متوافقا مع التسلسل الزمنى الذى ورد فى التوراة (سِفْر الملوك 6 :1 يحدد أن معبد سليمان قد شيد بعد الخروج بأربعمائة وثمانين عاما وهو ما يوافق منتصف القرن الخامس عشر ق.م وهو عهد أمنحتب الثانى) وهو ما يوافق رسائل تل العمارنة . وأيضا حدوث زلزال فى التوقيت نفسه تسبب فى سقوط حائط مدينة أريحا (جيركو) يؤيده حفريات تبين فيها ظهور آثار دمار ونيران على حوائط المدينة (1407 ق.م) وهو نفس ما ذكرته التوارة فى السِفْر المذكور (سِفْر الملوك) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*غادر اليهود مصر أيام طرد الهكسوس ووصلوا فلسطين باسم العبرانيين فى عهد (إخناتون) ولكن ما بين الخروج ووصولهم إلى فلسطين هناك أكثر من مائتى عام (المعروض أنها توازى زمن التيه فى الصحراء) كما أن يشوع بن نون (يوشع) لم يجد أى أثر لقبضة مصر القوية حين غزا فلسطين .

*نظرية أخرى تفترض وقوع الخروج أثناء الفوضى التى أعقبت حكم (إخناتون) وادعى أحد المؤرخين أن (موسى) لم يكن إلا أميراً مصرياً وتلميذاً لاخناتون حمل لواء دعوته (التوحيد) بين العبيد والفقراء ثم غادر بمن آمن منهم مصر .

*نقوش الغطاء الحجرى لتابوت مرنبتاح كتب عليه أن فلسطين أرملة لمصر وأن بذرة إسرائيل قد محيت ودمرت وهو ما يُعد أول ذكر لإسم إسرائيل فى وثيقة مصرية . ولكن مرنبتاح هذا لم يهلك فى البحر ولم يعان من فوضى العنف فى عصره وهو من هزم الإسرائيليين (فى فلسطين) .

*كثير من الإسرائيليين رجحوا أن (مرنبتاح) هو فرعون الخروج (1220 ق.م) وأن (رعمسيس الثانى) هو الطاغية الذى استعبدهم ولكن وجود النقوش السابق الاشارة إليها يضعف ذلك الاحتمال . كماأنه فى هذه الحالة يصبح عصر الفضاة قرن واحد فقط لا عدة قرون (أربعة قرون) .

*افترض باحثون أخرون أن الخروج قد تم فى موجات متتالية فى عصر (مرنبتاح) وأنهم لم يظهروا بفلسطين إلا بعد غزو أقوام البحر (الفلست Sea peoples) لها حيث حاربهم (رعمسيس الثالث) 1186 ق.م بعد ذلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*ادعى أحد الباحثين أن الإسرائيليين دخلوا مصر فى عهد (مرنبتاح) بعكس ما يقال عن خروجهم فى ذلك العصر . أثناء ذلك قام الآسيويين بعبور الحدود إلى مصر وحصلوا على موافقة السلطات بقبولهم كمهاجرين .

وكما افترص (فلايكوفسكى) ماسبق . آثار التساؤلات مرة أخرى عن اسم البحر الذى حدث عنده العبور[64] . وهل هو يام سوف (البحر الأحمر) أو خليج السويس أم خليج العقبة أو بحيرة سيربونيس أو سيربون (بحيرة البردويل) أو أية بحيرة أخرى مثل بحيرة التمساح أو البحيرات المرة . ويطرح تفسيراً اخر وهو الإعصار الشديد (والرياح القوية التى تهب من المساء حتى الفجر وتدفع الماء إلى الانحسار) .

وعن موضوع (عمود النار والدخان) الذين ذكرا فى التوراة شكك (فلايكوفسكى)[65] من حدوثها ويعتبر ذلك مجرد إضافة من خيال الرواة الذين حكوا القصة ويعزو ذلك إلى حدوث بركان .

ويشير إلى نصوص (**بردية إيبوير**)[66] التى لا يعتبرها مجموعة من الأمثال (كما فسرها لاوث وشاباس) ولا ألغازا (كما فسرها بردجسن) ولا نبوءة (كما فسرها لا نج) ولا مجموعة نصائح صاحبها انهيارات اجتماعية (كما فسرها جاردنر وشيث) ولكنها - كما يعتقد - الرؤية المصرية لكارثة كبرى أو مجموعة كوارث متتالية (يفسرها بأنها الضربات المتلاحقة التى أنزلها الرب على مصر قبيل حادث الخروج) فالبردية مخطوط لمناحة ووصف لخراب ورعب،ولتأكيد استنتاجه يقارن ما جاء فى البردية وسِفْر الخروج فيقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*البرديـــــــة[67] : البلاء انتشر فى كل أنحاء البلاد والدماء فى كل مكان .

*سفْر الخروج[68] : وكان الدم فى كل أرض مصر .

*البرديـــــــة[69] : النهر دم .

*سِفْـر الخروج[70]: فتحول كل الماء الذى فى النهر دماً .

*البرديـــــــة[71]: مصر السفلى (الوجه البحرى) تنتحب . كل القصـــور الملكية بلاموارد القمح والشعير والأرز والسمك . كـانت الحقول مخربة تمـــاماً .

*سفْر الخـــروج [72]: لم يبق شيء أخضر فى الشجر ولا فى عشب الحقـــل فى كل أرض مصر .

*البرديـــــــة[73]: لم تكن الأرض نوراً .

*سفْر الخروج[74] : فكان ظلام دامس فى كل أرض مصر ثلاثة أيام .

*البرديـــــــة[75]:إن الفرعون فُقِدَ فى ظروف غير عادية وأن ذلك لم يحدث قط لأى فرعون آخر .

*سفْر الخروج[76] : فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون الذى دخل وراءه فى البحر ولم يبق منهم ولا واحد .

وبالرغم أن البردية المهترئة لم تحتو على أى ذكر للإسرائيليين صراحـــة أو حتى تلميحا ولم تشر إلى أى من قادتهم فإن ثلاثا مـــن الحقـــائق ظـــهرت بوضوح[77]:

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1-تمرد السكان .

2- فرار البؤساء والمساكين المسخرين للعبودية .

3-اختفاء الملك في ظروف غامضة .

وعن (**الهكسوس**) يقول (فلايكوفسكى) [78] :

اختلفت نظريات الباحثين في أصل الهكسوس فأكد بعضهم أنهم من (الميتانيين) الذين انحدروا عن الجنس الارى . وقال الآخرون أنهم (ساسانيون) من بلاد فارس . وافترض البعض أنهم الإسرائيليون وقيل أنهم من العرب .

ومن الملاحظ أن الكتب المقدسة لم تشر إليهم أو تذكرهم.ويقول (**المسعودى**) عنهم :

أنهم غزوا سوريا ومصر وأسسوا أسراً حاكمة من الفراعنة العماليق.

ويزعم (فلايكوفسكى)[79] في تفسير خاطىء لنقوش (لوحة كاريزفون) ونقوش أخرى على جدران مقبرة أحد ضباط (أحمس) وهو أمير مصرى وحاكم ولاية وتابع لملك الرعاة (الهكسوس) يدعى أنه في حرب التحرير ضد (آمو - الهكسوس) كان هناك جيش أجنبى يقاتل ضد الهكسوس (بالرغم أن النقوش لا تسجل أى مائر لملوك أجانب) ويقترح لذلك الملك اليهودى (شاؤل) . وأن الشرق الأدنى مدين لشاؤل (الذى قتل في تلك الحروب) لنيله حريته وتخلصه من نير عبودية الهكسوس ولولاه لما تغير مسار التاريخ هكذا.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويستمر فى ادعائه أن ميراث الامبراطورية الزائلة للعماليق (الهكسوس) قد انقسم بين المصريين والإسرائيليين حيث نهضت كل من مملكة يهوذا ومصر[80] ويفترض أن خروج الإسرائيليين - تبعا لذلك - كان فى أواخر المملكة المتوسطة . وأن الملكة (حتشبسوت) هى نفسها ملكة (سبأ) وأنها تنزامن وتعاصر حكم سليمان (عليه السلام) متخذاً ما جاء فى الأسفار التوراتية دليلاً له فى ذلك[81] وعليه فإنه رحلة (حتشبسوت) الشهيرة إلى بلاد بونت لم تكن إلا رحلة إلى الأرض المقدسة فى فلسطين (أورشليم) حيث جاء فى كلمات عن الإله آمون يعود تاريخها إلى عصر (أمينحتب الثالث) فى أواخر الأسرة الثامنة عشرة :

*حينما أولّي وجهى إلى مشرق الشمس فإنى أولّي وجهى إلى بلاد بونت .

ومن ناحيتنا نقول - تفنيداً لإدعاءات فلايكوفسكى - أن الملك (أمينحتب الثالث) قد حكم مصر من عاصمة مُلْكه فى طيبة (الأقصر) والمشرق يكون حينئذ - باتجاه شبه الجزيرة العربية لا القدس (أورشليم) .

وفى دراسة لأحد علماء الحملة الفرنسية على مصر [82] يدعى (دى بوا - إيميه) جاء فيها (فى محاولة منه للي الحقائق وتطويعها لأهداف معينة) :

إن قوة الشرائع والمؤسسات التى أقامها موسى (عليه السلام) هى التى يعزى إليها تلك الظاهرة السياسية التى جعلت الشعب اليهودى يحتفظ بعاداته وشرائعه ولغته وملامحه رغم أنه بات مشتتاً فوق الكرة الأرضية كلها خاضعا لكل صنوف الحكومات لأن موسى (عليه السلام) قد قام بعزل شعبه وبشكل تام عن بقية البشر مما جعل فناءه مستحيلا . لن اليهود منتصرين لم يستطيعوا أن يجعلوا من قوتهم أقوى من قوى الأمم التى أخضعوها كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنه عندما كانت تحيق بهم الهزيمة فلم يكن بمقدورهم أن يختلطوا بالمنتصرين . وتعود غالبية النقائص التى تُعاب عليهم اليوم إلى حالة الإذلال التى سعوا إليها فى كل مكان . وكان أهم ما يقومون به حينئذ أن يشتروا ما يبيعون . **أما الذهب فقد بات هو الهدف الوحيد لطموحهم . وليست هناك شهوة تستطيع أن تتلف الانسان فى جسده وروحه أكثر من حب الذهب** . وقد يكون من غير المجدى أن نحاول أن نثبت أن عيوبهم هذه تعود فى شر سعهم وتنظيمهم حيث أن البلدان التى نحسن فيها الأفكار والفلسفات والديانة السمحة من قدر اليهود ينهض بينهم - هناك - رجال فضلاء وأدباء متميزون. وعلينا ألا ننسى بصفة خاصة أن الأمة اليهودية أظهرت وسط المحن والآلام خاصية عظيمة حيث أنه إذا كان العفو يُعد شرفا للقوة فإن المشاعر الرقيقة تكون شرفا للضعف . لقد تجرأت أورشليم على قتال روما التى كان يرتعد أمامها أعتى ملوك الأرض ثم أقام اليهود المهزمون فى روما بأيديهم المكبلة بالقيود الحديدية النصب الضخم وقوس (تيطوس) Titus الذى تخلد نقوشه البارزة ذكرى سقوط المدينة المقدسة وتلك المهانة (دمر الامبراطور الرومانى تيطوس أورشليم عام 70 م) .

وعن (**نشأة اليهود**) يقول (ديبوا - ايميه)[83] :

على الرغم من التناقضات التى يعتقد بعض النقاد أنهم قد وجدوها فى أسفار موسى الخمسة وعلى الرغم من اختلاف آرائهم حول زمن نشرها فإن الجميع مضطرون للاعتراف بأنها أقدم أثر مكتوب وصل إلينا . كما أنهم لا يستطيعون مهما تكن طبيعة آرائهم الدينية **أن يرفضوا ما نجده فى هذه الكتب من فائدة كبيرة ترتبط بالتأريخ لشعب كان رعويا جوّاباً ثم زراعيا**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم جماعة من العبيد ثم عاد مرة أخرى إلى حالة التجوال ليصبح بعد ذلك غازيا .

[يلاحظ أن هذه الدراسة مكتوبة عام ١٩١٦ م و إيميه يصف الشعب اليهودى بأنه أصبح غازيا . فهل كان ذلك سوء فهم من الكاتب أم أن الكاتب بصفته من علماء الحملة الفرنسية على مصر يعلم بأحد أهداف الحملة الخفية لإيجاد وطن لليهود بفلسطين كما جاء ذلك على لسان نابليون قائد الحملة وقتها] .

لقد تولدت أحقاد واضحة وحروب دائمة بين الشعوب الرعوية والزراعية لأن الانسان كان صياداً وراعياً قبل أن يكون مزارعاً والأحقاد المتبادلة بين الفئتين (احتقار الزراعيين لجهل الرعاة وبدائيتهم دفع الرعاة للرد بقوة الساعد التى افتقدها المزارع) . فلقد سكنت قبائل العبرانيين بلاد ما بين النهرين وسوريا والجزيرة العربية وصحراوات مصر . وهناك نشأت ديانات التوحيد . أما فى الأقاليم الزراعية مثل ضفاف الأنهار (مثل نهرى روفيا وسيفيزا فى اليونان) فقد عبد الانسان الطبيعة (منيرفا وأبو للو) .

وإبراهام أو إبرام (إبراهيم عليه السلام) هو الذى بشر بوجود إله واحد ليجعل عبادته تحل محل عبادة النجوم . وكان العبرانيون ينظرون إلى (إبراهام) باعتباره زعيما لجنسهم . ويتطابق تاريخ إبراهيم كما قرأنا فى كتابات العبرانيين فى خطوطه الأساسية مع كتابات المؤلفين العرب [يدعى الكاتب أن القرآن من تأليف العرب] . ويستمد العبرانيون إسمهم من (عابر) أحد أجداد (إبراهيم) وقد تركوا أرض كلديا كى يمضوا إلى منطقة من أرض ما بين النهرين التابعة لسوريا . وكانوا وقتئذ وثنيين . وكان (تارح) والد (إبراهيم) من (ناحور) و (آران) على رأس قبائلهم . وعند

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مـــوت (تارح) انقسم القوم فظـــل بعضهم فيما بين النهـــــرين تحت حكـــم (ناحور) وواصل الآخرون مسيرتهم إلى ماوراء الفرات وهما (إبراهيـم) و (لوط) ولدا (آران) . وتكرر حدوث انقسامات مماثلة عند الشعوب الرحل بسبب الديانة الجديدة التى بشر بها (إبراهيم) وهى ديانة لـــم يتبنـــها أولئـــك العبرانيون الذين ظلوا فى بلاد ما بين النهرين (كما يشير إلـــى ذلـــك سِـــفْر التكوين) . وانفصل (إبراهيم) عن ابن أخيه حتى يستجب لوحيٍ مقـــدس . ولكى يحافظ (إبراهيم) على عقيدته وينأى بها عن اضطهادات الوثنيين فقـــد انسحب إلى جوف الصحراء وتقدم فى البدايـــة نحـــو الجنـــوب عـــبر أرض السوريين وبعد ذلك دخل مصر ثم عاد إلى سوريا وهناك انفصل عـــن ابـــن أخيه (لوط) ثم عاد وانتزعه بعد ذلك من أيدى أعداءه . واستطاع (إبراهيم) بإتحاده مع ثلاثة من مشايخ الصحراء (عاثر وأشكول وممرا الآمـــورى) أن يفاجئ الآخرين ويلحق بهم الهزيمة (رؤساء شـــنعار وعيـــلام والأســـار وجوييم الذين شنوا الحرب على ملوك سدوم وعمورة وأدمة وصبوبيم وبـــالع أو صوغر) . وبعد أن خلّص إبراهيم لوطاً ذهب إلى أرض (أبيمالك) ملك فلسطين وقدم إليه ثيراناً ومعيزا فسمح لهم بالاقامـــــــــــة .وقـــد أنجـــب (إبراهيم) إسماعيل وإسحاق . وقد أصبح (إسماعيل) بفعل جسارته زعيمـــا لقبائل عديدة تشكل اليوم الأمة العربيـــة . أما (إسحاق) فقد أعقـــب والـــده وتحيل جولاته وحروبه وتحالفاته وسيرة حياته إلى الوجود الخاص والسياســـى لزعيم من زعماء البدو . وبعد مـــــوت (إسحـــاق) انفصل ولداه (يعقـــوب) و (عيسو) أو عيساو . وتسمت القبـــائل التـــى اتبعـــت (عيســـو) باســـم الأدومـــيين أما يعقوب فقد استحوذ على الجزء الأكبر من ميراث أبيه وتسمى الرعاة الذين ظلوا محيطين به بشكل نهائى باسم العبرانيين أو الإســـرائيليين . وكان ليعقوب إثنا عشر ولدا أشهرهم (يوسف) وفيما بعد أصبحـــت أســـماء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولديه وأخوته تشير إلى أسباط بنى إسرائيل . وكان (يعقوب) قد أصبح شيخاً كبيراً حين ألجأته المجاعة إلى ترك ضواحى بئر سبع والذهاب إلى مصر حيث حصل من فرعون على إذن بأن يسكن فى أرض جاسان (وادى طميلات بالشرقية) . وكانت أسرة الملوك الرعاة (الهكسوس) تشغل فى ذلك الوقت عرش مصر . ويدعى (إيميه) أن معاملة المصريين كانت سيئة مع الأجانب ولولا وجود الهكسوس بمصر لما استطاع يعقوب وأهله الدخول والبقاء بمصر . وبعد طرد الهكسوس (الرعاة العرب كما يقول إيميه) الذين أووا العبرانيين بسبب أصلهم المشترك وتطابق عاداتهم وتقاليدهم فقد انسحب عليهم ماكان يكنه المصريون من أحقاد نحو هؤلاء الرعاة .

ويسوق إيميه بعض الخواطر والافتراضات المعرضة فيقول [٨٠] :

*لم يكن الرعاة الذين فتحوا مصر (الهكسوس) يتعلقون ببلد أكثر مما يتعلقون بآخر فقد كانوا رحلاً ومقاتلين . وسرعان ماقدر عليهم أن يعملوا بالملاحة على طريقة العرب الذين حملوا معهم إلى أسبانيا فى القرن الثامن الميلادى الفنون والعلوم [يقصد فتح الأندلس] .

*إن الذين نقلوا إلى اليونان (الإغريق) فنون مصر هم هؤلاء الرعاة (نفس رأى فريريه Frerct) وإن كان ذلك لا يسلب عن مصر العليمة مجد أنها أمدت اليونان بالبذور الأولى لحضارتهم التى تطورت بعد ذلك .

*إن المناهج التى تمتع بها المصريون فى عهد (رعمسيس الثانى) تحول دون أن تنسب لعهد الكوارث التى حربت المملكة وأدت إلى تخليص شعب الله (اليهود) [يقصد الابتلاءات التى نزلت بمصر تأييداً من الله لموسى (عليه السلام) ورسله] .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*يعتقد (إيميه) أن (مرنبتاح) كان أميرا ضعيفا يؤمن بالخرافات وقاسيا . وفى عهده فاض النهر بدرجة عظيمة ودمر القرى والحقول وأفزعت العواصف والأعاصير والسيول الشعب وكانت هذه العلامات تنذر بغضب السماء وأن عملية الهروب (الخروج) للعبرانيين لابد وأن تكون قد تمت فى عهده .

*الرجال العظماء (أمثال موسى (عليه السلام) ومحمد (ﷺ) ونوما[85] وليكورج[86] ومانكوكاباكا[87] كان يفيدون من ظواهر الطبيعة المعروفة لهم جيدا كى يحيطون أنفسهم بالمهابة والقداسة وإدعاء المهارة أكثر من عامة الناس [يخلط إيميه ويزج بأسماء أنبياء الله مثل موسى ومحمد (ﷺ) ويضعهم فى سلة واحدة مع آخرين لاقداسة لهم ويدعى أنهما مهرة وحاذقين فى اقناع شعوبهم بأن التشريعات التى يبلغونها لقومهم هى من عند الله برغم أنه يلمز ويفترض أن تلك التشريعات من عند أنفسهم] .

*فى مقارنة غير مطلوبة ولا مرغوبة يقول إيميه أن فتوحات محمد (ﷺ) وخلفائه (الفتوحات الإسلامية) تمت فى ظروف تكاد تكون متشابهة مع ظروف موسى (عليه السلام) وفتوحات خلفائه رغم أن فتوحات اليهود من ناحية الاتساع والأهمية لا تقارن بالفتوحات الإسلامية لأن (موسى) كان - كما يدعى - يجابه فى زمنه أمما وشعوبا مضرسة بالقتال تشغل أرض سوريا وفارس ومصر وبلاد العرب . أما عند ظهور (محمد) (ﷺ) فقد كانت - كما يدعى - الامبراطورية الرومانية العملاقة وكذلك امبراطورية فارس قد بليتا من القِدَم بعدما اقتسما العالم وكانت الشعوب التى أخضعها هؤلاء تظن أنها تحطم أغلالها بانتقالها من سيطرة سيد قديم إلى أيدى سادة جدد [يحاول إيميه بذلك أن يزيف التاريخ ونوابته بادعاء البطولة المطلقة لكل ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هو إسرائيلي وتسفيه فتوحات المسلمين العرب مدعيا ضعف الامبراطوريتين المعاصرتين الروم والفرس].

•اضطر موسى (عليه السلام) أن يوحى إلى قومه بالهلع من الأجانب كى يخلق من العبيد دولة متماسكة . وهو شعور ظلوا يحملونه بين جوانحهم طويلا . ولذا فلا يعطون إلا للجيل العاشر من المتهودين الجدد الحق فى دخول جماعة الرب .

•حين شعر موسى بأن قواه تخور وأن أجله قد قرب شاء أن يجعل من موته أمرا مفيداً فى تحقيق مآربه فأعلن للشعب أن الرب قد رفض أن يدخله الأرض الموعودة لأنه قد شك مرة واحدة . واحدة فقط فى قدرته (سبحانه)[88] وأعلن باسم الرب الخالد أن يشوع (يوشع بن نون) قد صار خليفة له ثم صعد (موسى) جبال عباريم ونبو وأشار بيده للعبرانيين إلى الأرض التى سيكافئهم بها الرب جزاء فضائلهم ولا سيما عقيدتهم الدينية .

ولإعادة ضبط ميزان تجاوزات الفرنسى (إيميه) وادعاءاته يأخذنا الفرنسى أيضا (د. جوستاف لوبون) [89] فى دراسته عن اليهود مصححا لكثير من المعلومات وموضحا الحقائق فيقول عن اليهود :

لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أى شىء تقوم به حضارة . واليهود لم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت فى شيد المعارف البشرية ولم يجاوزوا قط مرحلة الأمم شبه المتوحشة التى ليس لها تاريخ .

ويشير (لوبون) إلى مسيو (رينان) الذى يقول بدوره أن النظام اليهودى بأسره ليس إلا وجها بسيطا للنظام الكلدانى وأن أساطير البابليين المعقدة لم ينتحلها عالم الغرب المتمدن إلا بعد أن تحولت بمرورها من خارج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

روح الساميين البسيطة . وعندما خرج هؤلاء البدويون (العبرانيون) الذين لا أثر للثقافة فيهم من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدينة منذ زمن طويل . فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أخس ما في حضارتها وغير عيوبها وعاداتها الضارة وخرافاتها وشعاراتها - كشأن جميع العروق الدنيا - فقربوا لجميع آلهة البلاد (عشتروت وبعل ومولك) من القرابين أكثر مما قربوه لإلههم (يَهْوَه) الذى لم يثقوا به إلا قليلا على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياؤهم . واليهود قد اقتصرت معارفهم على تربية السوام (المواشى والغنم) وعلى فلح الأرض وعلى التجارة بوجه خاص . وقد أسفر تعصبهم على عدم احتمال جيرانهم لهم .

والعهد القديم (المرويات التوراتية) لم يشتمل على شيء سوى ماجاء فيه من الشعر الغنائى (نشيد الإنشاد والمزامير) وأما ما احتواه من أمور أخرى فيتألف من رؤى أناس متهوسين ومن أخبار باردة وأقاصيص داعرة ضارية [يقصد ما جاء فى سفر أستير وسفر يهوديت] وغدت الخرافات الصبيانية أو القبيحة التى وضعها كاتبوا التوراة قاعدة للأديان التى ارتضاها الغرب مدة عشرين قرنا فعدها أناس مثل أوجستان وجاليليو ونيوتن وبسكال حقيقة خالصة .

والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى أما الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى وانتشروا فى جميع آسيا السابقة هم الاشوريون والإسرائيليون . والعرب فى إبان سلطانهم الكثير الاتساع وفى عهد حضارتهم العظيمة ظلوا فى مبادئهم العامة وعبادتهم أبسط من الآشوريين والفينيقيين واليهود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والإسلام يُعد هو الدين الوحيد الوثيق التوحيد الذى جاء به الساميون وهو الدين الوحيد الخالى من أى أثر لوثن. فهو يرفض الأنصاب رفضا تاما. ولم يجل بنو إسرائيل فى البحر كما كان يجول جيرانهم الفينيقيون . وهم لم يملكوا من الساحل الطويل زمن سوى القسم الممتد من يافا إلى رأس الكرمل و هناك يقع سهل شارون الذى تمتد مروجه وحصائده إلى البحر . وكانت فلسطين إحدى طرق العالم القديم الرئيسية كبابل . وكانت (مجدو) مفتاح أودية الجنوب و (قادش) مفتاحها فى الشمال . وبنو إسرائيل إذْ كانوا عاطلين من أى فن وعلم وصناعة وهم إذْ لم يزاولوا التجارة إلا كوسطاء وجهوا عنايتهم إلى حقولهم وإلى مواشيهم . وتجد كتبهم المقدسة حافلة بالنعوت الرعائية وبالمقايسات و الأمثلة المقتبسة من حياة الفلاحين و الرعاة . **ولم تكن أرض الميعاد - فلسطين - غير بيئة مختلقة لبنى إسرائيل فالبادية كانت الوطن الحقيقى لهم** . وتاريخ اليهود الحقيقى لا يبدأ إلا فى عهد ملوكهم. وكانوا أقل من أمة حتى زمن (شاؤل) . **فقد كانوا أخلاطاً من عصابات جامحة ومجموعة غير منسجمة من قبائل سامية صغيرة تقوم حياتها على الغزو وانتهاب القرى الصغيرة .**

ويشير (د. لوبون)[90] إلى أن :

بنى إسرائيل حين فروا من ظلم فرعون وعبروا البحر فإنما لحق بهم عدد من المصريين الساخطين ومن الأسارى ومن العبيد المتمردين . وبعد نجاتهم - من فرعون - كانوا يصرون على أنهم شعب واحد ينتمى إلى نسل رجل واحد .

والحقيقة تكمن فى انتحال جميع الفارين لإسم بنى إسرائيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما كانت أرض سيناء فقيرة جديبة لم تصلح لإعاشة أهل البدو أيضا فقد توجه بنو إسرائيل إلى الشمال وحاولوا دخول أراضى الشعوب الكنعانية الصغيرة . ولما دنوا من هذه الأراضى بهرهم خصبها فاشتعلت نيران الحسد والحقد فى قلوبهم . وتحول العبريون من أناس بدويين إلى أناس حضريين عندما رسخت أقدامهم فى تلك الأراضى التى كانت محط أحلامهم . ولم يكن هناك فتح بالمعنى الصحيح على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخاً عير أن استقرارهم بفلسطين تم بالتدريج . فالعبريون قضوا زمنا طويلا ليكون لهم سلطان ضئيل فى فلسطين لا أن يكونوا سادتها . والعبريون كانوا منقسمين كالكنعانيين إلى عدة عشائر تسمى أبناء يعقوب أو الأسباط . وقتالهم الجزئى كان بجماعات صغيرة تستولى كل منهم على قطعة من الأراضى (عصر القضاة) وذلك العصر كان يعتبره العبريون عهد بطولة تاريخية . وكان فى فلسطين يعيش اليبوسيون والعصمونيون وطائفة من الأمم الصغيرة بجانب بنى إسرائيل . وكان السلطان فى تلك البقاع للفلسطينيين (أقوام البحر أو الفلست) وإذا كان خروج العبرانيين من مصر قد حدث قبل الميلاد بنحو خمسة عشر قرناً فهم لم يفكروا فى تأليف أمة واحدة منهم ولم ينصّبوا ملكا عليهم إلا فى أوائل القرن الحادى عشر ق.م وأولئك القضاة لم يستطيعوا بسط سلطانهم على جميع بنى إسرائيل بل كان كل واحد منهم يتسلم قيادة زمرة واحدة من الإسرائيليين واستمر أولئك القضاة مدة أربعة قرون . و(شاؤل) بدأ بنو إسرائيل يؤلفون أمة فاستحقوا أن تُفتح لهم صفحة صغيرة من التاريخ . وخلفه داود الذى أقام عاصمة ملكه فى أورشليم بعد طرد اليبوسيين منها . واقتطف سليمان مُلْك أبيه داود حيث بلغ مصير الشعب اليهودي ذروته فى عهده . ولما مات كان الانقسام والفوضى . وأقام سليمان هيكلاً للرب . وكان ماهراً فى ربط شعبه بروابط المحالفات فتزوج

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من إحدى بنات ملك مصر وارتبط مع ملك صور (حيرام) بصلات الصداقة والتجارة وشيد مدينة (تدمر) . أما مملكة الأسباط العشرة التى أقامها إبنه (يربعام) متخذا شكيم ثم السامرة عاصمة لها فقد كانت مسرحا لأفظع الفجائع . وعندما حلت سنة 721ق.م هدم ملك نينوى الأشورى (سرجون) مملكة السامرة . وكان سقوط نينوى بعد ذلك سبباً فى تأخير سقوط أورشليم . بيد أن ملوك يهودا فى الجنوب أثاروا غضب البابلى (نبوخذ نصر) بمحالفتهم لفرعون مصر . فاستولى الملك البابلى على أورشليم فى عام 586 ق.م . وجعل عاليها سافلها وهدم هيكلها وجعل اليهود أسارى فغدت أورشليم أثرا بعد عين . ومن العبث أن أصدر (كورش) ملك فارس مرسوما أذن فيه للعبريين فى العودة إلى فلسطين وإعادة بناء مدنهم وهيكلهم ثم تلا ذلك بسط الإغريق والرومان لسلطانهم على تلك المملكة الهزيلة ففى عام 70 م استولى (تيتوس) الملك الرومانى على أورشليم وجعلها طُعمة للنيران وشتت شمل اليهود . ويعرف عن اليهود وحشيتهم التى لا أثر فيها للرحمة مع أعدائهم (انظر نصوص سِفْر الملوك وسِفْر يشوع) .

وعن حياتهم الاجتماعية يقول د. لوبون [91] :

كانت كثرة الذرية مطلوبة وكان عقم المرأة يُعد عاراً وإذا مات الرجل عقيماً تزوج أخوه الأصغر بأرملته وصلا لنسبه (كما جاء فى التوراة) . وكان مبدأ تعدد الزوجات شائعا بينهم على الدوام والبكارة كانت أمراً معذرا لديهم . ومن يغتصب فتاة يحمل على تجهيزها والزواج منها ولا يتم طلاقها أبدا . وإذا اغتصبت فتاة مخطوبة كان ذلك عملا مساوياً لزنا الزوج فيقتل مغتصبها وترجم الفتاة لأنها لم تستغث بأحد . وتُبرّأ إذا وقع الحرم فى البرية لاستحالة سماع صوت استغاثتها . ويعتبر زنا الأزواج جُرماً فضيعا يُعاقب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مرتكبه بالقتل (الرجم) والمقصود هنا زنا المرأة لا الرجل لأن الرجل يمكنه الزواج بأكثر من واحدة شرعيا وغير شـــرعي (عُرْفـــي) . وسِـفاح ذوى القربى والمحارم واللواط والمساحقة ومواقعة البهائم من أكثر الآثام الشـــائعة في الشعب فعدّت ضروب البغاء تكريماً لعشتروت وعُدّ الانهماك في فـــي السكر تحت شجر الزيتون في الليالي الرطيبة نوعا من طقوس العبادة رغـــم غضب الأنبياء لتلك الأمور . وللنساء حق الميراث وللأم في الأســـرة حـــق الاحترام كالأب وكان الموت جزاء من يضرب أباه أو أمه . والاعتداء علـــى المال يُعد ذنبا عظيما يجازى مقترفه برد ضعفي قيمة المال المسروق أو أكثر (قد يصل سبعة أمثال). والنظافة هي الترف الأول الذى حاول المشـترعون نشره بين بنى إسرائيل. **وكان اليهود على خلاف معظم الشرقيين يخشـــون الموت .**

وعن ديانة اليهود يقول د. لوبون[92] :

لم يقتبس اليهود من مصر سوى جزئيات ظاهرية مثل صدرة الأحبـار وتابوت العهد أو الناووس السهل النقل . وفرعون مصر الذى كـــان يســـاوى الآلهة في الديانة المصرية القديمة هو الذى يحق له وحده فتح النـــاووس وأن يرى الشعار المرهوب الحافل بالأسرار . وفي اليهودية كـــان يحـــق للحـــبر الأعظم وحده أن يدخل مرة واحدة في العام قدس الأقداس حيـــث تـــابوت العهـــد . و(إلوهيم) هو الاسم الذى نراه قد أطلق على الألوهية فـــي أقـــدم أسفار اليهود . وعبد اليهود عجولا معدنية بعد خروجهم من مصـــر بطويـــل زمن لارتوائهم من مبادئ ما بين النهرين الدينية وكانت ذكرى عجـــل أبيـــس في أذهانهم وإن كان العجل (بَعْل) يرمز إلى الرجولة وكان منتشـــرا فـــي جميع آسيا . وفي وادى الفرات نشأت ديانة بنى إسرائيل أو علـــى الأصـــح

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مختلف العبادات التى مارسها اليهود (بين إقامتهم بفلسطين وعودتهم من الأسر البابلى) . وعبد اليهود (بَعل) وعشيرا أو (عشتروت) نقلا عن البابليين . وهركول (هرقل) من أصل بابلى ويتجلى مثاله فى (نينيب) المعروف الذى كان يقتل الأسد بيد واحدة . ومن الأقاصيص التى انتحلها بنو إسرائيل طوعا قصة (تموز) الإلهى ابن عشتار الذى ذهبت الآلهة لتبحث عنه حتى سواء الجحيم . وكان يمثل موت (تموز) الذى غدا (أدونيس) الإغريق نهاية الخريف . ومما رواه (حزقيال) أنه كان فى زمانه نساء يبكين تموز فى معبد الرب .

وأسفر الإصلاح اليَهْوَهى (نسبة إلى يَهْوَه) الذى قام به الملك (يوشيا) عن تطهير الهيكل من الأصنام مثل (مولك) إله النار الضارة أى الصاعقة و (بَعْل) الذى كان يعبده الفينيقيون والتى أدخلته (إيزابيل) الصيدونية (من صيدا أو صيدون) إلى العبريين . و (عشيرا) وهى عشتارتا الفينيقيين وعشتار بابل أو ميليتا بابل حيث الشعائر الشهوانية .

وقد وصف الأنبياء إشعيا وإرميا وحزقيال أورشليم بالمدينة العاهرة التى لا تشبع من الفجور .

والموت لدى بنى إسرائيل هو نوم عميق بلايقظة . والبعث والحياة الآخرة سكتت عنها أسفار التوراة تقريبا . ومما لا ريب فيه ، حول ثغرة عدة قرون لا تسدها الوثائق (المروبات أو الكنانات) التوراتية . ، فى الأسفار التوراتية تبصر التاريخ والأساطير والأقاصيص الخيالية والقصص الرعائية والقطع الروائية والنبذ التعليمية والأناشيد الدينية والأغانى الحربية والقصائد الغزلية والمجموعات الحِكَمية والنسبية والشرعية . وأهم الأسفار التاريخية هى أسفار القضاة والأخبار وأستير وحميا والمكابيين . أما أسفار موسى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخمسة فتتألف من أساطير كلدانية ومن عدة قوانين دقيقة ترجع إلـــى زمـــن أحدث من الزمن الذى وصف فى سِفْر التكوين والخروج وكتبت تلك الأسـفار الخمسة فى عهد المنوك **وجميع الأسفار لم تكتب لحفظ ذكرى الوقائع فقط بل كانت غايتها إثبات شىء . وجميعها إذا وضعت بصيغة الجزم بدا حُسن النية فيها هزيلا . وماتركه العبريون لنا من تاريخهم فقد دونه أحبـــار ملكيـــون كانوا يهدفون إلى نصر مبدأ الحكومة الملكية الإلهية .**

وكتّاب اليهود الذين كتبوا التوراة لم يكونوا مؤرخين صادقين ولكنهم كانوا وصّافين أوفياء وصفوا وثنية بنى إسرائيل المتأصلة فيهم وطباعـــهم الرعائية (الرعوية) وسلاسل الأنساب التى لا حد لها وســـمات الأخـــلاق الهاجئة .

و إذا كان الأساس كلدانياً فإن شكل الوصف عبرى . ومن الطرافـــة أن ينتج اليهود ادابا خفيفة ذات عفاف على الرغم من تحللهم الأخلاقـــى . ومـــا عندهم من أخبار الدعارة تجده فى تاريخهم الخاص لا فى كتبهم التـــى هـــى وليدة الخيال الخالص . وسِفر (نشيد الإنشاد) هو أكثر أســـفارهم شـــهوانية وفيه أيضا الشعر الغرامى السامى . والأمثال وتنوعاتها نراها فى سفر الأمثال ، سِفر الجامعة وسِفْر الحكمة . **وفى تلك الأمثال نبصر فكـــر بنـــى إســـرائيل الحقيقى وهو الفكر النفعى العملى وهو الذى سيطر على شعب إسرائيل منـــذ دور الفتح . فأصبح الشعب ماهراً طامعا وجشعاً فى الربح وضيّقاً فى آفاقـــه عير مستعد للتضحية** . فذكر فى سِفْر الجامعة أنه إذا لم تقتطف فـــى هـــذه الحيـــاة الدنيا ثمرة آثارك فإنك ستتركها ميراثا للأجيال القادمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الوهم التقى فى سِفر أيوب والوهم الشهوانى فى سِفْر الجامعة قد اقتسما الناس لتعليلهم بالباطل إن لم يكن لشفائهم . ولا يزال العالم منقسما إلى اليوم بين المثاليين والشهوانيين الباحثين عن المتع . ولم يكن أنبياء اليهود منصفين أبداً نحو بابل (العراق) بل يتوعدونها بالخراب والترمل والثكل [كما نلاحظ ذلك فى عصرنا الحالى تجاه ما يحدث للعراق منذ عام 1991 م].

وعن نظريات (نشوء إسرائيل) يبين لنا (**فراس السواح**)[93] الكاتب السورى أنها أربعة :

(1) **نظرية آلت فى التسرب السلمى** : AlbrechtAlt

حيث نشر الباحث الألمانى (**البريخت آلت**) بحثا ابتدأه بدراسة لأصل إسرائيل **من عصر القضاة حيث اعتبر أن ماقبل ذلك من المرويات التوراتية هى عنده من الأدب الخيالى التى تمت صياغته فى الفترة المتأخرة بهدف خلق أصول متجذرة لإسرائيل وديانتها فى الماضى البعيد** . وقد لاحظ آلت أن الهضاب المركزية لفلسطين كانت شبه خالية من السكان خلال العصر البرونزى الأخير (خصوصا منذ فترة تل العمارنة 1350 ق.م) ولم تكن تحتوى إلا على عدد قليل جداً من القرى الصغيرة والمتباعدة . وكانت مدينة (شكيم) فى الشمال هى المدينة الوحيدة المهمة فيما بين (أورشليم) جنوبا و (وادى يزارعيل) فى الشمال . وقد بقى وضع الهضاب المركزية على هذه الحالة حتى عام 1250 ق.م عندما بدأ مسرح الحدث التوراتى بالتوضح فى هذه الرقعة . **وهذا الذى توصل إليه (آلت) قد أثبته المسح الأركيولوجى (الأثرى والحفرى) للهضاب المركزية** بعد أكثر من نصف قرن على ظهور دراسة آلت عام 1925 م. ويعتقد (آلت) أن الجماعات التى شغلت الهضاب المركزية كانت عبارة عن عشائر بدوية من أصول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مختلفة أخذت بالتسرب تدريجيا إلى هذه المنطقة وعلى فترات متقطعة ومتباعدة تسوق قطعانها الصغيرة عبر نهر الأردن باحثة عن مراع جديدة فى أرض كنعان . وكان هؤلاء الرعاة يتوقفون خلال الشتاء والربيع عند أطراف المناطق الزراعية فإذا يبست الأعشاب صيفا أخذوا بالتوغل أكثر فأكثر نحو المناطق الزراعية من أجل رعى القش المتبقى بعد الحصاد وذلك بالاتفاق مع أصحاب الحقول الذين يدخلون معهم فى علاقات منافع متبادلة . وشيئاً فشيئا وجدت بعض هذه العشائر أماكن مناسبة لإقامتهم فى المناطق الخالية الفاصلة بين دويلات المدن الكنعانية والبعيدة عن نفوذ المراكز السياسية الهامة وعن النفوذ المصرى فى وادى يزراعيل فتوطنوا هناك وأخذوا بالاستقرار والزراعة دون أن يسببوا تهديداً أو مخاوف لأى فريق . ثم أخذت هذه العشائر المسالمة والمتباعدة عن بعض بالتقارب بعد فترة الاستقرار ومن المرجح أن عبادة واحدة نشأت بينها تدريجيا وتركزت طقوسها حول مقام مقدس أو مَذْبَح مشترك . وفى أواخر عصر القضاة وقع الصدام العسكرى مع الكنعانيين على شكل حروب محلية محدودة . وهى التى أدت فيما بعد إلى نشوء تقليد الفتح العسكرى واكتساب كنعان بالقوة (ممايذكره سفْر يشوع) ثم تنادت هذه الجماعات بعد أن أحست بوحدة مصالحها إلى إقامة المملكة الموحدة التى بدأت بحكم الملك (شاؤل) .

وهذه النظرية تختلف عما افترضه (**أولبرايت**) الذى اهتم بزرع جذور إسرائيل فى التربة الأوسع لمنطقة الشرق القديم . ومصطلح كنعان وصفة كنعانى عند (ألت) استخدمه للدلالة على دويلات المدن الفلسطينية وما يتعلق بها خلال عصر البرونز الأخير وهى دويلات زراعية يحكمها ملوك متسلطون ومرتبطة ثقافيا بالعالم السورى وذات ديانة وثنية . **أما مصطلح إسرائيل وصفة إسرائيلى فهو مفهوم تجريدى عند ألت استمده**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من نفى كل ما هو كنعانى . وهو يشير إلى ثقافة قبلية ورعوية بدوية ومعتقد دينى توحيدى ونظام حكم بدائى ديمقراطى . وعصر البرونز الأخير هو عصر كنعانى ويدل على كامل فلسطين قبل وصول الإسرائيليين . أما ما تلاه من عصر الحديد فإسرائيل أو فلسطين فى طريقها لأن تغدو إسرائيل .

(2) نظرية الانتفاضة الداخلية :

يرفض (مندنهل) Mendenhall من حيث الأساس نظرية الأصل الخارجى الرعوى للجماعات الإسرائيلية التى تسربت إلى المناطق الهضبية بحثاً عن المراعى . وهو يرى أن الجماعات التى شكلت إسرائيل فيما بعد هى شرائح فلاحية كنعانية لجأت إلى الثورة فى وجه حكام ودويلات المدن الطغاة . وأن خميرة هذه الحركة الثورية . كانت جماعة أبقة من العبودية فى مصر جاءت معها بعبادة (يَهْوه) التى تبنتها الجماعات الفلاحية الثائرة .

ويعقد (مندنهل) صلة بين (عبران) عصر الحديد الذين استهلوا هذه الثورة و (عابيرو) عصر تل العمارنة فى عصر البرونز الأخير . **فالعابيرو والعبرانى عنده متعادلان** . والكلمة تدل على تلك الشرائح الاجتماعية المحرومة فى مجتمعات الشرق القديم والتى لجأت إلى التمرد والعصيان بسبب وضعها العام - على النظام الفاسد لدولة المدنية الكنعانية .

أما الباحث جوتوالد (Gott Wald) فقد تبنى نظرية مندنهل فى الانتفاضة الداخلية (الثورة) مع بعض التعديلات التى تعتمد على الأفكار الماركسية . فيقول أن الانتفاضة كانت طبقية (بالمفهوم الماركسى) لا ثورة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث تدير الدويلات الكنعانية أرستقراطية نبيلة تعمل على استغلال وقمع الشرائح الاجتماعية المحرومة .

(3)نظرية بوتقة الانصهار :

توصل الباحث (ماكسويل ميللر M.Miller) إلى أن اسم إسرائيل الوارد فى نصُب الفرعون (مرنبتاح) يشير إلى تجمع لثلاث قبائل كنعانية فى منطقة الهضاب المركزية هى أفرايم ومنسى وبنيامين . وكانت (أفرايم) هى القبيلة الرائدة فى هذا المجتمع الذى ضم فيما بعد قبيلة (جلعاد) فى عبر الأردن . ثم أخذ هذا التجمع فى التوسع تدريجيا حتى بلغ عشر قبائل وهى التى دعتها القاضية (دبورة) إلى القتال معها ضد (**بابيين**) ملك حاصور[٧٤]. ومع انتقال الحكم إلى الملك (داود) توسع الاتحاد القبلى ليشمل اثنتى عشرة قبيلة بينها قبيلة يهوذا الجنوبية . ويقول (ميللر) إن إسرائيل كمفهوم إثنى وسياسى قد نجمت عن بوتقة انصهار ضمت جماعات مختلفة ومتنوعة استغرق تقاربها واندماجها فترة طويلة من الزمن فى عملية أكثر تعقيدا بكثير من الرواية التوراتية البسيطة التى يعرضها سِفْر يشوع أو سفْر القضاة .

ووجد الباحث ليمخى (ليمشى) Lemche بعد دراسة نتائج علم الآثار أن هناك استمرارية ثقافية بين عصرى البرونز الأخير والحديد وهى ثقافة كنعانية محلية لا انقطاع فيها ولا فجوات ومن هنا فإن **إطلاق صفة كنعانى على عصر البرونز وصفة إسرائيلى على عصر الحديد ليس له مايبرره على الاطلاق . وثنائية كنعان - إسرائيل لا تقوم على أساس أركيولوجى وتاريخى حقيقى** . ويرى (ليمخى) أن بعض الشرائح الاجتماعية المحرومة فى مناطق السهول قد أخذت بالنزوح تدريجيا نحو الهضاب المركزية منذ عصر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البرونز الأخير وبشكل خاص بعد فترة تل العمارنة وأخذت بتشكيل وحـــدات سياسية بدائية ترابطت شيئا فشيئا بسبب عزلتها عن طرق التجـــارة المحليـــة والدولية وشكلت إسرائيل .

(4) نظرية الأركيولوجية الحديثة :

وهى بمثابة الصياغة العلمية لنظرية التسرب السلمى ونظرية بوتقـــة الانصهار وتمت صياغتها على يد الأركيولوجيين الإســـرائيليين المحدثيـــن بشكل رئيسى مدفوعين بنظرية الت عن الاســـتقرار الســـلمى والـــتسرب التدريجى . وأراد أصحاب تلك النظرية الحديثة انقاذ ما تبقى مـــن الســـمعة التاريخية للرواية التوراتية عن طريق إثبات جوهر الرواية و ســـقاط جميـــع تفاصيلها .

وكان لكل مـــن البـــاحث الإســـرائيلى الأركيولوجـــى (فنكلشـــتين) Finekelestein والمنقب الإسرائيلى (زرتال) Adam Zertal دور كبير فى اثبـــات تلك النظرية - غير أن الباحث (توماس ل . طوماسون) Thomas L Tompson [95] قدم لنا المادة العلمية المستقلة عن مرويات التوراة تماما[*] .

وعلى هذا فقد سقطت إلى غير رجعة نظريـــة الاقتحـــام العســـكرى لأرض كنعان من قبل القبائل الإسرائيلية الموحدة تحت قيادة يشوع بن نـــون وتدمير مدنها الرئيسية **لأن نتائج التنقيب الأثرى فى هذه المواقع تنفى تمامـــا الرواية التوراتية** و تمسح الأركيولوجى للمناطق الهضبية التى كانت نواة هذه المملكة ينفى وجود قاعدة سكانية واقتصادية فى هذه المناطق خـــلال القـــرن العاشر ق.م تسمح بقيام مثل هذه المملكة . والتنقب الأثرى فى موقع أورشـــليم

---

*) سبق الاشارة إليه فى الفصل الأول(انظر هامش 59،60).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذاتها والذى أظهر أن مدينة أورشليم فى القرن العاشر ق.م لم تكن إلا بلداً صغيراً جداً بالإضافة إلى عدم العثور على أى شاهد أثرى على وجود أبنية ضخمة أو صروح مدنية وإدارية والهيكل الذى بناه سليمان كان محدود المساحة وليس كما يقولون أنه كان يربو على مساحة أورشليم ذاتها .

وعن نهاية مملكة إسرائيل (الشمالية) يقول (فراس السواح)[96] أنه حتى الحملة الآشورية الأخيرة على دمشق عام 773 ق.م إبان حكم الملك (حديانو) لم تكن مملكة يهوذا قد تشكلت ككيان واضح فى فلسطين . ولم تكن مدينة أورشليم قد دخلت معترك السياسة الإقليمية والدولية على حد سواء والنصوص الآشورية لم تتجاهل فقط وجود مملكة يهوذا (فى الجنوب) فى فلسطين بل تجاهلت كليا مدينة أورشليم وكأنها غير موجودة على الخارطة السياسية للمنطقة . وبدأت أورشليم تكتسب بالفعل ملامح المدينة الكبيرة ساعدها فى ذلك أفول نجم السامرة (مملكة الشمال - إسرائيل) ودمار (لخيش) على يد آشور فى عام 722 ق.م والتغيير الجذرى فى الوضع السياسى فى فلسطين الكبرى واستيعاب أورشليم لأفواج النازحين من مناطق التدمير الآشورى إبان عهد (تغلات فلاصر الثالث) و (صارغون الثانى) وهكذا ظهرت مملكة يهوذا بقيادة النخبة السياسية والاقتصادية فى مدينة أورشليم التى تحولت إلى مركز سياسى إقليمى كبير . وقد بدأت المدينة عهدها هذا كعميل لآشور ثم قادها التدخل المتزايد فى شئون التجارة الدولية إلى حتفها بعد قرن ونصف تقريبا من ظهورها على مسرح الأحداث . فقد عاقب (تغلات فلاصر) مملكة إسرائيل على وقوفها إلى جانب دمشق قبل هجومه الأخير عليها فسلب أراضيها الشمالية وعين عليها ملكا جديداً يأتمر بأمره . وخلف (شلمنصّر الخامس) عرش أبيه (تغلات) ثم خلفه (صارغون الثانى) الذى طبق سياسة التهجير الجماعى فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إسرائيل فأزالها من الوجود ككيان سياسى وشعب (يلاحظ أن سفر الملوك الثانى يحدثنا عن دمار السامرة ويعزو ذلك إلى شلمنصر الخامس لا إلى صارغون الثانى الذى لم يرد ذكره فى سِفر الملوك إطلاقا) .

وبسقوط السامرة عام 721 ق.م انتهت مملكة إسرائيل ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وبطل استعمال اسم إسرائيل وحل محله اسم السامرة للدلالة على المقاطعة الشمالية التى استمرت من العصر الآشورى إلى العصر الرومانى أما يهوذا فقد زالت ودمرت عام 587 ق.م على يد (نبوخذ نصّر) البابلى .

والتاريخ اليهودى الذى ابتدأ مع بناء أورشليم الجديدة وهيكلها الجديد ليس استمراراً على أى صعيد للتاريخ الإسرائيلى فى العصر الآشورى والعصر البابلى رغم النغمة الإعلامية الفارسية التى تحدثت بلغة الإحياء والتجديد (قورش ثم داريوس) . **إن ما تم إحياؤه فى مقاطعة اليهودية لم يكن خلقاً جديداً لمجتمع قوامه فئات اجتماعية دخلت العصر الفارسى وقد تغيرت تماما . وفى الحقيقة فإن مسألة السَبْى (النفى) لم تعد بالنسبة لجماعة أورشليم الجديدة واقعة تاريخية بقدر ما غدت فكرة وواقعة نفسية تساعد على فهم هذه الجماعة لنفسها باعتبارها البقية الناجية من إسرائيل** . إن التاريخ اليهودى ليس صفحة جديدة فى تاريخ فلسطين بل تاريخ مستقل فى أصوله ومساره ومصائره .

وعن تاريخ القدس يقول (د. سيد فرج راشد) [97] :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القدس سكنها اليبوسيون واتخذوها عاصمة لها حوالى عام 3000 ق.م ومن ملوكهم (ملكى صادق) بمعنى العادل هـــــو (مِلْكى) وهــو أول من خطط لبناء المدينة ثم قام بتحصينها وكان (ملكـــى صـــادق) معـــاصراً لإبراهيم (عليه السلام).ومن اليبوسيين أيضا (سالم اليبوسى) الذى بنى قلـــعـــة على جبل يقع فى الزاوية الغربية للدفاع عن القدس وهـــو الجبـــل الـــذى أطـــلق عليـــه (جبل صهيون) فى عـــهد داود (عليه السلام).والقـــدس تنبـــع أهميتها لكونها تقع على طريقين من أهـــم طـــرق التجـــارة القديمـــة وكـــان المصريون القدماء يطلقون عليها اسم (يابيتى) أو يابتى . وأحيانا يســتخدمون اسمها الكنعانى (أوروسالم) والكلمة آرامية (أور) بمعنى موضع أو مدينـة و (سالم) بمعنى السلام وهو اسم وثنى لإله سلامة القوافل . وعندما استولى عليها داود (عليه السلام) أصبح اسمها (مدينة داود) [98] ثم أطلـــق عليـــه الاســم العبرى (يوروشاليم أو أورشالايم) . وقد وجد اسم القدس وارداً فى نقـــوش الامبراطور الآشورى (سنحاريب) حوالـــى عـــام 700 ق.م تحـــت مســـمى (أوروسليمو) وفى عهد الاسكندر الأكبر سماها اليونانيون (هيروسوليما) ثـــم (إيلياكابيتولينا) فى عهد الامـــبراطور الرومـــانى (إيليـــوس هدريـــان) أو هيدريانوس بعد أن قضى على الكيان الدينى لليهود وفى أعقاب ذلك أمر بقتل كل من يدخلها من اليهود وظلت تعرف باسم (إيليا) حتـــى أوائـــل الفتـــح الإسلامى . وسميت (القدس) منذ إقامة دور العبادة المقدسة فيهـــــا . و (هيرودوت) المؤرخ اليونانى من 484 - 425 ق.م ذكرها باسم (قديتـــس) وهو اسم محرف من الآرامية (قديشتا) أما (بيت المقدس) [99] فقد أطلـــق على المدينة منذ الفتح الإسلامى . ومن أسمائها (الزيتـــون).ومـــن أســـمائها العديدة ورد اســـم (شـــاليم)[100] و (يبـــوس)[101] و(صـــهيون)[102] و (أريئيـــل) [103] و (موريـــا) [104] و (إيليـــاء)[105] أو (إيلياء العظمـــى)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و (أوريشلم) [106] ووردت أسماء أخرى مصدرها اختلاف الترجمة منها : دار السلام ، مدينة السلام ، قرية السلام ، شلم ، أورشليم ، يبوس ، شليم ، يبوش سليمان [107].

وما جاء برسائل (تل العمارنة) السبع يؤكد أن مدينة أورشليم كانت خاضعة لفرعون مصر (أمنحتب الثالث) حوالى (1413 ق.م) وخضعت لحكم (إخناتون) عام 1375 ق.م ثم (توت عنخ آمون 1351ق.م) ثم (سيتى الأول عام 1314 ق.م) ثم (لمرنبتاح) ابن رعمسيس الثانى حوالى 1279 ق.م [108].

والتسمية الغربية Jerusslem فى اللغات اليونانية واللاتينية والألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها . اشتقت من الاسم الكنعانى وهو مدينة (يوروسالم) أو(يورشالم)[109]وتحدثنا التوارة على أن (موسى) (عليه السلام) قد توفى وأرض الميعاد على مرمى بصره فتولى (يوشع بن نون) قيادة بنى إسرائيل وعبروا نهر الأردن واحتلوا (أريحا) بعد تدميرها وكذلك فعلوا مع مدن (عاى) و (الجلجال) و (شيلوح) وبقية المدن الكنعانية التى احتلوها أثناء تقدمهم إلى (يبوس) أى القدس .

وقد ظلت المدينة المقدسة إلى عهد (داود) (عليه السلام) مدينة لليبوسيين (سكانها الأصليين) أكثر من ألفي عام قبل عهد موسى (عليه السلام) كما بقيت بأيدى أهلها ثلاثمائة عام أثناء الوجود اليهودى فى فلسطين ثم بعد دخولهم إليها فى عهد داود ومما يؤيد ذلك أن (داود) (عليه السلام) حينما أراد بناء الهيكل للرب فى القدس قام بشراء البيدر (جرن ومَرْبَض **للماشية**) الذى كان ملكا لرجل يبوسى يدعى (أرونا) ولذلك عاش اليهود أقلية بين اليبوسيين حتى كان السبى البابلى عام 587 ق.م **ومن المعروف أنه قبل**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظهور الملكية سياسيا(عهد سليمان)كان اليهود يعبدون الله فى أى مكـــان. (عبـــدوه مع مـــوسى أربعين عامـــا فى التيه فى سينـــــاء وليـــس فـــى بقعـــة معينة) فأينما كانوا كانت (خيمة الاجتماع) التى بـــها تابـــــوت العهـــد (التوراة) وفيهـــا يقيمون الصلاة . وبعد موسى وهارون وعلـــى مدى ثلاثمائـــــة عام (عصرى يوشع بن نـــــــون والقضـــــاة) كـــانت أماكن العبـــادة متفرقة أما فى عهد سليمان فقد كـــانت العبـــادة تقـــام فـــى المعبـــــد (الهيكل) الذى شيده. ولعله من المفيـــــد أن نقـــول أن الحـــرم الإسلامى الشريف قد أقيم فى نفس المنطقـــة التى كان (ملكى صـادق) يدعـــو فيها باسم الله العلى فى زمن (إبراهيم) (عليه السلام) . **وكان هـــذا الحـــــــرم أكبر من ضعف مساحة جبل الهيكل داخل أسوار (سليمان) أو (نحميـــا) أو (هيرودوس) والحرم مستطيل الشكل يأخذ الاتجاه من الشمال إلى الجنـــوب (فى اتجاه قِبْلة المسجد الحرام بمكة) على خـــلاف هيكـــل ســـليمان فـــهو مستطيل يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق وهذا ينفى أن الحرم القدســـي الشريف أقيم مكان الهيكل**[110] . ومن اللافت للنظر أن اسم مدينة القدس لـــم يرد ذكره فى قائمة الكرنك للمدن التى استولى عليها (شيشنق) فرعون مصـــر عام (924 ق.م) . بينما نجده واضحا فى سرد العهد القديم لـــهذه الأحـــداث (سِفْر الملوك الأول 1 : 14 : 2 وسِفْر أخبار الأيـــــام الثـــانى 12 : 2 4) وأصبح نتيجة لحملة شيشنق أن مملكتى يهوذا وإســـرائيل أصبحتـــا تـــابعتين لمصر من جديد يدفعون الجزية كل عام .

وأتيح للفكر اليهودى الدينى من زمن السَبْى (النفى) البابلى أن يدرك أن (يهْوه) هو الإله الواحد للعالم كله . وأدرك الذين فى المنفى أن ماحل بهم من شقاء كان نتيجة مؤكدة لعدم اتباعهم شرائع (يَهْوَه) . وتكاثر عدد الأنبياء بينهم فى الأسر البابلى الذى حرمهم من إقامة طقوس عبادتهم بصورة مكتملة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(عدم تقديم القرابين وبعدهم عن الهيكل فى القدس) ولذلك غيروا فى طريقتهم لممارسة هذه الطقوس فاستبدلوا القربان بالصيام والصلاة وتغاضوا عن أداء طقوس السبت فى معظم الأحيان .

وعن أسماء اليهود يقول : (**د. عبد الجليل شلبى**)[111] :

توجد للشعب الإسرائيلى عدة أسماء ولكنها غير مترادفة ولكن قد يستعمل أى اسم منها للجميع تجاوزاً وهذه الأسماء هى :

(1) العبرانيون (العبريون):

وهم الذين جاءوا مع (إبراهيم) (عليه السلام) من بلاد الكلدانيين إلى أرض كنعان وسموا بذلك لأنهم عبروا نهر الفرات متجهين إلى كنعان أو لأنهم عبروا نهر الأردن فى تجولهم فى بلاد الكنعانيين . وتُعزى التسمية فى (التوراة) إلى (عابر بن سام بن نوح) وقد فند بعض المستشرقين ذلك لأن (عابر) لم يكن أكبر أبناء سام ولا جداً أدنى لإبراهيم .

(2) الإسرائليون :

هم أبناء يعقوب الذى كُنّى بإسرائيل الذى نسل اثنى عشر إبنا (الأسباط) وبهذا يخرج من أسرة الإسرائيليين كثير من العبرانيين مثل (لوط) وذريته و (إسماعيل) ونسله و (عيسو) بن إسحاق . فهؤلاء عبرانيون وليسوا إسرائيليين .

(3) اليهود :

وينسبون إلى يهوذا الإبن الرابع ليعقوب وكانت له رسالة دينية نسبوا إليها . وقيل أنها نسبة إلى مملكة يهوذا (الإقليم الجنوبى) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصارت الرسالة الدينية بعد ذلك فى بنى لاوى (ليفى) ويعرفون باسم (اللاويين) . ولاوى اسم الابن الثالث ليعقوب ومن هذه السلالة هارون أخي (موسى) (عليه السلام) .

وهارون (عليه السلام) عند اليهود هو الزعيم الدينى . أما (موسى) (عليه السلام) فهو القائد السياسى . ولذا انحصرت - كما يدعون - الرسالة الدينية فى هارون ونسله .

وأصل العبرانيين أنهم شعب من الشعوب السامية التى انحدرت من الجزيرة العربية التى هى مهد الساميين جميعاً . وقد انفصلت منها موجات متتابعة فى أحقاب متتالية بحثاً عن الرزق والتماسا لأمكنة أخصب وعيش أرغد . ومن هذه الأجناس الفينيقيون والآشوريون والكلدانيون والأثيوبيون (الكوشيون) وغيرهم . ولم تكن (أور) UR مقرهم الأصلى ولكنهم نزحوا إليها من الجزيرة العربية وكانوا بدواً متنقلين . وكانوا قبيلة بدوية صغيرة فى الجنوب الشرقى من الجزيرة العربية وكانوا يستعملون الحُمُر (الحمير) الأهلية فى تنقلهم دون الإبل أو الخيول (لم تكن لهم اشتباكات أو حروب فاستغنوا عن الخيول ولم يجوبوا الصحارى والتزاحم على المزاعى والمياه فلم يستعملوا الإبل) وكانوا يقومون بالوساطة التجارية بين العرب والهنود خصوصا تجارة السيوف الهندية (من أهم معدات الحرب وقتئذ) وانتهى هذا الشعب لأن يذهب إلى بلاد الكلدانيين وأرض الرافدين حيث السومريون الأوائل (زراعة - تجارة - بناء معابد) ثم بعدهم العيلاميون والبابليون ثم الأكاديون الذين ظهروا فى شمال **سومر** (3000- 2360 **ق.م**) وكانت الامبراطورية الأكادية مترامية الأطراف . وعلى هذه الأمة وفد الشعب المسمى (خبيرى) أو (خبيرو) وذلك فى الربع الأول من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الألف الثانى ق.م (وجد ذلك الإسم فى رسائل تل العمارنة) . وكان إبراهيم (عليه السلام) ذو مكانة وبروز فى مجتمعه ولهذا جرؤ على مخالفتهم ومحاجتهم وكان يدعوهم إلى عبادة الله الواحد خالق كل شىء (إل شاداى El shaday) وترك عبادة آلهة متعددة (الشمس والقمر والنجوم والكواكب ..) . وجاء فى شروح العهد القديم أن (تارحاً) أبا (إبراهيم) (عليه السلام) كان قد فقد ولده (هاران) أبا (لوط) (عليه السلام) فلم يطق الإقامة فى (أور) فتركها تخفيفا عن نفسه. ويقال أن بلدة (حاران) هى مقر القبيلة الأصلى ولما جاء غارات العيلاميين مكتسحة ومدمرة حملت السكان على الفرار. وكانت أسرة (حاران) ضمن الفارين والراحلين إلى أرض كنعان . وفى عام 1960 ق.م دُمرت مدينة (أور) العاصمة تماما . وقد مات (تارح) فى (حاران) قبل الرحيل والهجرة فآلت رئاسة الأسرة إلى أكبر أبنائه (إبراهيم) (عليه السلام) والذى تنقل وعائلته فى إقليم سوريا على حافة الصحراء كما انتقل إلى مصر وعاد منها بجارية (هاجر) تزوجها وأنجبت له (إسماعيل) (عليه السلام) وكانت زوجته (سارة) التى رافقته من (أو ر) عاقراً رزقت فيما بعد بولدها (إسحاق) (عليه السلام) الذى أنجب بدوره ولدان (عيسو) و (يعقوب) . وسمى (عيسو) لحمرة كانت به (آدوم) . ونشأ من ذريته الشعب الآدومى (الآدوميون) . أما (يعقوب) (عليه السلام) فسمى بعد ذلك بإسرائيل (بمعنى جندى الله أو محفوظ برعاية الرب) وقيادة الأسرة أصبحت ليعقوب وكذلك أسند إليه كيانها الدينى. وتزوج يعقوب من ابنة خاله (لابان) (ليئة) التى أنجبت له أولاداً تسعة ثم من (راحيل) التى أنجبت له يوسف (بمعنى ليبارك الله) وأخاه . و (يوسف) (عليه السلام) هو الذى تولى - فيما بعد - أمانة خزائن مصر (وزير المالية) فى عهد المجاعة التى شملت مصر والشام وأتى بأهله أجمعين إلى مصر ويقال أنهم مكثوا فيها حوالى 220 سنة تكاثروا خلالها وزاد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عددهم . وكان من نسلهم (موسى و هارون) الذين خرجوا من مصر إلى أرض سيناء . ومكثوا فيها أربعين عاما (التيه) مات خلالها موسى وهارون فانتقلت قيادة الإسرائيليين إلى (يوشع) عام 1250 ق.م الذى ذهب بهم إلى بادية شرق نهر الأردن فى الجنوب الشرقى من سوريا وظلوا يوالون الحروب مع البلاد المجاورة للاستيلاء على أماكن خصبة وتأسيس دولة خاصة بهم . فكانت حروبه مع ملك الأموريين (سيحون) ثم على (عوج) ملك باشان ثم استطاع أن يقتطع مدنا من مملكة كنعان فى فلسطين أهمها (أريحا) وهى مدينة مقدسة واستمرت الحروب لأكثر من ألف عام . وبعد الاستيلاء على تلك البقاع بدأ الإسرائيليون بتقسيم الأرض بينهم أحد عشر قسما (لأحد عشر سِبْطا) وبقى سبْط (يهوذا) الإبن الرابع ليعقوب موزعا بين الأسباط الأخرى لأن الرسالة الدينية كانت مقصورة عليهم فجعل منهم معلمون فى كل سِبْط . واختار كل سبْط رئيساً له فكان هؤلاء الرؤساء يعقدون مجالس للتشاور فى أمر الجماعة وتصريف شئونها . ويسمى الواحد منهم قاضيا . وعرف عهدهم باسم (عصر القضاة) وهو العهد الذى امتد حوالى مائة وستين عاما (1180 - 1020 ق.م) وفى أواخر هذا العهد كان الرئيس الدينى هو (صموئيل) الذى اختار (شاؤل) كأول ملك عليهم (اسمه طالوت فى القرآن) . وكان ملكا فاشلا لم يستطع أن يحقق لهم نصرا ضد الفلسطينيين بل انهزم هزيمة شنيعة فقد فيها ثلاثة من أبنائه ثم انتحر حزنا عليهم . وجاء (داود) ليقتل جالوت (جوليات) زعيم الفلسطينيين ومد حدود دولة إسرائيل إلى أقصى ما وصلت إليه المملكة واتخذ أورشليم لتكون عاصمة الدولة . وبنى معبداً على أنقاض معبد لليبوسيين (أهل القدس) واستمر حكمه حوالى 40 عاما (1012 - 972 ق.م)كانت مليئة بالحروب والانتصارات والغنائم . وخلف (سليمان) أباه (داود) (عليه السلام) واستمر حكمه حوالى 40 عاما (971

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

-931 ق.م) وأقام عدة مشروعات تجارية ومعمارية وبنى هيكلا فخما وقصرا عظيما وتزوج من ابنه أحد الفراعنة المصريين . وانقسمت الدولة بعده إلى مملكتين (يهوذا) فى الجنوب وعاصمتها (أورشليم) ومملكة (إسرائيل) فى الشمال وعاصمتها (السامرة) ثم بدأ الضعف يدب فى المملكتين وأصبحت إسرائيل محاصرة بخصمين أقوياء (مصر وبابل) وانحازت إسرائيل إلى قوة مصر وظلوا تحت هيمنتها لقرون واستعدوا بذلك عليهم ملك بابل وآشور . وكان غزو الملك (سرجون الثانى) لهم بعد ذلك .

وتوالى أنبياء وملوك إسرائيل بعد موسى ويوشع وسليمان حتى عاموس (750 ق.م) الذى أعلن أن (يهوه) إله الناس جميعا وليس إله إسرائيل وحدها . و(عاموس) هو الذى أعلن أن الله محبة[112](وهو المبدأ الذى تبنته المسيحية فيما بعد) وأعلن أن المظاهر الدينية من الأناشيد والمحروقات ومسنمات المعابد كلها لا قيمة لها عند الله وإنما قوام العبادة هو الإخلاص لله وحذر بنى إسرائيل أن يعتبروا أنفسهم شعب الله المختار وهم منغمسون فى المعاصى (انظر سِفْر عاموس) . وإزاء الانحلال الخلقى والدينى فى الدولة أصبحت مهيأة لأن تكون غنيمة للأشوريين الذين استولوا عليها بعد حوالى عامين من دعوة عاموس . وفيما بين عامى 745 727 ق.م ظهر (تجلات فلاسر) Tiglath Pilesser امبراطوراً على دولة أشور وكان محاربا قويا فأخضع فى سلسلة من حملاته دمشق وجلعاد والجليل وغيرها وجعلها من ممتلكات آشور وعين عليها حكاما وفرض عليها جزية ثقيلة واضطرت إسرائيل أن تدفع جزية أيضا . ولكن فى عام 722 ق.م رفض (هوشع) ملك إسرائيل إذ ذاك أن يدفع الجزية وكان امبراطور آشور وقتئذ (سرجون الثانى) فحاصر السامرة ثلاث سنوات حتى استسلمت له وكانت هذه نهاية مملكة إسرائيل (السامرة) وأخذ (سرجون) جمهوراً من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الإسرائيليين سبايا (أسرى) إلى أقصى جزء فى امبراطوريته (ميديا) ثم غمر البلاد بسكان مجلوبين من القرى الآشورية والعيلّامية والبابلية فأقاموا على أرض فلسطين وامتزجوا ببقايا الإسرائيليين بها . وكان الشعب الناشئ عن هذا الامتزاج وثنياً وتكون منهم السامريون الذين سكنوا (السامرة) واتحدت معتقداتهم الدينية بعبادة (يَهْوَه) وظل هذا المزج قائما حتى عاد (عَزْرا) و (نحْميا) من السَبْى البابلى فدعيا إلى تنقية الإسرائيليين من الدماء الأجنبية وطردا من أورشليم حفيد الكاهن الأعلى لأنه تزوج من ابنة الحاكم السامرى . ولكن السامريين ظلوا يهوداً وبنى لهم هيكلاً على جبل (جريزيم) ومع الزمن ازداد العداء بينهم وبين الإسرائيليين وخصص السامريون معبدهم للإله (زيوس) وظلوا بعد ذلك طائفة مستقلة . أما المملكة الجنوبية (يهوذا) فقد كانت شديدة الصلة بميراث (داود) وملكها (رحبعام) بن سليمان . وقد حكمها تسعة عشر ملكا وامتد عهدها نحو قرن وثلث زيادة على المملكة الشمالية وأمضت نحو قرن فى هدوء شامل سالمة . حتى كان آخر ملوكهم (صدقيا) 597 – 586 ق.م وكان يدفع الجزية لـ(نبوخذ نصّر) عدة أعوام ورأى أن يقف بجانب مصر ضد بابل وأن يقطع الجزية كما يفعل (هوشع) ملك السامرة من قبل فأرسل (نبوخذ نصّر) جيشاً دمر أورشليم وهدم المدن الهامة واقتادوا حوالى خمسين ألفا من السبايا إلى بابل . ولما زالت دولة كلدانيا وجاءت دولة الفرس قاد (كورش) الملك الفارسى (539–538 ق.م) الجيش الفارسى لتحطيم بابل وأعاد السبايا اليهود إلى موطنهم الأصلى ولكنهم لم يعودوا جميعا فقد آثر أصحاب الثروات والمزارع أن يبقوا لممارسة أعمالهم بعدما امتزجوا بالبابليين . ومن العائدين (زروبابل) و (يوشع) . وفى عهد الامبراطور (ارتحشتا الأول) عادت مجموعتان أخريان بقيادة (نحْميا) و (عزرا) وفى حوالى عام 333 ق.م جاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(الاسكندر الأكبر) بجيوشه (العهد المقدونى) وهزم الفـرس بقيـادة (دارا الثالث) وبذلك دخلت فلسطين تحت حكم الاسكندر واستجابت الدولة الوثنيـة للثقافة اليونانية بسهولة (الفكر الهللينى أى الإغريقى) لأنها أيضا فلسفة وثنية (كان أرسطو ضمن رجال الاسكندر) وتمسك اليهود بالتوراة التـى كتبـها (عَزرا) فى فترة السَبْى وألف لها شروحاً كى تفهم جيـداً ويسـهل اتباعـها (التلمود) ولم يعد الكهنة هم المرجع فى كل شىء . وبعد مـوت الاسـكندر استولى (سلوقس) أحد قواده وأقواهم على الجانب الشرقى من آسيا المقدونية وجعل عاصمته فى كابل وكان (بطليموس) قد استأثر بمصر التى أصبحـت من نصيبه . أما القائد الثالث (أنتيخوس) فقد استولى على آسـيا الصغـرى وشاطئ البحر حتى غزة . وأدخل (بطليموس) فلسطين فى حـدود مصـر بمساعدة (سلوقس) لأكثر من قرنين (من عام 312 ق.م) وأصبحـت هـذه السنة هى **بداية التاريخ السلوقى (اليونانى)**.وأصبح اليـهود تحـت حكـم مصـر وهاجر كثيرون منهم إلى مصر (عصر البطالمة).وكـانت اللغـة اليونانية هى اللغة الرسمية للحكومة.وكانت العاصمة (الاسكندرية) مركـزاً لتجمع اليهود وترجموا التوراة إلى اليونانية (عام 270 ق.م) وسميت الترجمة (**بالترجمة السبعينية**) حيث استفاد منها اليهود الذين يتكلمـون اليونانيـة . ومن هذه الترجمة نقلت فلسفة اليهود ودينهم إلى الأمم الأخرى . أما فلسـطين فقد أصبحت تحت حكم السلوقيين بعد تقلص نفوذ البطالمة فيـها وانتشـرت الثقافة (**الهليستنية**) التى تختلف عن الثقافة (الهللينية) فى كونها خليط مـن الثقافة الأصلية مع ثقافات وافدة مشوهة من الفـرس والـهنود والبـابليين . وأصبح التفكير الفلسفى منحطاً وتلوث بنزعات مادية وأخلاقية وضيعة حيـث **تفشت الإباحية (جذباً للشباب) فأهمل اليهود التـوراة وتعاليمـها وارتـد بعضهـم عن يهوديتهم وانتشر الفساد وأقيمت المعابد الوثنية وأمر بمزاولة**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طقوسها وكانت الخنازير تُذبح على مذبح الهكيل وحرم الاختتان (الختـان) وعبادة يوم السبت والاحتفال بالأعياد اليهودية وقراءة التوراة ومن يخـالف ذلك يُعدَم. وكان ذلك محاولة من (أنتيخوس) السلوقى لاسـتئصال الديانـة اليهودية من البلاد نهائيا . وجعل الهيكل معبداً للإله (زيوس) كبـير آلهـة اليونان . وقام اليهود بثورة ضد الملك (**ثـورة المكـابيين**) بـدأت سـرية وصغيرة ثم ازدادت (الحاخام ماتلثياس ثم ابنه يهوذا) حرب عصابات ضـد المحتل (رافعاً لواء الغيرة على التوراة وتحرير الوطن) وسُمى (**المكابى**) التى تعنى فى العبرية الضارب بالمطرقة . واستطاع أن يستولى على بيـت المقدس وطهره من الوثنيات (165 ق.م) فى ديسمبر (عيد الهنوكة) وسمى العهد بعهد المكابيين . وفى عام 143 ق.م أمكن التحرير والاستقلال التام مـن الاحتلال والسيطرة السورية (التابعة للسلوقيين) . واستمرت المملكة المكابية خمسة وستين عاما (168 – 105 ق.م) حتى جاء الرومان فـأعفوا الأسـرة المكابية ووُضع مكانها أسرة (هيرود) أو هيرودس وظهرت فرقتان جديدتان منبثقتان عن جماعة (القُـرّاء العُبّـاد) أى (الحاسـيديم) وهـم جماعـة (الفـريسيين) Pharisees وجماعة (**الصدوقيين**) Saducies وفـى عـام 66 ميلادية قام القديس (مناحم) قائد جماعة (الحماسـيين الجليليين) بثـورة وإعلان الحرب لتخليص بلاده من الحكم الرومانى . وحاول كل من الفريسيين والصدوقيين وقف هذه الثورة ولكنها اندلعت طائشة ضد الحكم الرومانى فـى عهد (نيرون) الذى عهد إلى قائده (فاسباسيان) بإخمادها فدمر بعض المـدن وأخضع المناطق الريفية ثم تقدم لحصار أورشليم فمات (نـيرون) وأصبـح (فاسباسيان) امبراطوراً بعده وعين ابنه (طيطس) أو (تيطوس) قائداً مكانـه فحاصر أورشليم حتى استسلم اليهود بعد مشقة (انتحروا) ودمر ما تبقى من حصون ومبان . ودمر الهيكل عام 70م . وتدمير الهيكل كان فى واقع الأمـر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نهاية الفتنة ونهاية الدولة اليهودية . واتخذت اليهودية الصورة التى احتفظت بها إلى أيامنا هذه صورة دين بلا معبد ولا كهنوت ولا قرابين . واختفت طائفة الصدوقيين وأصبح الفريسيون والأحبار زعماء شعب لا وطن له[113] واختفت فرق اليهود العديدة ولكن بحكمة جماعة من الفريسيين قُدر لهم البقاء حيث كانت تعاليمهم غير مشددة (**يرون أن الله أو يَهْوَه رب الكون كله لا اليهود وحدهم وأن العبادة تُقام فى أى مكان لا فى الأرض المقدسة فقط وأن فقدان الهيكل لا يعنى قطع الصلة بالله**) . وكان الفريسيون يقولون إننا نؤمن ببقاء الأرواح وفساد الأجساد . وتكونت فى مدرسة (يوخنان) زعيمهم أوسع التعاليم اليهودية وتمت الشروح الشفوية التى تكون منها بعد ذلك (المِدْراش) و (المِشْنا) والشروح الواسعة الأخرى وعزى أتْباعه بأنه مادامت التوراة باقية فإنها كفيلة بجمعهم حولها وربطهم مهما تباعدت أمكنتهم برباط مقدس . **ويمكن أن تمثل المِدْراش بالتفسير والمِشْنا بالفقه** . وترجع بداية المِدْراش إلى عهد (عَزْرا) وقد قاومها الصدوقيون . وكان أول من بوّب ورتّب (المِدْراش) هو (**عقيبا**) أو عقيبة العالم الربّانى (50 – 135 م) وهو أول من عالج تنظيم قوانين (المِشْنا) ونظم أول دراسة تجمع المِشْنا والمِدْراش والأخذ منهما معاً وعرفت هذه الدراسة باسم (**الحلقة**) Halachah أو (**الهالاكا**) .

ويتضح من ذلك كله أنه لا النصوص ولا القوانين اليهودية مما ورث عن (موسى) (عليه السلام) أو الأنبياء من بعده وأن الربانيين والأحبار أدوا الدور الأكبر خلال القرن الميلادى الأول وأنهم حذفوا وأضافوا وهذبوا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولم يكن التلمود ثمرة تفكير . بل هو التفكير نفسه . فكل الأفكار المختلفة قد دونت فيه[114] وليس من المستطاع فهم التلمود إلا إذا دُرس فى ضوء التاريخ على أنه العامل الفعال الذى أبقى على شعب مطرود يتهدده خطر التفكك التام[115] .

إن الاعتقاد بعودة المسيح الثانية هى التى أقامت صرح المسيحية وإن الأمل فى الدار الآخرة هو الذى أبقى عليها[116]. وقد أمدت المسيحية روما بالنظام كما أمدتها اليهودية بمبادئها الخُلُقية وكما أمدتها بلاد اليونان (الإغريق) بفلسفتها الدينية وقد دخلت هذه كلها فى بناء الدين المسيحى مع ما دخله وما امتصه من الأديان المعارضة [117] . **وقد كانت المسيحية عند الامبراطور (قسطنطين) وسيلة لا غاية . لأنه لو كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ**[118] . وكان قسطنطين قبل أن يعتنق المسيحية قد سوى من الوجهة القانونية بين الدين اليهودى وبين سائر الأديان التى يدين بها رعاياه . **أما بعد اعتناقه المسيحية (تشبهاً بأمه) فقد اضطهد اليهود وفرض عليهم قيوداً وحرّم على المسيحيين أن يتصلوا بهم ونفى أحبارهم وجعل زواج اليهودى من مسيحية جريمة يُعاقَب عليها مرتكبها بالاعدام**[119].

إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها (فى صورة لاهوت الكنيسة وطقوسها) . ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه الأرض ألف عام[120].

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اليهود من الفتح الإسلامي إلى العصر العثماني

ليس بمستغرب أن يفكر المسلمون فى فتح بيت المقدس وهو البيت الذي ورد ذكره فى القرآن وفى أحاديث النبي (ﷺ)والصحابة الكرام . ولقد كانوا مدفوعين لهذا الفتح بعوامل عدة منها ماهو دينى ومنها ما هو اقتصادي ومنها ما هو استراتيجي وحربى[121] . فقد أُسرى بالنبي (ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله . وما كان للنبي ليسرى إلى هذا البلد لولا أنه عِرق الجزيرة النابض وقلبها الخفّاق ومهبط الرسالات السماوية السابقة وأنه لاحياة للعرب - آمنةٌ - فى جزيرتهم إذا لم تكن تخومها الشمالية محمية .

وفى الحديث الشريف[122] :

*لا تُشدّ الرِحال إلا إلى ثلاث مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى .

وقد حث النبي (ﷺ) قومه على غزو الروم للأسباب السابقة. ولكن المنية فاجأته قبل أن يدرك غايته فأكمل الخليفة الأول (أبو بكر) وصيته وراح يستنفر العرب من أجل فتح الشام كلها وليس بيت المقدس وحده . وقد جهز لهذه الغاية أربعة جيوش عقد ألويتها لأربعة من كبار القواد هم : عمرو بن العاص (إلى فلسطين) وشرحبيل بن حُسّنة (إلى الأردن) وأبو عُبيدة بن الجراح (إلى دمشق) ويزيد بن أبى سفيان (إلى البلقان)[123] وبعد أن هزم المسلمون الروم فى اليرموك وفتحوا الشام ولّوا وجوههم شطر فلسطين . فتولى أبو عبيده بن الجراح حصار إيلياء (القدس) وراح عمرو بن العاص يفتح المدن الفلسطينية الأخرى وكان أبو بكر الصديق قد انتقل إلى دار البقاء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتولى (عمر بن الخطاب) الخلافة من بعده . وفى قول أن عمر بن الخطاب هو الذي أوعز إلى أبى عبيده أن يزحف إلى إيلياء فلبى أمر الخليفة واستدعى سبعة من مقاديم الجيش فعقد لكل منهم راية ضامّاً إليه خمسة آلاف مقاتل وأمرهم بالمسير إليها . ففى اليوم الأول سار (خالد بن الوليد) وفى اليوم الثاني تبعه (يزيد بن أبى سفيان) ثم (شرحبيل بن حُسْنة) فـ (المرقال بن هاشم) فـ (مسبّب بن نجبة الفزازرى) فـ(قيس بن المرادى) فـ (عروة بن مهلهل بن زيد الخيل) . وجاء من وراء الجيش قائده (أبو عُبيدة). ولما حل ركبه فى الأردن بعث إلى أهل إيلياء الرسل مزودين بالإنذار التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبى عبيدة بن الجرّاح إلى بطاركة أهل إيلياء وسكانها . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول (ﷺ). أما بعد . فإنا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله . محمد رسول الله . وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور . فإن شهدتم بذلك حُرِّمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراريكم وكنتم لنا إخوانا . وإن أبيتم فأقرّوا لنا بأداء الجزية عن يدٍ وأنتم صاغرون . وإنْ أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حباً للموت منكم لشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبداً حتى أقتل مقاتليكم (الجنود) وأسْبى ذراريكم (المدنيين) .

وانقضت الأيام الأربعة الأولى من غير حرب ولم يتلق المسلمون جواباً من الروم على إنذارهم . وفى اليوم الخامس اقترب يزيد بن أبى سفيان من السور وكلم المحاصرين فخيرهم بين التسليم أو دفع الجزية أو القتال فرفضوا الشرطين الأولين واختاروا القتال . وكان أول من برز للقتال بنو حِمْير ورجال اليمن فتلقاهم الروم بالنبال ثم جاء الآخرون ونشبت معركة طاحنة دامت عشرة أيام وفى اليوم الحادي عشر أشرفت راية أبى عبيدة وفى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رفقته عبد الرحمن بن أبى بكر ونفر من المجـــاهدين الأبطـــال . فاســتقبله المسلمون بالتهليل والتكبير ودب الرعب فى قلوب الروم ودام الحصار أربعـة أشهر لم ينقض يوم واحد منها دون قتال إلى أن قنط (يئس) السكان وحل بهم الضنك والجوع فرأوا التسليم إلا أنهم اشترطوا ألا يسلموا المدينـــة إلا إلـــى شخص الخليفة فوافقهم أبو عبيدة وأمر جنده بالكف عن القتال وفـــر القـائد الرومانى (أَرْطَبون) إلى مصـــر وصـــار زعيـــم المســـيحيين البطريـــرك (صفرنيوس) .

ويقول (ابن حنبل)[124] :

أرسل أبو عُبيدة إلى الخليفة كتابا يخبره بما جرى وبعد أن استشار عمر بن الخطاب أهل الحل والعَقد من المسلمين في الأمر غادر المدينة متوجهاً إلى بيت المقدس . ولما وصل إلى المخيم الذي كان يرابط فيه المســـلمون علـــى مقربـــة من السور(وفى قول على جبل الزيتون) استقبله المسلمون بخيلهم ورماحهم وقد اصطفوا لاستقباله فى صفوف متراصة راكبين خيولهم متقلديـن سيوفهم شارعين رماحهم يهللون ويكبرون . وكان هو لابساً ســـلاحاً متنكبـــاً قوسه ولم يكن معه سوى عبده . وبعد أن استراح قليلاً قصّ عليه أبو عبيـــدة الخبر اليقين عما جرى منذ افترقا إلى ذلك الحين فأمر الخليفة من فـــوره أن يبلغوا البطريرك قدومه ففعلوا . وجاء البطريرك بعد قليل حـــاملا الصليـب المقدس على صدره وجاء معه عدد من الأســـاقفة والقساوســـة والشمامســـة والرهبان حاملين الصلبان . ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلـــهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام ثم تحادثوا فى شروط التسليم وكتب لـــهم وثيقـــة الأمان التالية والتى عرفت باسم (**العهدة العُمَرية**)[125]: بســـم الله الرحمـــن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله (عمر) أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعطاهم أماناً لأنفسهم و أموالهم وكنائسهم وصلبانهم . سقيمها وبريئها وسائر ملّتها . أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم . ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم ولاشيء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم . ولا يضار أحد منهم . **ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود** .وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص . فمن خرج منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية . ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بِيَعهم وصُلُبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بِيَعهم وصُلُبهم حتى يبلغوا مأمنهم . فمن شاء منهم قعد وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم . وعلى ما أقول فى هذا الكتاب عهد الله وذمّة رسوله وذمة الخلفاء وذِمّة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية .

(كتب سنة 15 هجرية) وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبى سفيان.

وكما أن عمر بن الخطاب أعطى أهل إيلياء العهد الذى تقدم ذكره فقد أخذ عليهم أيضا عهداً . ولقد جاء فى عهدهم مايلى :

هذا كتاب لعبد الله (عمر بن الخطاب) أمير المؤمنين من نصارى مدينة إيلياء إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملّتنا وشرَطنا لكم أن لا نحدث فى مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا نحبس منها ما كان فى خطط المسلمين [أى تخطيط الشوارع والمباني] ولا نمنع كنائسها أن ينزلها أحد من المسلمين بليل ولا نهار [للتفتيش] وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل . وأن ننزل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مرّ من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نوارى فـــى كنائســنا ولا فـــي منازلنـــا جاسوساً ولا نكتم غشاً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن . ولا نظهر مشركا [أى لا نناصر مشركاً] ولا ندعو إليه أحداً . ولا نمنع أحداً مـــن دو ن قرابتنا الدخول فى الإسلام إن أراده . وأن نوقـــر المســـلمين . ونقـــوم مـــن مجالسنا إذا أرادوا الجلوس . ولا نتشبه في شيء من لباســـهم فـــى قلنســـوة ولاعمامة ولا نعلين ولا فرْق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكنـــاهم [ألقابهم] ولا نركب السروج ولا نتقلد السيوف ولا نتخذ شيئا من الســـلاح ولا نحمله ولا ننقش على خواتمنا بالعربية . ولا نبيع الخمر . وأن نجـــزّ مقـــادم رؤوسنا (القُصّة) وأن نلزم زيّنا حيثما كنا . وأن نشد زنانير على أوســاطنا . ولا نظهر الصليب على كنائسنا . ولا نظهر صلباننا ولا كتبنا فى شيء مـــن طرق المسلمين ولا فى أسواقهم . ولا نضرب نواقيسنا فى كنائسنا إلا ضربـــا خفيفا . ولا نرفع أصواتنا مع موتانا . ولا نتخذ من الرقيق ما جـــرت عليـــه سهام المسلمين [لا نشاركهم غنائمهم] ولا نطلع عليـــهم فـــى منازلـــهم [لا نتجسس عليهم] .

وبعد أن تعاطى الفريقان العهود والأيمان على النمط المتقدم ذكره دخل عمر بن الخطاب إيلياء (15 هجرية / 636 ميلاديـــة) فاســـتقبله – صفر نيوس ودخل من ورائه المسلمون مهللين ومكـــبرين وقـــد كـــانوا متقلدين سيوفهم وراية العرب ترفرف فوق رؤوسهم . وكان أول عمـــل قام به (عمر بن الخطاب) بعد فتحه بيت المقدس أن زار كنيسة القيامة. ولما كان داخلها حان وقت الصلاة . فأشار عليه البطريرك (صفرنيوس) أن يصلى فى داخل الكنيسة قائلا له : مكانك صلّ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن (عمر) أبى وخرج من الكنيسة وصلى فى مكان علـــى مقربـــة منها خشية أن يتخذ المسلمون صلاته فى الكنيسة ذريعة فيضعوا أيديهم عليها. فقابل النصارى عمله هذا بلا شكر . وذكره المؤرخون بالتقدير . ثم زار عمر مكان الهيكل وكان فى حالة خراب تام تجمعت فيه الأقذار فأصبح عبارة عـن مزبلة (مكان تجمُّع للقمامة والقاذورات) فراح يحفن التراب وينحصه بكفيـه (أى ينظف المكان) وحذا الصحابة حذوه وبرزت الصخرة وأمـــر عمـــر أن يُبنى هناك مسجدا. فبنى المسجد وكان من الخشب (عام 637 م.) (أعاد بنـاءه الخليفة عبـــد الملـك بـن مـروان وأصبـح الآن بمـا يعـرف **بمسـجد الصخرة**)[126].وراح يتجول عمر في شوارع المدينة ويغشى أسواقها وكانت لا تزال تئن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسى عام 614 م . **ولم يكن فـــى القدس معبداً أو هيكلاً يهودياً عندما فتحها(عمر) ولو وجـــد ذلـك لأمـــر بالإبقاء عليه ولأمر بصيانته والمحافظة على نقوشه ومحتوياتـه**[127]. ورأى عمر بعين ثاقبة أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي أولا فلم يتوان . ففـــرض للمسلمين الفروض وأعطى العطايا ثم وضع التاريخ الهجري ودوّن الدواويـن وقسم البلاد إلى مناطق وعيّن لكل منطقة أميراً ثم رتـــب الـبريد ليؤمـــن الاتصال بين هذه المناطق . وأقام العيون (المباحث والمخـــابرات) وعيـن قاضيا (مفتشا) يطوف على المأمورين ويحقق الشـــكايات وأســس الحِسْـبَة (البلدية) لمشارفة الموازين والمكاييل ومراقبتها ولمنع الغش . وتنظيف الأزقة والرفق بالحيوان وهدم البناء المحدث فى وسط السوق. وحظر علـــى النـــاس الازدحام فى الطرق . وحضهم على التجارة . وبينمـــــا كان (عمر) يتفقـد المدينة أتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين فى كرْم عنـــب . فشـكا إليـــه همه فركب معه . ولما رأى فريقا من المسلمين أكلوا مما فـــى الكـرْم لشدة ما أصابهم من جوع أعطى الرجل ثمن ما أكلوا وأمر رجالـــه بـــالعدل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وذكر المؤرخون أن (عمر) زار قبيل رحيله عن بيت المقدس أبا عبيدة بن الجرّاح في بيته فلم يجد فيه سوى لبد فرسه (وكان فراشه ووسادته وسرج فرسه) وكسرة يابسة في كوّة بيته (حيث حاف في طاقة بالجدار) . فلما دخل (عمر) جاء أبو عبيده بهذه الكسرة فوضعها على الأرض بين يدي عمر وأتاه بملح خشن وإناء من الخزف فيه ماء. وبعد أن رتب عمر الأمور ووضع كل شيء في نصابه اعتزم الرجوع إلى المدينة المنورة. وقبل أن يغادر بيت المقدس جمع جنده فأثنى على عملهم وشكر الله إذْ صدق وعده ونصر جنده وأورثهم البلاد ومكن لهم في الأرض **ثم نصحهم بالابتعاد عن المعاصي والتوبة وتقوى الله وإلا سلب الله عِزّهم وسلّط عليهم عدوهم.**

وأقام على بيت المقدس يزيد بن أبي سفيان على أن يأتمر بأوامر أبي عبيدة . وانتدب للصلاة من بعده سلامة بن قيصر وأمّر على فلسطين رجلين فجعل (عَلْقمة بن حكيم) على نصفها الشمالي وأنزله الرملة (العاصمة الشمالية) و (عَلْقمة بن مجْزر) على نصفها الجنوبي وأنزله إيلياء (العاصمة الجنوبية) ثم عاد هو إلى المدينة .

وبعد ذلك بحوالي قرن وفي العصور الوسطى (القرن السابع إلى القرن العاشر الميلادي) ظهرت دولة فتية امتدت حدودها من بحر الخَزَر (بحر قزوين) إلى البحر الأسود ومن القوقاز إلى الفولجا وكانت عاصمتها (أتل) تقع على نهر الفولجا سميت هذه الدولة بـ (**دولة الخزر**) وكانت هذه الدولة تقع بين الامبراطورية الرومانية الشرقية المسيحية (بيزنطة) من جهة والعربية الإسلامية من جهة أخرى . فكانوا هم بمثابة القوة الثالثة في عصرهم . **وحرصاً على حماية دولتهم من ضغط المسيحية والإسلام فقد**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأى الخاقان (بولان) عام 750 م الذى حكمهم فى منتصف القرن الثامن الميلادي اعتناق اليهودية هووحاشيته وشعبه .

ويلاحظ أن أرض الخزر كانت المأوى الطبيعي لهجرات اليهود التى وفدت هرباً من اضطهاد الحكام البيزنطيين . بل كانت أشبه بوطن قومى لليهود[128] . كما ضمت بلاد الخزر أيضا عدداً كبيراً من المسلمين والمسيحيين وكان تهوّد ملوك الخزر فى خلافة (هارون الرشيد) وقد ألف ملك الخزر فى جيشه فرقة ضاربة من المسلمين (اللارشية) وهم قبيلة خوارزم الذين أقاموا فى البلاد على شروط منها[129] :

1- إظهار الدين والمساجد والأذان .

2- أن تكون وزارة الملك فيهم .

3- أنهم لا يظاهروه فى حالة حربه مع المسلمين (يقفون على الحياد) ويحاربوا سائر الناس .

وقد وقف الخزر سداً منيعاً حال دون زحف العرب نحو القوقاز بيد أنهم أقاموا منذ أواخر القرن الثامن علاقة ودية مع الخلافة الإسلامية وحرصوا على المحافظة عليها . وأصل هؤلاء القبائل يعود إلى الأتراك.وكان شعب الخزر شعبا عصريا متحرراً من الأحقاد القومية ومفتوحا لمختلف الثقافات والأديان . له حكومته العادلة المتسامحة وجيشه القوى وتجارته الواسعة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول المؤرخ العربي (المسعودى)[130] عنهم :

جرى العرف فى (أتل) عاصمتهم أن يكون بها سبعة مـــن القضـــاة اثنان من المسلمين (يفصلان فى القضايا تبعا للشريعة الإســـلامية) واثنـــان للخزر (يفصلان بحكم التوراة) واثنان لمن بها من النصرانيـــة (يحكمـــان بحكم النصرانية) وواحد للصقالبة والروس وسائر الجاهلية الوثنية (يحكـــم بأحكام الجاهلية) . وإذا ورد عليهم ما لا علم لهم به اجتمعوا إلـــى قضـــاة المسلمن فتحاكموا إليهم وانقادوا إلى ما توجبه شريعة الإسلام . وقـــد قضـــى الروس على امبراطورية الخزر فى النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي ودمـــروا عاصمتهم (أتل) ولكنهم ظلوا محتفظين باستقلالهم داخـــل حـــدود أضيق عن ذى قبل إلى أن سقطت بلادهم فريسة لغارات المغـــول بزعامـــة (جنكيز خان) فى منتصف القرن الثالث عشر . **ولكنهم قبل هذا الغزو وبعده كانوا قد أرسلوا فروعا كثيرة من سلالتهم إلى البلاد الصقلية التي لم تقع في أيدي المغول وساهموا بالتالي فى تكوين جاليات يهودية كبيرة فـــي شـــرق أوروبا .**

وخلاصة ما ينتهي إليه الكاتب اليهودي (آرثر كيستلر)[*] ويوضحه :

أن غالبية اليهود الحاليين ليسوا من أصل أسيـــوي.أى أنهم ليســـوا من قبائل الأسبـــــاط الاثنى عشر (نسل يعقوب وأخوة يوسف) بل إنـــهم ينحدرون من الخزر (الذين أطلق عليهم الكاتب القبيلـــة الثالثـــة عشـــر) والذين انتشرت ذريتهم في كثير من دول شرق أوروبا خاصة بولندا والمجر

---

[*] يهودى روسى ومؤلف كتاب (القبيلة الثالثة عشر ويهود اليوم) وأسباط اليهود اثنى عشر سِبْطا فقط أما يهود اليوم فلا يتشكلون منهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وروسيا أى أنهم لم يجينوا من فلسطين بل جاءوا من القوقاز . أى بعبـــارة أخرى فإن مصطلح معاداة السامية لم يعد له معنىً فى ضوء هذه الحقيقة .

ويشاركه الرأي (د. **ابراهام بولياك**) اليهودي الروســـي وأســتاذ التــاريخ اليهودي فى جامعة تل أبيب . وأثبت أيضا النمســاوي (**هوجرفريــر فــون كوتشيرا**) عام 1847 - 1910 م . فى بحوثه عن الخزر أن يــهود شــرق أوروبا ينحدرون منهم .

وقد استمد (ارثر كيستلر) واستقى معلوماته تلك من عدة مصادر[131] :

(1) المصادر العربية :

رسالة ابن فضلان ، البلخى ، الاصطخرى ، المسعودى ، البكـــري ، ابــن رسته، اليعقوبى ، ابن مسكويه ، ابن النديم ، الدمشقى ، ابن حوقـــل ، ابــن العديم ،وياقوت .

وابن فضلان هو الوحيد الذي عاصر تلك الأحداث .

(2) المصادر البيزنطية :

مؤلفات الامبراطور البيزنطي المؤرخ (**قسطنطين السابع**) بورفيرو جنيتوس (**كتاب المراسم**) عام 950 م .

(3) المصادر الروسية :

الحوليات الروسية فى الفترة ما بين القرن السابع والعاشر الميـــلادي وهى الحوليات التى انتهت أخبارها سنة 1112 م . وتسمى (**قصة الســـنوات الغابرة**) وهى تتضمن بيانات صادقة عن تلك الفترة تولى جمعها راهب مــن كييف اسمه (**نستور**) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(4) **الرسائل الخزرية :**

وهى رسائل بالعبرية ترجع إلى القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادى تروى قصة اعتناق شعب الخزر اليهودية .

(5) **المصادر الحديثة :**

مثل **دوجلاس دانلوب** ، توينبى ، بيورى، بارون، مكارتنى، فرنادسكى، وكالة (**مجموعة الجنيزة**) (وهى مجموعة وثائق عبرية محفوظة في المعبد اليهودي بالقاهرة بمصر) .

وعليه فإن كيان دولة إسرائيل لا يستند إلى أصول اليهود العرقية النظرية ولا يستند إلى ركائز عقائدهم الدينية وإنما يقوم أساسا بمقتضى القانون الدولي (قرار التقسيم فى عام 1947 م) والذي كان نتيجة تدفق هجرات اليهود إلى فلسطين لسنوات طويلة قبل ذلك .

ويقول (رافائيل باتال)[132] **:**

أظهرت نتائج أبحاث علم الأجناس البشرية أنه خلافا للشائع ليس هناك جنس يهودى حيث تدل قياسات الأجسام البشرية التي أجريت على مجموعات من اليهود أنهم يختلفون بعضهم عن بعض اختلافا بيّناً في كل الخصائص الجسدية الهامة (القامة ولون البشرة وشكل الوجه وفصائل الدم) .

ويقول (ريلى) فى كتابه (أجناس أوروبا) :

إن تسعة أعشار يهود العالم لا يمتّون إلى اليهود الأولين بأي شبه وأن القول بنقاء دم اليهود حديث خرافة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويؤكد المؤرخ العربي (الاصطخرى) :

على تنوع قبائل الخزر ويقول عنهم أنهم صنفان :

1-كارا خازر (الخزر السود).

2-الشخرر (الخزر البيض).

وهم يرجعون إلى قبائل أخرى كانت تسمى (الأكاتزير) ومنها اشتقت لفظة الشخرز .

ويقول (**أرتامونوف**) المؤرخ الروسى فى كتابه (**تاريخ الخزر**) :

تحللت مملكة الخزر وتهاوت إلى أجزاء تداخلت أغلبيتها في الشعوب الأخرى المتصلة بها . أما الأقلية التي استقرت في (أتل) فقد فقدت قوميتها وتحولت إلى طبقة طفيلية ذات صبغة يهودية .

وعن اليهود فى مصر المملوكية تقول د. محاسن الوقاد : (133)

*عند فتح (**عمرو بن العاص**) لمصر عام 21 هـ / 642 م . لم يتعرض لأهل الذِمّة بسوء . فقد عامل اليهود معاملة حسنة تنطوي على التسامح الديني كما التزم بمبدأ العقيدة . وكانت العدالة تميز سلوكه تجاه أهل الذمة جميعا (اليهود والنصارى).

***فى العهد الأموي** للخليفة (**عمر بن عبد العزيز**) جرى إحلال الموظفين المسلمين محل الموظفين اليهود في الجهاز الإداري والمالي للدولة وحرم عليهم ركوب الخيل (كمظهر للعلو والعزة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

* **فى عصر الخليفة العباسي المتوكل** (235 هـ / 849 م) أمر بأن يتميزوا بلبس الطيالسة العسلية والزنانير وعلى رؤوسهم القلانس المختلفة الألوان وأن يجعل على أبواب دورهم أساطين من خشب مسمورة وذلك للتمييز بين منازلهم و منازل المسلمين. ونهى أن يستعان بهم فى دواوين الحكومة وأعمال الدولة التى تخالف أحكامهم فيها أحكام المسلمين . كما نهى أن يتعلم أولادهم فى كتاتيب المسلمين وأن يقتصروا فى ركوبهم الدواب على الحمير والبغال دون الخيل . وهذه المراسيم كان يعمل بها فى حين صدورها بمنتهى الدقة ولكن بمرور الوقت يعود كل شيء كما هو عليه وترجع سياسة التسامح مرة أخرى .

***فى عهد الدولة الطولونية** (254 - 292 هـ / 868 - 905 م) وجدت جالية يهودية بمصر وكان أفرادها من الأثرياء ورجال الأعمال وشهدت تلك الفترة اعتناق كثير من اليهود والنصارى للإسلام . وكان مساحة الحرية كبيرة . وفى هذا العصر وفد على مصر أعداد كبيرة من يهود فارس الذين كانوا يعملون فى تجارة الشرق عبر الخليج العربي بسبب تعطل هذا الطريق وعودة التجارة فى الشرق إلى طريقها الأول . وقد برع اليهود في مجال الطب واستخدم (أحمد بن طولون) عدداً منهم .

*بعد وفاة الخليفة **وعودة الولاية العباسية** لم يعكر صفو اليهود سوى المرسوم الذى صدر أثناء ولاية (**عيسى النوشرى**) على مصر 295 هـ / 908 م حيث أمر الخليفة (**المقتدر**) بألا يستخدم أحداً منهم إلا في الطب وأعمال الصيرفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

***في عهد الدولة الاخشيدية**(323 - 358 هـ / 935 - 969م) كان لليهود أنشطتهم الملحوظة في الأعمال التي تدر الأرباح الوافرة . وكان لهم محاكم خاصة بهم مع احتفاظهم في الاحتكام إلى قضاة المسلمين . ومن أشهر اليهود في ذلك العصر (**يعقوب بن كلس**) الذي اشتغل بالتجارة واتصل بكافور وأصبح يعرف بـ (**تاجر كافور**) كما أنه نظم مالية مصر في عهده . وفي أواخر عهد الدولة الاخشيدية اعتنق يعقوب الإسلام فزادت مكانته عند كافور.

***وبعد وصول الفاطميين إلى مصر** (358 هـ / 969 م) رأى خلفاء هذه الدولة أنهم قد جاءوا إلى مصر بمذهب شيعي يخالف مذهب المصريين السني . ومن ثم فقد صاروا بحاجة إلى من يعاونهم في تثبيت سلطانهم . فعمدوا إلى تقريب أهل الذمة وأظهروا لهم الكثير من التسامح واستخدموهم في أهم شئون الدولة الإدارية والاقتصادية والسياسية . ومن أشهرهم (منشا اليهودي) . وفي عهد (**الحاكم بأمر الله**) رجعت الأمور إلى سابق عهدها بالنسبة لليهود . حيث اشتد عليهم وحرم عليهم ركوب الخيل وأفرد لهم حمامات خاصة بهم **وحرق الحي اليهودي وقام بنقلهم إلى حارة زويلة وأسكنهم بها** . ولكنه عاد مرة أخرى إلى سياسة التسامح معهم ومنحهم أمانا (411هـ / 1020 م) فلعب اليهود في مجال التجارة دوراً مهما ومارسوا تجارة الذهب والجواهر والعملة وأعمال الصيرفة وأسهموا في النشاط الصناعي (صناعة الخمور والسكر والعسل والزيوت والحلي والمعادن) وزادت ثرواتهم . **ولذلك يعتبر العصر الفاطمي العصر الذهبي لليهود بمصر .**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*بعد انتقال الحكم إلى **الأيوبيين** (567 هـ / 1171 م) . أصدر (**صلاح الدين الأيوبي**) مرسوما بصرف أهل الذمة ومنع استخدامهم في الأعمال السلطانية ودواوين الحكومة (إبعاد الموالين للفاطميين ولمنع تآمرهم على حكمه خصوصا مع اشتعال الحروب الصليبية) . ورغم هذا فقد استعان (صلاح الدين) باليهود في بعض الأعمال مثل رئاسة ديوان التحقيق (**ابن كوجك**) وفي مجال الطب كان (**موسى بن ميمون**) طبيبه الخاص (أسلم في المغرب العربي قبل مجيئه إلى مصر) .

***وفي الدولة المملوكية** عرفت الجزية على اليهود باسم (**ضريبة الرؤوس**) وهي التي عرفت في العصور المتأخرة باسم (**الجوالي**) . وتختلف تلك الضريبة عن الجزية بأنها تميزت بطابع إنساني إذ روعي فيها عدم أخذها من النساء والأطفال والشيوخ وأصحاب العاهات وغير القادرين والرهبان (بشرط انقطاعهم في الأديرة) بالإضافة إلى إمكان تأجيل تحصيلها من المعسر وهي سنوية .

أما الجزية فهي جزء من اتفاق عقد الذمة حيث يكون على المسلمين حمايتهم وحماية أموالهم وتعويضهم عما تلف منها بالإضافة إلى حرية العقيدة والدفاع عنهم ماداموا باقين داخل المجتمع الإسلامي (وهي سنوية أيضا) .

ولم يكن اليهود أقلية منعزلة في المجتمع المصري وإنما امتزجوا داخل المجتمع وتولوا الوظائف الإدارية والأعمال المصرفية وممارسة مهنة الطب التي رفعت من شأنهم ومكانتهم بين أهل طائفتهم فتولوا الإشراف على شئونهم (أصبحوا زعماء دينيين للطوائف اليهودية مثل عبد اللطيف بن إبراهيم بن شمس الطبيب الذي كان رئيسا لليهود).

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وسلاطين المماليك لم يفرقوا فى المعاملة بين الأطباء اليهود والمسلمين سواء فى العطية أو فى العقاب (فى حالة الغش فى التطبيب) . **وقد حظيت أوقاف اليهود باهتمام سلاطين المماليك ورعايتهم واهتمامهم مثلما يحدث لأوقاف المسلمين** . ولم تحدث اضطهادات لليهود فى العصر المملوكي (وغيره) إلا فيما ندر . وقد أشار الرحالة اليهودي (**شولام بن مناحم**) بسماحة الإسلام وحسن معاملة المسلمين وتميزهم عن غيرهم فى كثير من الإعفاءات المالية (الضرائب والجمارك) .

وتخلوا أغلب (وثائق الجنيزة) (*) **من أية معلومات عن اشتغال اليهود** بتجارة الرقيق(الجواري والعبيد) سواء فى حوض البحر المتوسط أو المستوى الأفريقي أو الهندي .

وعن التقسيم الطائفي الديني لليهود تقول الدكتورة / **محاسن الوقاد**[134] :

يتركز الفرق بين الفرق الدينية اليهودية حول الاعتراف بأسفار العهد القديم (التوراة)والتلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما جاء فيها من أحكام وتعاليم . واليهود ثلاث طوائف هم :

الربّانيون والقراءيون والسامرة .

(1) **الربّانيون أو (الفريسيون) :**

ويطلق عليهم أيضا الربّيون والربّانون والفرزيون وسموا هكذا لاتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم فى المِشْنا (المشنة) أى سنة موسى (عليه السلام) (التوراة الشفهية) وشروح التلمود (الجمارا) .

(*) مجموعة وثائق عبرية أى يهودية محفوظة فى المعبد اليهودى (معبد عزرا الكاتب) بالفسطاط بالقاهرة تعتبر كدفتر أحوال وسجل تدوين اليهود الإدارية والدينية وغيرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و (**المِشْنا**) تشتمل على ستة أقسام يطلق عليها (**السداريم**) أى الأوامـــر وهى :

(أ) زرعيم (الزراعة)
(ب) موعيد (الأعياد)
(ج) ناشيم (النساء)
(د) نزيكين (الجروح)
(هـ) قوداشيم (المقدسات)
(و) توهاروت (الطهارة)

والتلمود (المعرفة أو التعليم) ينقسم إلى :

(أ) **المِشْنا** : بمعنى النص أو المَتْن . (الفِقْه).
(ب) **الجِمَارا** : بمعنى التفسير أو الشرح (السنة).

وهناك تلمودان :

(أ) **الفلسطيني ويسميه (اليهود الأورشليمى)**.
(ب) البابلي .

والربّانيون هم أكبر طوائف اليهود ورئيسهم له حق الإشـــراف علـــى أبناء الطوائف الثلاث . **وقد انفرد الربّانيون بشروح غوامض التوراة التـــى وضعها أحبارهم كما أباحوا تأويل نصوصها .**

(2) القراءيون :

وهم لم يعترفوا بغير التوراة ولم يتقيدوا بمـــا جـــاء فـــى التلمـــود ويعتمدون على التقويم القمرى فى حساب أعيادهم ومواسمهم . وهـــم مثـــل المعتزلة أو الشيعة في الدين الإسلامي (الذين وقفـــوا موقـــف الحـــذر مـــن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الروايات الشفوية الإسلامية وتحرجوا من اعتبار الحديث مصـــدراً أساسـيا للتشريع الإسلامي). والقراءيون يلتزمون بعدد أيام كل عيد حسب مـــا ورد في التوراة (بعكس الربانيون الذين أضافوا يوما إلى أيام كل عيد فيما عـــدا عيد يوم الغفران / كيبور) .

(3) السامرة (شومرون) :

وهـــم الذين كانـــوا يحجـــون إلى (جبل جرزيم) في مملكة إســـرائيل (الشمالية) بدلا من الحـــــج إلى الهيكل (جبل صـــهيون) فـــي مملكـــة يهـــوذا (الجنوبية) وقد نشأت هذه الطائفة بعد وفـــاة (ســـليمان) (عليه السلام) وسقوط مملكة إسرائيل على يد ملك آشور (تغلات بلاسر) وابنه ســـرجون الثاني ويذهب بعض الباحثين اليهود أن ذلك كان بعد السَبْيّ البابلى عـــلى يـــد (نبوخذ نصّر) . وقد أضاف السامريون إلى التوراة عبارات توحى بقدســـية جبل جرزيم . وهم لايؤمنون إلا بالأسفار الخمسة الأولى وأنكروا نبوة مـــن جاء بعد موسى (عليه السلام) بخلاف هارون (عليه السلام) ويوشع بـــن نـــون . وهـــم شديدوا الحرص على حرمة يوم السبت .ويؤمنون بيـــوم القيامـــة والملائكـــة ونزول المسيح . وهم أغنى أغنياء طوائف اليهود .

وهناك العديد من العادات التى انتشرت بيـــن اليـــهود مـــأخوذة عـــن المسلمـــين مثل غسيـــل الأرجـــل قبل صـــلاة الصبح وخلع الأحذيـــة عنـــد دخـــول المعـــبد (القراءيون) وقراءة (الشماع) فى بداية الصلاة (كـــمـــا تقرأ الفاتحة فى صلاة المسلمين) وعادة طهارة المحتلم بالاستحمام والتطـــهر قبل الصلاة ودخول المعبد . والصلاة فردية وأحيانا جماعية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجرت العادة أن تعرض القضايا التى تقع بين المسلمين و الذميين (أهل الكتاب) على قضاة المسلمين . أما بين الذميين بعضهم البعض فكان لهم قضاؤهم الخاص إلا إذا احتكموا إلى القضاء المحلى بينهم بشرع الإسلام . ورئيس القضاة اليهودى يسمى (النجيد) ، هو من يختارهم الوالى . وهو المختص بالإشراف على النشاط الذمي لمحاكم الوالي التابعة له على قدم المساواة . ويأخذ على عاتقه إلزام اليهود بتطبيق(**الشروط العُمَرية**)[135]وهى :

(1) الشروط المستحَقّة : وهى ستة شروط :

(أ)عدم ذكر الإسلام بذم أو قدح .

(ب)عدم ذكر الله بطعن له أو تحريف فيه .

(ج) عدم ذكر رسول الله (ﷺ) بتكذيب له أو ازدراء .

(د) ألا يصيبوا مسلمة بزنا أو باسم نكاح (زواج) .

(هـ) ألا يفتنوا مسلماً عن دينه أو يتعرضوا لماله ودمه .

(و) ألا يعينوا أهل الحرب (الأعداء) .

وهذه الشروط مُلْزِمة فإذا نقضوها نُقض عهدهم ويحكم بذلك قضاة المسلمين .

(2) الشروط المستحَبّة : وهى ستة شروط أيضا :

(أ) لبس الغيار (أى لبس ملابس ذات ألوان مخالفة لملابس المسلمين)

(ب) ألا تعلو أصوات نواقيسهم وتلاوة كتبهم .

(ج)ألا تعلوا أبنيتهم فوق أبنية المسلمين .

(د) ألا يجاهروا بشرب خمر و إظهار صلبانهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(هـ)أن يُمنعوا من ركوب الخيل (رمز العلو والعزة ومطيّة الجنود في الحرب) ولا يُمنعوا من ركوب البغال والحمير .

(و)أن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة .

و (الناجيديم) لم يبتعدوا عن اليهود ولم يعزلوا أنفسهم كما فعل رؤساء الطوائف اليهودية في بابل وكانت دورهم مفتوحة لكل اليهود المقيمين والوافدين من أماكن أخرى . وكانت العادة أن يخلف الناجيد ابنه (أشبه بنظام ولاية العهد) وكان يطلق عليه ألقاب مثل (تاج الأمة) و (تاج الرؤساء) و (تاج الوزراء) . وكان يلي الناجيد شخص يسمى (الديّان) الذي يفصل في القضايا المدنية (معظمها خلافات مالية) والكاتب (السوفير) الذي يختص بتحرير العقود والصكوك والبراءات للخصوم ونسخ عقود الزواج والطلاق . **ومجالس القضاة اليهودية تُعقد عادة في المعابد .وقد وضع القضاة اليهود عدة شروط تقضي بضرورة عدم جواز تأجير منازل اليهود للمسلمين أو النصارى . على الرغم من وجود كثير من اليهود يسكنون في منازل مِلْكاً للمسلمين .**

وطقوس الزواج[136] لا تختلف كثيراً في كافة الطوائف اليهودية وتماثل ما يحدث عند المسلمين (خطبة - قران ومهر وشهود - عقد وصلاة بركة ومأدبة والتقديس أي الإشهار والإعلان) والمحرمات من المصاهرة تماثل تقريبا المحرمات في الدين الإسلامي ويزداد عليها زوجة العم أو الخال والجمع بين المرأة وابنة ابنها أو ابنة ابنتها . **والشريعة اليهودية تجيز تعدد الزوجات** . واستمر ذلك حتى القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ثم أبطل الربّانيون التعدد وفقا لأهوائهم لكن القرائين استمروا في ذلك واشترطوا ما اشترطه الإسلام من العدل بين الزوجات (التوراة لم يرد فيها حَجْر أو حَصْر لعدد معين من الزوجات بخلاف الإسلام الذي حدد العدد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بأربعة كحد أقصى فى المرة الواحدة) وكان همّ وشاغل اليهود الأساسي من الزواج هو إنجاب الكثير من الذرارى . وهناك عادات أخرى تفشت بين اليهود مثل خطبة الأطفال (أحيانا كان يكتب بذلك عقد اتفاق فيه شروط جزائية وغرامات لمن يعدل عن التنفيذ عند البلوغ) وزواج (**اليبوم**)[137] أى زواج الرجل من أرملة أخيه إن لم تنجب من أخيه على أن يُنسَب الطفل الأول لأخيه وذلك لـ :

1- ضمان استمرار الأسرة والمحافظة على إقامة الطقوس الدينية للمتوفَى . (أى لتستمر حسناته بعد الوفاة) .

2-استمرار الاحتفاظ باسم المتوفَى فى شخص عقبه الذي يولد بعد موته ومن ثم المحافظة على أموال المتوفَى وعائلته .

3-الاحتفاظ بأرملة الميت داخل الأسرة لأنها ثروة اقتصادية عظيمة يمكن استغلالها والانتفاع بها .

4-عدم خروج تركة المتوفَى إلى عائلة أخرى .

5-انقطاع نسل الميت يُعد غضبا من الله وحرماناً له من تأدية فرائض الدين .

وفى هذا الزواج كان مجرد بسط الثوب على المرأة (الأرملة) يعتبر دليلا على إتمام الزواج . ولا توجد طقوس أخرى غير ذلك للاحتفال بزواج اليبوم حيث أن المرأة كانت تعتبر كزوجة ولا تحل لآخر (غير شقيق زوجها المتوفَى) إلا بعد (**الحليصاه**) أى طلاقها من أخي الزوج المتوفَى . ومن المعروف أن القرائيين يجمعون على تحريم زواج اليبوم وقد اختلفت طائفة السامرة مع الربّانيين فى هذا الزواج . فطائفة السامريين ترى وجوب تطبيق هذا النوع من الزواج حتى ولو خطب الرجل المرأة ومات قبل الدخول بها :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد أقر الربانيون هذا الزواج استناداً إلى بعض فقرات وردت فى العهد القديم حيث يقول يهودا لأونات:

*ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك[138] .

وورد أيضا فى (المِشْنا) ما يؤيد زواج اليبوم .

ويلاحظ أن نساء اليهود وبناتهن كن يتسمين بأسماء عربية (مثل ست البنين ، ست الدار ، ست الناس ، ست الكل ، ست الحسن ، أم مخلوف) وهذا دليل على أن اليهود كانوا جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصري .وفيما يتعلق (بالختان) **فقد ارتبط عند اليهود بالقربان حيث اكتفت الآلهة بجزء من الإنسان (الجزء الذي يُقتطع فى عملية الختان) وقد كان الختان سُنّة وعادة شائعة عند المصريين القدماء . وقد شاع عندهم للوقاية الصحية من الأقذار التي تتعرض لها الأعضاء التناسلية وقد اقتبسه اليهود من المصريين وجعلوه مرتبطا بالقرابين التي تُقدم للفقراء وارضاء الآلهة .**

واليهود ينسبون شعيرة الختان إلى (إبراهيم) (عليه السلام) ويطلقون على كل من يختتن من اليهود تعبير (**مِلّة إبراهيم**) أما إذا كان غير يهودي فيطلق عليه اسم (**حنيف**) وهم لا يؤخرون موعد الختان عن اليوم الثامن لولادة الطفل حتى ولو وافق ذلك اليوم يوم السبت أو يوم الغفران أو غيرهما من الأيام المقدسة . والذي يقوم بعملية الختان يسمى (موهيل) Mohel أى الخاتن أو المطهر الذي يُرخص له بذلك من الحاخامية أو المؤسسة الدينية التى يتبعها وأحيانا يسمح المرأة اليهودية لتقوم بالختان ولغير اليهودي أن يجرى الختان للمواليد اليهود. وللمولودة الأنثى يُجرى لها (الخَفْض). ويتم الختان والخَفْض فى الكنيس اليهودي (السيناجوج) . ومن العادات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشائعة ارتداء نساء اليهود غطاءً للرأس والنقاب أو البرقع (مثل المسلمات) خصوصا عند الخروج إلى الشوارع . وكن يتسمين بأسماء عربية مثل مِلاح وعَذْب وشمس وعزيزة وشقراء وفَخْر.

وعن أعياد اليهود تقول د. محاسن الوقاد[139]:

تنقسم أعياد اليهود إلى قسمين : شرعية وغير شرعية .

أولا : الأعياد الشرعية : وهى خمسة .

أ - رأس السنة (روش هشاناه) :

وهو عيد عتق وحرية ويناظر عيد الأضحى عند المسلمين ويعتقد الربانيون أن الكتب تُفتح في السماء وتُكتب الأعمال ويصدر الحكم على الأفراد والأمم في هذا اليوم ويحل في أول أكتوبر (تشرين) ويستمر ثلاثة أيام .

ب- عيد الغفران (كيبور) (صوماريا) :

أى الصوم العظيم ويحل فى التاسع والعشرين من أكتوبر (تشرين) .

جـ - عيد المظلة (الظُلَل أوسكوت) :

ويبدأ فى الخامس عشر من أكتوبر (تشرين) وعُرف أيضاً (بعيد الحصاد) لأنه يحدد الفترة الانتقالية من عام زراعي إلى عام آخر وهو عيد للمطر . **وعيد الغمام** (الذي أظلهم بعد الخروج من مصر) . وفيه يحمل اليهود أغصان الشجر عن دخولهم المعبد للصلاة ويضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها ويعتقدون أنه مع سقوط الأوراق تسقط عنهم الذنوب التي ارتكبوها طوال العام. ويستمر الاحتفال سبعة أيام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د - عيد الفِصْح (عيد الفطير) :

وهو عيد الربيع وموعده التاسع عشر من شهـــــــر أبريل (نيسان) ومدة الاحتفال سبعة أيام عند القرائيين (ستة عنـد السـامرة وثمانيـة عنـد الربّانيين) وهو إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون . ويسمى أيضـا (**عيد الفَسْخ**) أى الفرج بعد الضيق . وله أسماء أخرى منها الحظو والمرور والعبور ويصنعون فيه الفطير الذى لا يدخله الملح ولا الخميرة (عند فرارهم من فرعون لم يكن لديهم الوقت لانتظار تخمر الخبز الذي حملوه معهم فـــى رحلة الهروب أى العبور . **وكان بعض اليهود يلجأ ون إلى خلـط عجينـة الفطير (فطير الفِصْح) بدم بشرى يُفضل أن يكون من أحد المســيحيين أو المسلمين .**

هـ - عيد الأسابيع (العنصرة أو الخطاب) :

وكان موعده فى السادس من يونيو (سيوان) وسمى **بعيد الحصاد** (سِفْر الخروج) **ويوم البكورة** (سِفْر التثنية) وسمى شفوعوت بالعبرية . وفى هـذا اليوم **نزلت الوصايا العشر** على موسى (عليه السلام) .

ثانيا : الأعياد غير الشرعية :

وهى التي لم ترد في التوراة . وهى محدثة ومنها :

أ- عيد الفوز (البوريم) أو (أستير) :

و(أستير) هي المرأة التي نجتهم من (هامان) بزواجها مـــن أحـد ملوك الفرس حتى تفسد تدبير وزيره هامان الذي أراد أن يهلك اليهود ودبرت له مكيدة قضت عليه . وموعده الثالث عشر من مارس (آزار) ويُعرف عند الكُتّاب العرب (**بعيد المسخرة**) أو عيد المساخر بسبب ماكان يجرى فيه من إسراف في شرب الخمر وخلافه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

د- عيد الحنكة (الحانوكة) :

ويبدأ فى ليلة الخامس والعشرين من شهـــــر ديســمبر (كســلو) ويستمر ثمانية أيام ويسمى أيضا (عيد التدشين) حيث تم فيه إعــادة افتتــاح الهيكل عام 165 ق.م أيام البطالمة . والقراءيون لا يعترفون بهذا العيد .

وقد جرت العادة أن يحج اليهود في ثلاثة أعياد هــي (الفصــح) و (المظلة) و (الأسابيع) . وكان معظم الحجاج اليهـــــود يقومون بزيارة (الخليل) حيث قبور الأنبياء . وقد كان بمصر أماكن خاصة يحـــج إليــها اليهود مثل بيت المقدس تماما مثل (معبد دموه) بمحافظة البحيرة .

ومن أهم المعابد اليهودية فى مصر[140]**:**

معبد الفلسطينيين المسيحى المسمى بـــ (**معبــد عَـزْرا الكــاتب**) فــي الفسطاط بالقاهرة . ومعبد المصريين (**معبد الأستاذ**) ومعبد تركية ومعبــد ربّي دافيد بن أبى زماره ومعبد ذو المعجزة ومعبد الحاخام إسماعيل ومعبــد الحاخام يعقوب ومعبد البرتغاليين . ومعبد تلمود التوراة ومعبد حاييم كافوســى ومعبد شعر شامايم ومعبد حنان ومعبد موسى بن ميمون . ومعبد دموه **ومعبد (عَزْرا الكاتب) هو الذي عُثر فيه على (وثائق الجنيزة) الشهيرة والتـــي تؤرخ لحياة اليهود فى مصر ومعظم هذه المعابد لا وجود لها الآن** . وهـــى معابد لليهود الربّانيين . وتوجد معابد أخرى لليهود القراءين منها معبد ابـــن تسومح ومعبد ابن شميك ومعبد الخازن ومعبد سمحاه ومعبد العباسية (معبــد موشيه درعى) .

وعن تاريخ اليهود فى (الفترة العثمانية) 1517-1914 :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*يقول الباحث (**أفراهام ديفيد**) [141] :

ارتحلت أعداد كبيرة من يهود شبـــــه جزيـــرة أيبريـــا (أســبانيا والبرتغال) إلى مصر عقب طردهم منها قبيل نهايات القرن الخامس عشـــر (خروج العرب من الأندلس) باعتبارها فترة التقاط الأنفاس قبل التوجه إلـــى فلسطين . وكانت إقامتهم بمصر فى المدن والمـــراكز التجارية الهامة (مدن الساحل والمطلة على النيل) مثـــل أبـــى قـــير والخانكـــة وبنـــها والطـــور والإسكندرية والمنصورة وبولاق بالقاهرة والبرلس وبلبيس ودمياط والمحلـــة الكبرى ومليج والمنزلة والسويس وفوه والفيوم ورشيد والقـــاهرة بضواحيـــها الكثيرة .

*ويشير **الباحث (سرجيو ديلابيرجولا)** [142] إلى أن :

حرص اليهود على التمركز فى كبرى المدن بمصر خاصة مدينتـــي القاهرة والإسكندرية وذلك بخلاف سائر فئات المجتمع والأقليات الأخرى ومن الظواهر الديموغرافية نجد أن بنية المجتمع اليهودي فى مصر مـــن ناحيـــة الجنس اتسمت بقدر من الاستقرار حيث كانت الفجوة فى العدد بين الرجـــال والنساء اليهود متواضعة للغاية مما يدل على **أن الهجرة إلى مصـــر كـــانت هجرة عائلات يهودية بالكامل لا هجرة أفراد ويلاحظ شيوع ظاهرة الـــزواج المختلط** .

*وعن الحياة الاقتصادية يقول الباحث (**العازر باشان**)[143] :

أدى الاحتلال العثماني لمصر إلى تحسن وتطور الاقتصـــاد المصـــري بعـــد معاناة – فى نهايات العصر المملوكي - من الركود وانخفاض معدلات الانتاج الزراعي والصناعي. واندمج اليهود في الوضع الجديد - مـــع الحكـــم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العثماني - بفضل قدرتهم على التكيف فعملوا في مجـــالي التجـــارة المحليـــة والخارجية وفى الصفقات المالية . وكان منهم الأطباء والمترجمين والحرفيين ومجال الوساطة والوكالة التجارية بيّن الشرق والغرب وتجارة الرقيق والعبيد (المسيحيين فقط) .

*وعن الأنشطة اليهودية فى الاقتصاد المصري يشير البـــاحث (**ســـلومون سطمبولى**)[144] إلى :

تشابه أنشطة اليهود فى مصر مع تلك التى اشتغل بها سائر الســـكان عدا مجال الخدمة العسكرية الذي كان قاصراً على المسلمين . وسعى يـــهود مصر إلى الحصول على حماية القوى العظمى المتمتعة بالامتيـــازات التـــى مُنحت لها من قِبَل الامبراطوريـــة العثمانية (قُدر عدد تلك الدول المتمتعـــة بالامتيازات بخمس عشر دولة) وذلك رغبة فى التمتع بالمزايا والامتيـــازات الممنوحة للرعايا الأجانب . **واستغل تجـــار المخـــدرات هـــذه التســـهيلات الممنوحة لهم (كرعايا أجانب) أى أنهم كانوا فوق القانون . وكذلـــك تـــم إعفائهم من الضرائب .**

* وتقول الباحثة (**لئة يورنشتاين - مكوفتسكى**)[145] :

كان الحكم الذاتي الذي مُنح للطوائف اليهودية فى مصر طيلة الحكـــم العثماني هو السمة السياسية المميزة لوجود هذه الطوائف (وذلك من القـــرن السادس عشر الميلادي) فأدارت الطائفة شئون حياتها على نحو مستقل حيـــث حصلت الطائفة على رعاية الامبراطورية النمساوية والمجرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وشاع فى أوساط المجتمع اليهودي فى مصر لجوء اليهود إلى المحـــاكم غير اليهودية فى ظروف معينة مثل نقل ملكية الأرض أو تســجيل ســندات إيجار وشراء العقارات وسندات القروض ورفع قضايا ودعاوى ضد الغـــير وضد اليهود الخارجين والرافضين الخضوع للتعاليم اليهودية فى التـــوراة أو التلمود (كأن يتزوج اليهودى من امرأة ثم ترفض محاكم اليهود التصديق على زواجه لسبب أو لآخر فيلجأ إلى المحاكم الإسلامية فى ذلك وأيضا فى حالات الطلاق التى لا تعتمدها المحاكم اليهودية) .

• **ويقول الباحث (ميخائيل ليتمان)**[146] :

تأثرت عملية الهجرة اليهودية إلى مصر بإمكانيات مصر الاقتصاديـــة فضلا عن قربها من فلسطين وتزايدت أعدادهم خصوصا فترة تولى (محمـــد على) الحكم فى مصر حيث شجع هجرتهم إليها . وتفشت فى تلـــك الفـــترة ظاهرة الزواج المختلط غير أن هذه الظاهرة لم تكن مرتبطة بتغيير الديانـــة . وأيضا تفشت ظاهرة إقامة الرجال مع النساء دون زواج (سواء عشـــيقة أو زوجة أخرى لم يوافق الحاخام على زيجتها أو لم توافـــق الزوجـــة الأولـــى عليها).

*** ويقول الباحث (شلومو زالمان هافلين)**[147]:

يرتبط النتاج الفكري ليهود مصر مثله مثل النتاج الفكري لليهود فـــي سائر البلدان بالخلفية الروحية والتوراتية للطائفة اليهودية . وقد أزعج تحريـــم التوراة الإقامة في مصر كثير من الحاخامات الذين حاولوا تجاوز هذا النـــهى في ظل ظروف معينة حيث رأى الحاخامات أن التوراة تحرم الإقامة علـــى نحو دائم في مصر ولكنها لا تحرم السكن فى مصر باعتبار أن ذلك وضعـــا مؤقتا ريثما تسمح الظروف بالذهاب والإقامة فـــي فلســـطين بصفـــة دائمـــة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(انتظاراً لمجيء المسيح المخلّص) وهذا الوضع لـــم يتـــح فرصـــة وجـــود حاخامات من مواليد مصر وكان استخدام حاخامات من الخارج أمراً عاديـــا ومطلوباً . ومعظم النتاج الفكري والروحي لليهود فى مصر يتلخـــص فـــي : التفسير والشريعة وأدب الفتاوى والخطـــب وتفاســـير التـــوراة والتصـــوف (**القبالاه**) والشعر والتاريخ .

*ويقول الباحث (**ديفيد كاسوتو**)[148] :

ترتبط أغلب المعابد اليهودية بمصر بعظماء اليهود ســـواء القدامـــى أو مـــن العصور الوسطى .

* **ويقول الباحث (ميخائيل فينتر)**[149] :

أهم السجلات المحلية للفترة العثمانية فى مصر هما : ابن إياس وديار بكرى . ويُعـــــد كتاب (**سياحة ناما**) أو (كتاب الرحلة) الذي وضعـــه (**أوليا شلبى**) عام 1614– 1683 م (هو مسلم غير مصري) بمثابـــة وثيقـــة بالغة الأهمية لمعرفة تاريخ مصر العثمانية إبان القرن السابع عشر الميـــلادي (المجلد العاشر). ويلاحظ أن المماليك كانوا أكثر عداءً لليهود من العثمـــانيين نظراً لأنهم كانوا من المسلمين المتشددين وكان تأثير العلماء عليهم قويا الأمر الذي أثر على علاقتهم مع الأقليات الدينية ومنهم اليهود .

ولقد نافس المسيحيون بكافة طوائفهم (أقباط - يونـــانيون - ســـوريون كاثوليك) اليهود في كثير من أعمالهم(إنتاج الخمور وتجارة وتصنيع الذهـــب والفضة والأحجار الكريمة والصيرفة والإقراض ..) ونتيجة لذلك حدث توتر بين اليهود والمسيحيين والأقباط المحليين وأبناء الطوائف الأصغر وتجلى هذا التوتر في المجال الديني وفى مظاهر معاداة مسيحية واضحة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*ويقول الباحث مينا روزن[150] :

كان وجود الفرنسيون واليهود فى مصر سابقا على احتلال العثمانيين لها . وقد جعل السلطان (**سليمان الرابع**) 1520 م من تعاونه مع المملكة الفرنسية حجر أساس لسياسة الامبراطورية العثمانية الخارجية مع أوروبا . فكان الفرنسيون يدفعون حوالي 3% جمارك على تجارتهم مع الامبراطورية العثمانية بينما يدفع غيرهم نسبة 20% جمارك . واليهود (الذين عملوا كوكلاء تجاريين ووسطاء ومترجمين) زاد اتصالهم بالفرنسيين . وقد استعان الفرنسيون فى مصر بخدمات اليهود المحليين (مواليد مصر) برغم تعارض المصالح من الناحية الاقتصادية (تنافس وغيره) . واعتبرت الحملة الفرنسية على مصر وسوريا طوق نجاة لليهود فى عالم معاد . فقد ألغى (نابليون)الجزية المفروضة على اليهود وألغى أفضلية شهادة المسلم على شهادة المسيحي أو اليهودي وألغى القيود التي حددها الخليفة (عمر بن الخطاب) فيما يسمى بالشروط أو (العهدة العُمَرية) فنتج عن ذلك :

أ- تساوى اليهود مع المسلمين فعاشوا كمتساويين فى الحقوق وفى الواجبات .

ب- تزايد نفوذ الدول الأوروبية الكبرى داخل الامبراطورية العثمانية (وتبع ذلك زيادة الحماية لليهود).

ج- تحسن مكانة يهود فرنسا فى مرحلة لاحقة (فأتاح لهم التأثير على سياسة فرنسا تجاه يهود الشرق).

د- كسر الإجماع على وضع الذمي فى الدول الإسلامية (بسبب أفكار الحملة الفرنسية بالإخاء والمساواة والحرية) فسادت نظرة عدائية تجاه المسيحيين من قِبَل المسلمين (جنود الحملة الفرنسية المسيحيين) وأيضا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من جانب المسيحيين (فى الامبراطورية العثمانية) تجاه اليـــهود (الذيـــن ساووهم وتميزوا عليهم) .

* **ويقول الباحث (يوسف الجميل)**[151] :

كانت طائفة القرائيين اليهود فى أنحاء العالم صغيرة قياســاً بالطائفــة الربانية . والقرائيون أقاموا فى مصر عبر أجيال طويلة وكانوا ذوى خلفيـــة حضارية مصرية واستخدموا العربية كلغة حديث وكتابـــة . أمـــا طائفـــة الربّانيين فقد جاء أعضاؤها من كل أنحاء العالم ولذلك تحدثوا وكتبوا بلغـــات مختلفة وفى القاهرة أقام اليهود فى باب زويلة (حارة اليهود) وكان القراءيون أكثر ثراءً من الربّانيين كما كانوا مقربين من الوزراء والزعماء . وكل طائفة اختصت بمعابدها وأهم معابد القرائيين يقع فى الفسطاط (معبدابن عَـــزْرا) والذى أخذه منهم الربّانيون . ومعبد ابن شميك (معبد ابن تسومح) ومعبـــد الخازن ومعبد سمحاه ومعبد العباسية ومعبد المصاصة .

وفى بداية القرن العشرين الميلادي جرى فى مصر فحـــص شـــامل للمعابد غير الإسلامية **ووفقا لما ادعاه القضاة فقد عُثر علـــى اســـم النبـــى محمـــد (ﷺ) مكتوباً على أرضية معبد الفسطاط (معبد ابن عَـــزْرا) فـــى مكان وقوف المنشدين. واعترف عدد من اليهود بذلك** وضُربوا علناً وهـــم مقتادون فى شوارع المدينة وقدمت السلطات دعوى للمحكمة وحكم القـــاضى بضرورة هدم المعبد . وبعد عدة ضربات اكتفت السلطات بـــإغلاق المعبـــد وبعض المعابد الأخرى .

والجدير بالذكر أن (وثائق الجنيزة) الشهيرة وجدت بمعبد الفسطاط .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

*** ويقول الباحث (يعقوب دافيد حسون)[152] :**

لقد ظلت الطائفة اليهودية بمصر عربية فـــى أساســـها . فالمؤسســـات التعليمية الطائفية اليهودية - حتى تلك التى درست بلغات أجنبية - اســـتخدمت اللغة العربية كلغة دراسية وتعليمية على غرار المدارس المصرية الرسمية .

وهذه الطائفة لم تعرف أبداً نمط (الجيتّو) أو (المِلّة) الـــذي عرفـــه جيرانها فلم توجد لنفسها أى لغة يهودية ولا حتى موسيقى تنتمى لها بصـــورة منفردة (على عكس الطوائف الأخرى فى الدول الأخرى) .

* * * * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأنثروبولوجيا - الشئات - الاستراتيجية

لم يكن العرب من الأجلاف قبل الإسلام والحضارة التى أقامها العرب فى أقل من مائة عام (بالإسلام) هى من أنضر الحضارات التى عرفها التاريخ وكان للعرب قبل الإسلام حضارة لم تكن دون حضارة الآشوريين والبابليين تقدماً . وتلك الحضارة التى أينما حلت ثبتت أصولها ولم يقدر فاتح على زعزعتها وهى من المناعة ما استطاعت أن تهيمن به على الأمم التى حاولت هدمها (كالمغول والترك) وتقهقرت أمام الإسلام فى الهند ديانات قديمة وجعل الإسلام مصر العربية تامة العروبة .

إن مبدأ (العِلّة) المسيطرة على دراسة قضايا العلم يسيطر على دراسة حوادث التاريخ أيضا . فيستطيع صاحب ذكاء ثاقب أن يقرأ سير الأمور المقبلة من خلال الحوادث الحاضرة **والأمم نتيجة ماضٍ طويل وليست نبت ساعة واحدة وهى محصول ما خضعت له من البيئات المختلفة التأثير ولذا يُفسَّر حاضرها بماضيها .**

ولم تعتبر بلاد الحِجْر ضمن أقسام الجزيرة العربية - حسب رأى الجغرافيين العرب - ولكنها تُعد كذلك من الناحية الإثنوغرافية . وتتألف بلاد الحِجْرمن جزيرة سيناء الممتدة من حدود فلسطين إلى البحر الأحمر . وجزيرة سيناء هى بلاد الآدوميين والمَدْيانيين والعمالة والأنباط الذين ذُكروا فى كتب العبريين كثيراً . وفيها تاه بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر (أربعين عاماً) وعلى جبل الطور - فى وسطها - كلم موسى (عليه السلام) ربه وتلقى منه الشريعة (التوراة) ، وفيها كهف جبل حوريب الذى توارى فيه إيليا خوفاً من غضب الملكة إيزابيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

و (العِرْق) أو النوع البشرى - كما يقول د. جوستاف لوبـــون[153] - يدل على جماعات ذات أخلاق مشتركة تنتقل إليها بالوارثة انتقالاً منظمـــاً . ويرى الذين لم يدرسوا علمَ أوصاف الإنســـان أن (الأمـــة) و (العِـرْق) كلمتـــان مترادفتان تقريباً مع أن لهما معاني مختلفة تماماً .

فـــ(الأمة) هى جماعة من الناس ينتسبون فى الغالب إلـــى عـــروق كثيرة جمع بينها نظام حكم واحد ومصالح واحدة (مثل الأمة الإنجليزيـــة و الألمانية) ولا يجوز أن نطلق عليها كلمة عرق فنقول العرق الإنجلـــيزي أو العرق الألماني. و (العِرْق) يلزم استقرار أخلاق واحدة وصفـــات جثمانيـــة واحدة بفعل البيئة والتوالد والوراثة . ويتطلب كسب هذه الأخـــــلاق زمنـــاً طويلاً جداً . والصفات الموروثة إذا كانت لا تستقر إلا ببطء فإنها لا تـــزول أيضاً إلا ببطء . وبأقصى البطء تندمج العروق وتتحول - خلال قرون طويلـة - إلى أمة .

وقد دلت حوادث التاريخ على أن العِرْق إذا مـــا اســـتقرت أخلاقـــه وسجاياه بالوراثة وبلغ غاية الكبر عجزت البيئة عن التـــأثير فيـــه وصـــار أهـــون عليه أن ينقرض من أن يتحول . من أجل ذلك نرى بنى إســـــرائيل يحافظون على مثالهم الثابت في كل قطر . ومن أجل ذلك أيضا تعذر علـــى بلاد مصر الحارة مع ماضيها من قوة صهر أن تحول العروق المسنة التـــى استولت عليها واحداً بعد الآخر فكانت قبراً لكل واحد فيها . وإنمـــا تؤثـــر البيئات فى العروق الحديثة. وصفات أمة مقهورة صغيرة تزول بالتوالد أمام صفات أمة منتصرة كبيرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا تصلح اللغة والدين والجماعات السياسية والصفات التشريحية (شكل الجمجمة - ولون الجلد والسِحْنات) لتقسيم العروق وإظهار الفروق الدقيقة بين الأمم المتقاربة (كالأمم الأوروبية مثلا) وإن صلحت الأوصاف التشريحية لتقسيم الأجناس البشرية الظاهرة الاختلاف البادية التباين . بيد أنه توجد صفات نفسية (سجايا خُلُقية) ثابتة ثبات الصفات التشريحية . وتأتى الصفات النفسية المتشابهة بنتائج متشابهة دائما كما تأتى الصفات التشريحية بنفس النتيجة .

وتختلف الأخلاق باختلاف العروق (يفسر ذلك عِلّة الفوضى السائدة لجمهوريات لأمريكا اللاتينية الجنوبية وما تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية من السعادة والرخاء رغم تماثل نظم هذه البلاد وتلك) .

ودراسة النظم السياسية (التى هى معلولات لا علل) هى التي ترشدنا إلى سر الدور الذي تمثله الأمم فى التاريخ حيث تتأثر الأمم - بعمق - بمختلف العناصر التى تدخل فى تركيبها (الفرنسيون يتألفون من عناصر مختلفة مثل الكمريين والنورمان والسلت والأكيتان والرومان وغيرهم) .

ويُعد العرب واليهود والفينيقيون والعبريون والسوريون والبابليون والآشوريون الذين استوطنوا جزيرة العرب وآسيا الصغرى حتى الفرات من أصل واحد يطلق عليه (الأرومة السامية).وتقوم قرابة هذه الأمم على تجانس لغاتها واشتراكها فى صفات جثمانيه متماثلة وهذه القرابة السامية التى لا نجزم بها نراها ترجع - على فرض وجودها - إلى ما قبل التاريخ . وظهور أمة ذات حضارة راقية على مسرح التاريخ ليس إلا ثمرة ماضٍ طويل ولا يعنى جهلنا لهذا الماضي عدم وجوده وتُعد العرب أقدم من العبريين بكثير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول (د. جمال حمدان) [154] :

أول ما نسمع عن اليهود فى التاريخ مع(إبراهيم) (عليه السلام) أبى الأنبياء الذى ظهر مع قومه فى القرن الثامن عشر ق.م كجماعة من الرحل على المشارف والتخوم الاستبسية لجنوب العراق الذى كان يؤلف دولة الكلدانيين فى (أور) .

ومن قبل كان إبراهيم (عليه السلام) وقومه قد خرجوا من قلب الجزيرة العربية التى نشأوا فيها كجماعة من الجماعات السامية العديدة التى تأصلت فى ذلك (الخزان البشرى) الشهير الذي لم يتوقف عن أن يقذف كإقليم طرد و كصحراء فقيرة ولكنها ولود يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب المتاخمة والجذابة . ففي حوالى عام 1800 ق.م هاجر إبراهيم (عليه السلام) وقومه في دورة عكس عقارب الساعة شمالا بغرب ثم جنوبا على طول حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى (حوران) ثم إلى فلسطين . وهنالك يولد له إسحاق ولإسحاق يولد له يعقوب المكنّى بإسرائيل ومن أبناء يعقوب الاثنى عشر الشهيرة (الأسباط) ستتأصل القبائل الإثنتا عشر المعروفة فى التاريخ والتوراة .وإن كانت هجرة إبراهيم (عليه السلام) إلى فلسطين أولى هجرات القبائل العبرية فإنها لم تكن الأخيرة (الهجرة الثانية مثلا كانت فى القرن 14 ق.م).وعندما دخل العبريون أرض كنعان فلسطين) وجدوها مسكونة بالكنعانيين (فى التوراة هم أبناء كنعان بن حام بن نوح (عليه السلام) وهم أول من سكن فلسطين وفى الدراسات السامية القديمة أنهم - الكنعانيين - قبيلة سامية من الساميين الشماليين الذى جاءوا من الجزيرة العربية منذ 2500 ق.م (وفى رواية أخرى 3500 ق.م) واستقروا فى فلسطين وأقاموا بها حضارة راقية . ورحل جزء منهم إلى الساحل اللبناني حيث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عُرفوا بالفـينيقيين. وفى أرض كنعان (الأرض المنخفضة) كـانت توجـد قبائل سامية أخرى صغيرة مثل الأدوميين والعمونيين والمؤابيين خاصة حول جنوب البحر الميت وكذلك العموريين (الأموريين) بعيداً إلى الشمال (أولاد أناك Anak فى التوراة) أما فى سوريا فقد استقر آراميون كموجة سـامية منذ القرن 14 ق.م (فى تاريخ يتعاصر مع الموجة الثانيـة للعـبريين) أمـا الفلسطينيون (الفلست) فهم الأحدث عهداً من العـبرانيين فـى المنطقـة (ساحـل البحر) وأصلهم من شعوب البحر sea people (يرجع أصلهم من جزيرة كريت) 1200 ق.م (أيام حرب طروادة) . وأغلب تاريخ اليهود فـى تلك المرحلة تاريخ دموي لا أخلاقي يدور حول الحرب والغـزو فحـاربوا الكنعانيين ليستقروا بأرض كنعان وهزمـوا مـن أقـوى أعدائـهم الفلسـت (الفلسطينيين) حتى إذا كان منتصف القرن 17 ق.م (أى بعد 150 عام مـن هجرة إبراهيم (عليه السلام) هاجر يعقوب (عليه السلام) وأولاده إلى مصر بسبب القحط المشهور واستقروا بأرض جاشان (جوشـن) land of Goshen بـوادى الطيملات بمحافظة الشرقية نحو 350 سنة إلى أن خرج بـهم منـها موسـى (عليه السلام) وهو من الجيل السابع بعد إبراهيم (عليه السلام) حوالي 1300 ق.م هربـاً من اضطهاد فرعون مصر لتهاونهم في خيانة واضحة مع الهكسوس غـزاة مصر . وفى حوالي عام 1000 ق.م . وحّد داود (عليه السلام) الأسباط مـن (دان) فى الشمال إلى (بير سّبع) فى الجنوب (أرض إسـرائيل) Israel Erets واتخذت يبوس (أورشليم) عاصمة لها . ولم تلبث أن انشطرت المملكة بعـد ابنه وخليفته سليمان (عليه السلام) صاحب الهيكل إلى مملكتين :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1-مملكة يهوذا (جنوبا) فى هضبة يهودية وتضم قبيلتى يهوذا وبنيامين .

2- مملكة إسرائيل (شمالا) فى السامرة . وتضم القبائل العشر الباقية (باقى الأسباط) ، وأصبحتا الدولتان متعاديتان متحاربتان ووقعتا فى سياسة المضاربة بين مصر والعراق أو الخضوع لهما . فتعرضت المملكة الجنوبية (يهوذا) لطرقات مصر مرتين الأولى على يد (شيشنق) والثانية على يد (نخاو) . إلى أن جاء الدور على المملكة الشمالية (السامرة) حين قضى عليها نهائيا (سرجون) الآشورى عام 721 ق.م ثم قضى (نبوخذ نصر) البابلى على المملكة الجنوبية عام 586 ق.م حيث دمر أورشليم والهيكل **وبذلك زالت دولة اليهود فى فلسطين بعد حياة طولها أربعة قرون فقط بينما إقامة اليهود المتصلة فى فلسطين لم تزد على ستة قرون** (من 1200 ق.م - 586 ق.م) .

وعن موضوع (**الشتات اليهودي**) يقول د. جمال حمدان [155] أنه كان على أربعة مراحل :

(1) الشتات البابلى :

وفيه نقل (سرجون الثانى) الكثير من إسرائيلي (السامرة) من أبناء القبائل العشر إلى بابل وأسكن مكانهم بعض أسراه من البلاد المفتوحة الأخرى. ثم جاء (نبو خذ نصّر) الذى نقل أغلب اليهود أسرى إلى بابل (يقال ثلاثة أرباع مليون نسمة) . وبعد هزيمة بابل على يد ملك الفرس كِسْرى (قورش) عام 538 ق.م احتلوها واحتلوا ممتلكاتها فى فلسطين وسمحوا لليهود بالعودة إلى أورشليم (بعد نصف قرن من السَبْى البابلى) غير أن قلة ضئيلة هى التى عادت (تقدر بنحو 50 ألفا) والأغلبية المطلقة بقيت فى العراق حيث كونوا مستعمرات مهمة نمت حتى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بلغت فى عهد المسيح (عليه السلام) مليوناً من البشر . **وقد امتد انتشار اليهود فى العراق شمالا إلى كردستان غير أن يهود العراق مع كل سكانه تعرضوا للإبادة مع الطوفان المغولى (فوصل عددهم إلى بضعة آلاف) وكان يهود العراق هم نواة الشتات شرقا** . فمنهم انشطر يهود فارس الذين غادروا العراق لأول مرة فى عهد (كِسْرى) ولكن هجرتهم الكبرى كانت فى القرن الثانى عشر الميلادي. وبالمثل كان يهود هيرات فى أفغانستان ويهود بخارى وسمرقند فى التركستان شطية من نواة فارس . ويقال أن يهود القوقاز (فى القرن الخامس الميلادي) أتوا من فارس ونواتها القديمة . وانتشروا بعد ذلك في الشرق الأقصى (الهند والصين) . **وفى الحجاز كانت المدينة (يثرب) وخيبر من معاقل اليهود** . غير أن الأرجح أن يهود الجزيرة العربية كانوا فى معظمهم عرباً محليين متحولين وليسوا من يهود فلسطين الوافدين . أما فى اليمن فقد تحولت أعداداً كبيرة من سكان العصر السَبَئي (نسبة إلى مملكة سبأ) إلى اليهودية وكان أحد ملوك سبأ يهوديا (فى القرن السادس الميلادي) ويدعى (**ذو النواس**) .كذلك كان المهاجرون الحضارمة الذين عمروا الحبشة وأسسوا الامبراطورية الحبشية يهوداً أصلاً ثم تحولوا مبكراً إلى القبطية **غير أن ظهور الإسلام صفّى الوجود اليهودى واليهودية تماماً فى الجزيرة العربية نفسها فيما عدا اليمن** . وهناك من يرى أن اليهود دخلوا شمال أفريقيا مع الفينيقيين .

(2) الشتات الهللينى :

بعد قرنين من السيادة الفارسية بدأت فتوح الاسكندر الأكبر واستمرت مع السلوقيين والبطالمة ثم البيزنطيين . **والاتجاه العام فى هذا الشتات نحو الغرب** .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان هناك مركزان لتركيز اليهود : البلقان وسواحل البحر الأسود الشمالية . وكلٍ يسبق العصر المسيحي بوقت طويل . وقد ذهب كثير من اليهود مع الإغريق بعد الاسكندر الأكبر إلى القِرْم بساحل البحر الأسود . وقد أفلت هؤلاء اليهود من طرقات وموجات القوط والهون والتتار التى اجتاحت جنوب روسيا. غير أن التتار قد لعب دوراً مهماً فى التاريخ اليهودى حيث قامت منهم دولة فى القرن السابع الميلادي (**دولة الخَزَر التترية) التى تحولت بالجملة إلى اليهودية أيام شارلمان .**

وقد كان للخزر مركزان أحدهما على سواحل بحر الخزر (بحر قزوين) عند مصب نهر الفولجا والثاني فى القِرْم .وقد أُلغى المركز القزوينى فى القرن العاشر الميلادي وظل مركز القِرْم حتى القرن الحادي عشر إلى أن تحطم على يد دولة كييف السلافية الجديدة التى تمثل طلائع الدولة الروسية الحديثة .

(3) الشتات الرومانى والوسيط :

وذلك فى حركة مع عقارب الساعة إلى الغرب بدأ مع الثورة المكابية واكتمل مع الفتح الروماني لفلسطين (بداية العصر المسيحي) . فلقد تواترت ثورات اليهود (أقلية فى فلسطين) على الحكم الروماني الذي رد بتخريب أورشليم والهيكل وبإبادة اليهود فى مذبحة عام 70م (تيتوس) والتي صفّت أغلبهم محلياً وفر منها أقلهم إلى مصر وسوريا غير أن بقايا اليهود عادوا إلى الثورة في عام 135 م . حيث قوبلوا بمذبحة نهائية (هادريان) أو هدريانوس ختمت إلى الأبد على مصير اليهود فى فلسطين كدولة وقومية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد حرّم الرومان على اليهود دخول القدس نهائيا وطردوهم من فلسطين (الخروج الأخير) وتحولت الشرائم القليلة جداً إلى المسيحية ولم يزد عدد اليهود فى فلسطين كلها على عشرة آلاف نسمة .

وبعد تلك السلسلة من المجازر والتشريد والطرد تحول اليهود من الشراسة والعنف فجأة إلى الاستضعاف والخنوع وحقق اليهود أغراضهم بالوسائل الناعمة والملتوية وبالتزلف والمكر والخديعة . **ويرجع (هنتنجون) هذا التحول فى الشخصية الجماعية إلى عملية الانتخاب التى فرضتها تلك المجازر حيث بادت العناصر المناضلة والمقاومة ولم يبق إلا عناصر الجُبْن والمَسْكنة والخُبْث وهى طباع استمرت حتى اليوم** . ومنذ القرن الثالث الميلادي وصل اليهود إلى الراين حيث تحولت فرانكونيا (عاصمتها فرانكفورت) إلى قاعدة رئيسية ونواة لهم وأصبحت فرانكفورت عاصمة يهود الشتات الجديد واستمرت تلك العلاقة التاريخية الوثيقة بين اليهود وفرانكفورت عبر القرون إلى يومنا هذا . وفى العصور الوسطى التى أتت بالحروب الصليبية اشتعلت نار الاضطهاد الديني ضد اليهود فى جميع أنحاء أوروبا مثلما أُثير ضد العرب وخارجها وهناك بدأت عمليات الطرد بالجملة والإبادة التى أدت فى النهاية إلى تغيير جذرى فى توزيع اليهود فى أوروبا وبدأت ثنائية الأشكناز والسفارديم(Ashkenasim – sephardim) وهما كلمتان قديمتان فى التوراة استعارتهما التقاليد اليهودية فى العصور الوسطى لتميز بين **يهود ألمانيا (أشكناز) ويهود أسبانيا (سفارديم)** اعتقاداً منهم بأن يهود ألمانيا ينحدرون من نسل قبيلة (يهودا) ويهودا أسبانيا من نسل قبيلة (بنيامين) والسفارديم يعدون أنفسهم (أرستقراطية) اليهود على الأساس الديني غير أن الأشكناز يؤلفون الأغلبية العددية (80% – 90%) والطبقة المسيطرة (المتفوقة حضاريا) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتمثل آثار لقاء يهود الأشكناز (الألمان) ويهود الخـزر (القزوييـن والقِرْم) الذين ينقسمون إلى يهود قرائيـن ويـهود القرمشـاك الربّـانيين Krimshaks كما تمثل فى يهود ليتوانيا القرائين . وأصبح هذا اللقاء تراكمـا عدديا وتكتيلا لليهودية نتج عنه أكبر تجمع لليهود فى العـالم حتـى اليـوم وتحول كذلك إلى عملية خلط ومزج وصهر يسود فيها يهود الأشكناز عدديـا وحضاريا . وأصبح أهم ألسنة اليهود (التى لا حصر لها) هـى **اليديشـية** Yeddish المستمدة من اللهجة الألمانية العليا التى حملها معهم يـهود الغـرب (وكلمة يديش تحريف لكلمة يهودي بالألمانية) .

أما السفارديم (الأسبان) فتبدأ قصتهم مع طرد اليهود والعرب مـن أسبانيا بعد سـقوط دولـة العـرب فـى الأندلـس . (حـروب الاسـترداد Reconquista) 1492 م . وكانت لغتهم الأسبانية المحرّفة المعروفة باسم اللادينو Ladino وظلوا حتى اليوم يلبسون لباساً خاصاً ويبدون خصـائص حضارية وثقافية تذكرهم بقوة بفترة إقامتهم الأسبانية .

(4) الشتات الحديث :

وهى قصة اليهودي التائه المتحول من أول الشتات (قبل الميلاد) إلى آخر الشتات فى مطلع العصور الحديثـة (القـرن 19 ، 20 الميلاديين) . وينقسـم هذا الشتات إلى ثلاث مراحل :

أ- الانتشار الأول والأهم :

وهو الذى بدأ مع **فتح باب الهجرة إلى أمريكا** على ثلاث مراحل :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

1- العصر الاستعماري (القـــرن 16-17م) ومصـــدره أســـبانيا والبرتغال وقوامه السفارديم . وكان محدود القوة عدديا .

2- - عصر الثورات والاضطرابات السياسية التاريخية فى القـــارة الأوروبية وحمل إلى الولايات المتحدة نحو 230 ألف يـــهودي (ثورتـــي 1830 ، 1848م) .

3- مرحلة مابين عامى 1881 ، 1914 م ، وكان قطبها المـــركزي فى الإرسال روسيا القيصرية بالإضافة إلى النمسا والمجر ورومانيـــا . وهذا التجمع (فى الولايات المتحدة وكندا) هو الذى أصبح اليـــوم أكـــبر تجمع لليهود فى العالم . وانطلقت بعض الهجرات المحدودة إلى أمريكـــا الجنوبية (البرازيل والأرجنتين) وفى الشرق الأقصى السوفيتي أقيمـــت جمهورية بيرو بيدجان Birobidjan اليهودية فى حوض نهر الآمور .

ب- الانتشار الثانى (فترة النازية) :

أدى ذلك إلى خروج وهروب اليهود من الرايخ الألمـــــاني وأوروبـــا الوسطى إلى الولايات المتحدة وفلسطين .

ج-الدورة الصهيونية :

وهى الدورة التى قامت بعملية إسقاط على العرب لكل تجـــارب يـــهود الشتات من إبادة وطرد وخروج (ابتداء من الأسر البابلي حتى الفترة النازية) واغتصاب فلسطين ، وتسميه الصهيونية - افتراءً - بحرب الاستقلال والعـــودة إلى أرض الميعاد وزعم الصهاينة أن تلك العملية ليست إلا عمليـــة (تبـــادل سكان) **ويعتقد د. جمال حمدان أن هذه المرحلة لن تكون إلا مرحلـــة فـــى رحلة الشتات التاريخية مجرد جملة اعتراضية فى تاريخ فلسطين وقريب هو لا شك الخروج الجديد**[156].

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبخلاف طائفتي الأشكناز والسفارديم توجد طائفة ثالثة من اليهود تسمى (**اليهود الشرقيين**) Oriental Jews وهؤلاء استمدت أصولها القديمة من فلسطين رأساً أو من مراكز يهودية ثانوية وهم الأدنى مرتبة فى الهيراركية اليهودية وإليهم تنتمى مستعمراتهم فى شمال أفريقيا والعراق واليمن والقوقاز وإيران والتركستان الروسية والهند والصين.

والتحول إلى اليهودية (من المسيحية أو الوثنية) يأخذ شكلين رئيسيين :

(1) **التحول الفردي** : المستمر في كل مكان وزمان بالتزاوج العلني والسري والعلاقات الجنسية غير المشروعة.

(2) **التحول بالجملة** : وأهمها حالة الخزر والفلاشة (يهود أثيوبيا) واليهود السود من التأميل واليهود القرائين فى طوزوس .

والنشاط التبشيرى اليهودى لا يتوقف (بتحول الوثنيين إلى يهود) .

والصهيونية تتاجر فى الاضطهاد . بل إن الفكرة الجذرية فى خلق إسرائيل ليست فى النهاية إلا فكرة العزلة الاجتماعية (الجيتّو Ghetto) بحذافيرها ولكن على مقياس مجمع كبير . فهى وعاء موحد لاستبقاء انعزالية اليهود على الجوييم (الغرباء) وتضادهم معهم . **إنها - إسرائيل - الجيتّو دولة أو هى دولة الجيتّو . واليهود يتألفون - الآن - من دماء مختلطة كأشد ما يكون الاختلاط .**

ويرى (**ريلى**) أن اليهود يأخذون أينما كانوا صفات السكان الذى هم مقيمون بينهم (شكل الرأس وهو الأساس الأنثروبولوجي الأول ثم لون البشرة) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرى (لومبروزو Lombroso) أن اليهود جنسيا آريون أكثر منهم ساميون . أى أنهم أوربيون تهوّدوا أكثر منهم يهود تأوريوا .

وفى دراسة حديثة قام بها الأنثروبولوجى البريطاني (جيمس فنتون) على يهود إسرائيل توصل فيها إلى أن 95 % من اليهود ليسوا من بنى إسرائيل التوراة وإنما هم أجانب متحولون أو مختلطون . ومعنى هذا أن الصلة الجنسية بين يهود اليوم ويهود التوراة مُنْبَتّة وفاقدة تماما من الناحية العملية وأنهم بالفعل أوروبيون سلاف وآريون أكثر منهم ساميون .

وعلى هذا فلا يجوز أن نطلق على اضطهاد اليهود - اليوم - أنه ضد السامية (الاضطهاد النازي لليهود لم يكن فى جوهره إلا اضطهاد ألمان لألمان لايقل معظمهم عنهم فى الآرية والنوردية وإنما يختلفون فقط فى الديانة وطريقة الحياة) . **وأيضا تسقط ببساطة وتلقائية أى دعوى قرابة دم بين العرب واليهود .**

فيهود التوراة والعرب أبناء عمومة تاريخية فحسب أما الآن فقد ذاب النسل اليهودى فى الدماء الأخرى . ووجود اليهود فى فلسطين اليوم هو وجود غرباء فى منفى ودخلاء بلا جذور ولا علاقة لهم جنسيا أو أنثروبولوجيا بفلسطين . وبالتالي يسقط أى ادعاء أساسي للصهيونية فى أرض الميعاد فاليهود الآن ليسوا قومية ولا هم شعب أو أمة بل مجرد طائفة دينية تتألف من أخلاط من كل الشعوب والقوميات والأمم والأجناس .

ولا وجه للمقارنة بين ما حدث للسود والأفارقة (المرحلون عنوة كعبيد إلى الأرض الجديدة فى أمريكا) وبين اليهود فى فلسطين . فإذا كان زنوج أمريكا هم فعلا وحقاً من سلالة أفريقيا فإن الأغلبية الساحقة من اليهود اليوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليسوا من بنى إسرائيل وسلالة فلسطين فى شىء . **وإذا كان (نظريا) هناك حقاً تاريخيا وجنسيا لعودة زنوج أمريكا إلى أفريقيا فليس لليهود مثل ذلك الحق بتاتا بالنسبة لفلسطين .**

ويقول (د. عبد الوهاب المسيرى) [157] :

أنه إذا كان (بلفور) قد حل المسألة اليهودية في إنجلترا بالتخلص من اليهود عن طريق إرسالهم إلى فلسطين فإن الحل لم يكن متاحاً (لهتلر) لعدم وجود مستعمرات لدى ألمانيا النازية ولهذا تخلص من أغلبهم بإبادتهم . أى أن الدول الغربية خلقت صهيونية بنيوية (أى بيّنة قانونية) وظروفا موضوعية تفرض على اليهود الهجرة إلى فلسطين شاءوا أم أبوا . وعلى الرغم من تباكى الدول الغربية على مصير اليهود فإن معظمها أوصدت أبوابها دونهم ورغم هذا فإن الدولة الصهيونية آخذة فى النضوب لأن أعضاء أكبر جماعة يهودية فى العالم (فى الولايات المتحدة الأمريكية) لا يهاجرون إلى فلسطين ويهود العالم الغربى إن هاجروا يتجهون إلى الولايات المتحدة ويتبع يهود أمريكا اللاتينية وغيرهم نفس النمط وقد تم تصفية يهود العالم الشرقي والإسلامي فلم يبق سوى أفراد قلائل . **وتساهم معدلات الاندماج والزواج المختلط وكذلك عزوف اليهود عن الإنجاب فى تناقص العدد الكلى لليهود** . ولم يبق سوى الاحتياطي البشرى الوحيد فى الاتحاد السوفيتى ولكنهم يفضلون - عند الهجرة - الذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية (أغلقت الولايات المتحدة الأمريكية أبوابها فى وجه المهاجرين اليهود السوفييت حتى يتدفقوا صاغرين إلى إسرائيل).

وللمزيد من الخوض فى المسألة اليهودية يأخذنا البولونى **(إبرهام ليون)**[158] فى دراسة علمية لتلك المسألة،ويقول (عماد نويهض) **مترجم الكتاب:**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن علينا ألا ننطلق من الدين لتفسير اليهودي بل على العكس علينا أن نفسر المحافظة على الدين أو القومية اليهودية انطلاقا من (اليهودي الواقعي) أى من دور اليهود الاقتصادي والاجتماعي .

ومنذ قيام دولة إسرائيل عام 1948 م بدأت مرحلة تاريخية تميزت بـ :

1- قيام مخفر أمامي لحراسة مصالح الاستعمار فى المشرق العربي حيث **أن الاستراتيجية الأمريكية تعتبر دولة إسرائيل عمليا بديلا من التدخل المباشر لقواتها العسكرية .**

2- **تحويل الجزء الأكبر من الشعب الفلسطيني إلى شعب من اللاجئين .**

3- قيام **أنظمة** متقدمة بقيادة البرجوازية الصغيرة .

ومنهج (إ. ليون) فى دراسته هو - حسب ماركس - أنه يجب ألا نبحث عن سر اليهودى فى دينه بل فلنبحث عن سر اليهودي الواقعي . والحقيقة فإنه ليس فى الاستمرارية اليهودية أية معجزة حيث يقول **(ماركس) :**

***لم تستمر اليهودية بالرغم من التاريخ بل سارت معه .**

*التناقض بين دولة ودين معين - اليهودية مثلا - نعطيه تعبيراً إنسانيا حين نجعل منه تناقضاً بين الدولة وبين عناصر علمانية معينة .

ويقول (جوفينال Juvenal)[159] :

أن اليهود لم يولدوا إلا لخلق المتاعب لسائر الشعوب .

وأطلق (سينيك Seneque[160]) على اليهود لقب العنصر المجرم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول (كنتليان Quintilien)[161] أن اليهود شؤم على غـــيرهم مـــن البشر.

ويشكل اليهود فى التاريخ مجموعة اجتماعية لها دور اقتصـــادي محـــدد . أنهم طبقة أو بالأصح شعب - طبقة .

ويقول (كاوتسكى)[162]:

يمكن لطبقات مختلفة أن تكسب طابعا عنصريا معينا .

وتختلف الرأسمالية اليهودية عن الرأسمالية بمعناها العلمي حيـــث أن الأولى لا تنطوى على أسلوب إنتاجي معين بل كان ذلـــك مـــن الاســـتغلال الإقطاعي حيث كان الأسياد مجبرين على التخلى عن جزء من فـــائض هـــذه القيمة لليهود .

وهناك أربعة مراحل رئيسية فى التاريخ اليهودى الحديث[163] :

(1) مرحلة ما قبل الرأسمالية :

وقد اتسمت بالثراء الفاحش لليهود (التجارة والربا) .

(2) مرحلة الرأسمالية فى العصور الوسطى :

وتبدأ من القرن الحادي عشر الميلادي حيث دخلت أوروبـــا الغربيـــة مرحلة التطور الاقتصادي الكثيف ثم غزو الاقتصاد البضـــاعى (الســـلعى) للميدان الزراعي وطرد اليهود من التجارة وتحويلهم إلى مرابيـــن (ألمانيـــا وإيطاليا) أما فى أوروبا الشرقية فقد كان اليهودى تاجراً ووسيطاً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

(3) مرحلة الرأسمالية المانيفاتورية والصناعية :

وقد بدأت الرأسمالية الحديثة فى عصر النهضة حيث شارك اليهود فى تطورها ومنذ بداية القرن التاسع عشر بحث اليهود عن اتجاهات جديدة للهجرة (إلى روسيا وألمانيا ثم نحو أمريكا) ولعبوا دوراً تجارياً وصناعياً مهماً مما أدى إلى ولادة (البروليتارى اليهودي) وبدأ عندئذ التمايز الاجتماعي لليهود .

(4) مرحلة انحطاط الرأسمالية :

زادت أزمة النظام الرأسمالي فى القرن العشرين من تفاقم وضع اليهود ونمت لا سامية عنيفة عند الطبقات الوسطى وسحق اليهود بين نظامين الإقطاعي والرأسمالي الذى حاول كل منهما تصفية الآخر .

ويقول (هنرى بيرين H.Pirenne)[164] :

إن اليهود يشكلون الطبقة الوحيدة التى تستمد وجودها من التجارة وأن الاقتصاد الطبيعي بحاجة دائمة لليهود (كمرابين وتجار) وانهيار الاقتصاد يعرض وضع اليهود للخطر .

ويقول الحاخام اليهودي (**أليزر بن ناثان**) [165]:

إن التجارة وسيلة معيشتنا الرئيسية .

ويقول (**ل. برنتانو** [166]) :

لا تفسر مؤهلات اليهود الغريزية للتجارة وضعهم الاقتصادي **بل إن وضعهم الاقتصادي هوالذى يفسر مؤهلاتهم التجارة . وقد جلب الاحتكار الربوى**